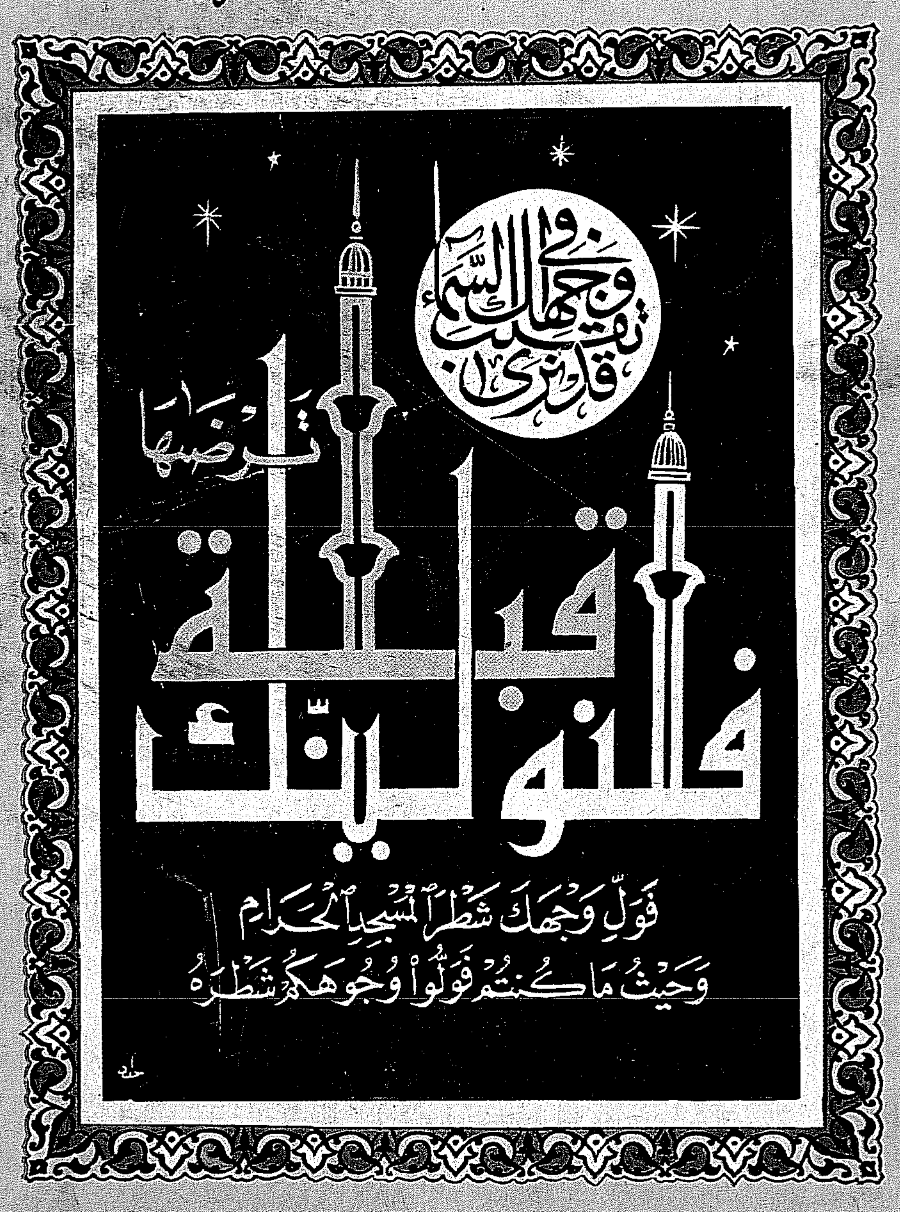
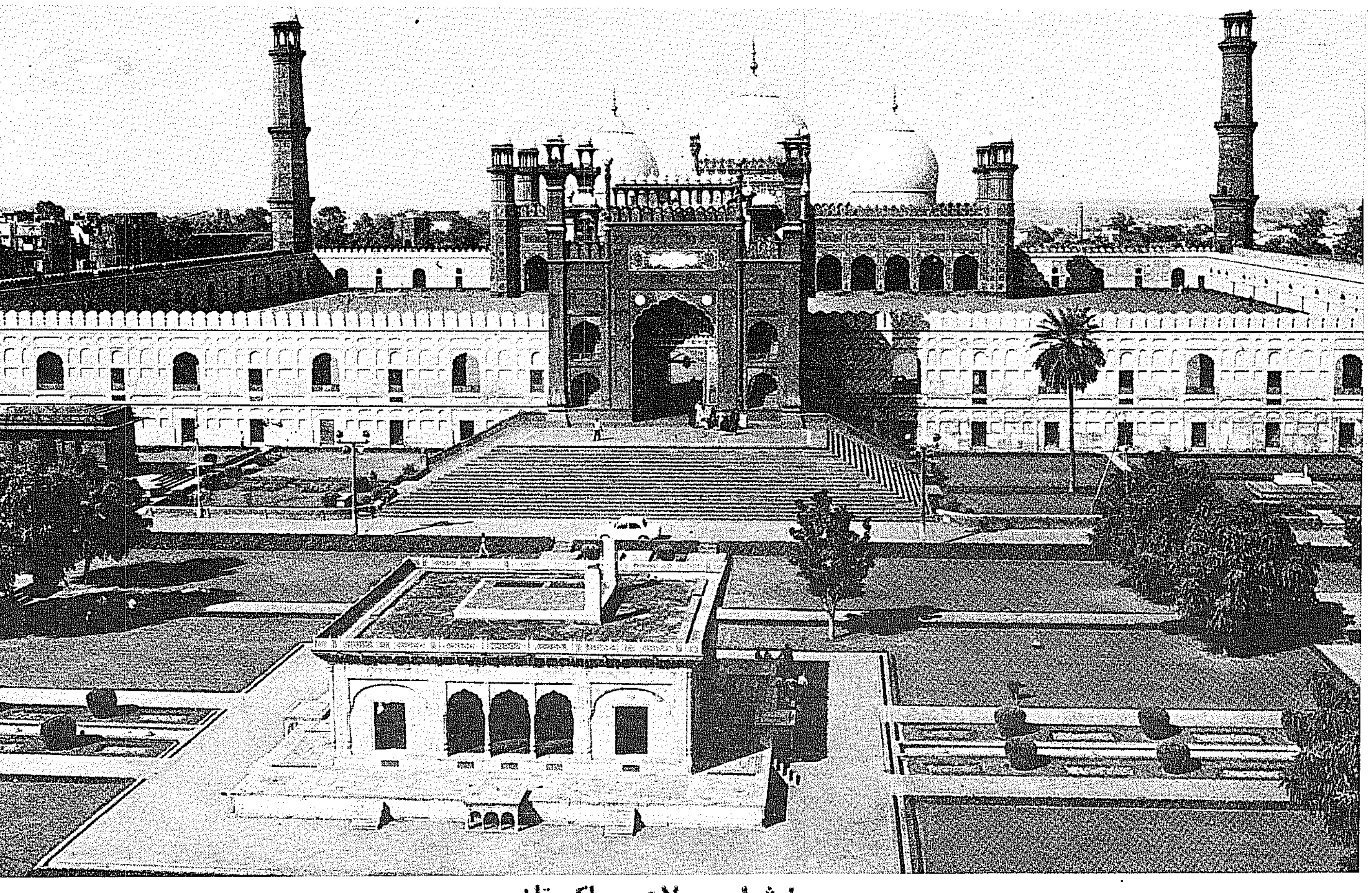
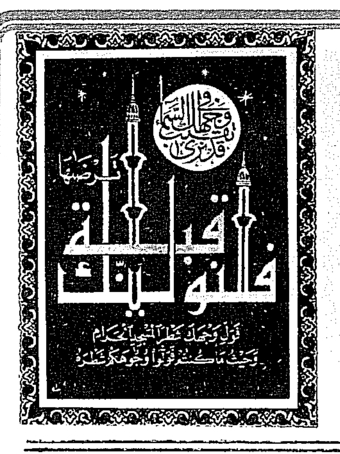
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





مسجد بادشاهی بلاهور باكستان



قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .

(صدق الله العظيم)

الغلاف بخط محمد سعد الحداد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثانى والتسعون

غرة شعبان ١٣٩٢ هـ

١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

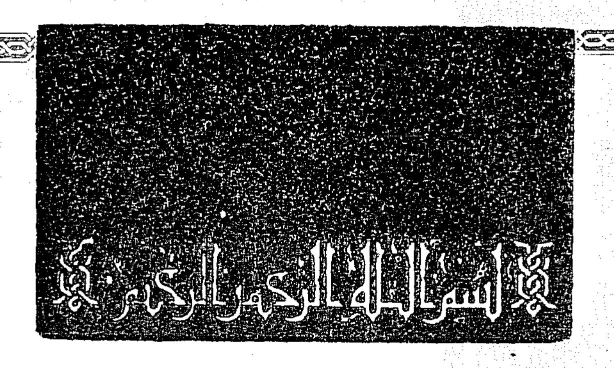
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت





الحَسْمُ ... والحُسَامُ

فى اللغـــة :

الحسم : من معانيه فى اللغة القطع ، ومنه قول الحق تبارك وتعالى فيما حاق بعاد قوم هود من العذاب لعتوهم وجبروتهم وتمردهم على الله ورسالته : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » والحسوم القاطعة المستمرة فى القطع . أى أنها حسمتهم وأفنتهم ، فلم تبق منهم أحدا . ومما يذكر انه لم يرد فى القرآن الكريم من هذه المادة الا هذا اللفظ .
والحسام : السيف القاطع ، ومنه قول ابى حراش الهذلى :

ولولا نحن أرهقـــه صهيب حسام الحد ندرو با خشيبا

ومما يجرى على الألسنة من هذه المادة جريانـــا عربيا صحيحا : حـــرب حاسمة ، ولحظة حاسمة وموقف حاسم ، ورأى حاسم :
والحرب الحاسمة هى الفاصلة التى يتقرر فيها مصير المتحاربين . نصر كاسح لفريق ، وهزيمة منكرة للفريق الآخر لا تقوم له من بعدها قائمة . .
واللحظة الحاسمة : هى التى تمر بالانسان فى انتظار أمر هام يقع فيهـــا ويكون له تأثير كبير فى حياته كاللحظة التى ينتظر فيها الطالب نتيجة اختبـــاره

واللحظة التى يترقب فيها المتهم النطق بالحكم له أو عليه .. والموقف الحاسم هو الذى يتخذه الانسان تجاه أمر معين .. ويمضى فى طريق تنفيذه دون تردد ولا توقف ، ولا مبالاة بما يجره عليه من تضحيات ومغارم ، وما سيتحمله فى سبيله من جهد ومشقة . ثقة منه بأنه لا بديل عنه فى تحقيق الهدف وبلوغ الغاية .. ويقدم الموقف الحاسم رأى قاطع فى مجال تعدد الآراء وتضارب الحلول وتأرجح العقول بين الاقدام والاحجام مثلا والتريث والسرعة واليمين واليسار والصراحة والمجاملة والوضوح والالتواء .

وليس الحسم عجلة تورث ندامة ، ولا اندفاعا أعمى يقود الى التهلكة بل الحسم بكل معانيه وكافة صوره يحتاج الى العقل الناضج الذى لا يطيش ولا يتأثر بالاهواء .. والى الدراسة العميقة التى تحيط بالأمر من كل جوانبه .. والى الخبرة الواسعة التى تصقلها التجارب والأحداث .. والى المشورة الأمينة التى تستند الى الصدق والاخلاص ، ولا تعرف المجاملة والنفاق .. والى انتهاز الفرص التى لا تدرك الا باليقظة والمبادرة وسرعة البت والتنفيذ .

والحسم يقابله التردد ، وفى متاهات التردد ودروبه الملتوية وشعابه المظلمة تضيع معالم الطريق ، وتبعد رؤية الهدف ، وتكثر التخمينات والحدسيات ويتولد من الوهم أوهام ، ويتمخض الفرض عن فروض ، ويتفرع عن الاحتمال احتمالات ، ويبعد القريب ، ويعظم الصغير ، ويتراءى السراب ماء وعود الثقاب بركانا والذبابة طائرة ، والتردد لا يحل مشكلة ، ولا يفصل فى أمر ، ولا يؤدى الى نجاح قضية صغرت أو كبرت . خصت أو عمت ، والمتردد يغرق فى شبر ماء ويضل الطريق وسط الأضواء الكاشفة والعلامات الهادية ، والتاجر المتردد لا يربح لأنه يبالغ فى احتمال الخسارة ، والخائف المتردد لا يأمن لأنه يتوهم أن الخطر يحيط به من كل مكان ، والمسئول المتردد لا يحل عقدة ، ولا يبرم أمرا ولا يقطع برأى ، والقائد المتردد يحارب ولا يحارب ، ويغزى ولا يغزو ويعرض نفسه وجيشه للفتك والابادة ، والتردد مزرعة خصبة للمساومات والتنازلات عن الحقوق ، وهو يحل العزم ويوهن الارادة ويبدد القوى .

يقول الأستاذ احمد امين : أكره ما أكره التردد . يقدم الرجل رجلا ويؤخر أخرى ، ويقدم ثم يحجم ،ويحجم ثم يقدم ، وتفوت بذلك الفرص وتتعقد الأمور، وكثير من الناجحين فى الحياة انما نجحوا لبتهم لا لترددهم . .وكان العرب يمدحون الفتى بسرعة البت وقوة الحزم ويقول قائلهم :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويحمل على التردد الهرب من المسئولية فان العمل تصحبه المسئولية دائما ،فهو يفضل الا يعمل حتى لا يسأل ، وهذا عين ما تقع فيه حكومات

الشرق ــ تتردد حتي لا تسأل ، وتسير على الطريقة المتبعة حتى لا تسأ لدائما عن السوابق حتى تأمن الخطأ ، ولذلك قل عندها التجديد ، وعندى أن البت مع الخطأ خير من التردد مع الصواب .

والحسم يلازمه أمهات الفضائل : الحزم والعزم والارادة القوية والثقة والثبات وقوة العقيدة والنصر والنجاح فى الحياة .

والتردد يلازمه أمهات الرذائل : الجبن والضعف ، وفقدان الثقة بالنفس والشك ووهن العزيمة والارادة والهزيمة والاخفاق فى الحياة .

العقيدة والحسم :

وألزم ما يكون الحسم فى مجال العقيدة ، فهى لا تقبل المساومة ، ولا الالتقاء فى منتصف الطريق ، ولا موضع للمجاملة على حسابها ، والانتقاص منها ، وصاحب العقيدة لا يتخلى عن شىء منها لأن الصغير منها كالكبير ، بل ليس فى العقيدة صغير وكبير . انها حقيقة واحدة متكاملة الاجزاء . لا يطيع فيها صاحبها أحدا ، ولا يتخلى عن شىء منها أبدا ، واهل الباطل على استعداد للتخلى عن كثير من عقيدتهم وقد حسم القرآن الكريم الأمر فى المساومات التى حاول بها كفار مكة أن يزحزحوا رسول الله عن عقيدته ، أو يصرفوه عن المضى فى تبليغ رسالة ربه .

لقد ساوم مشركو مكة رسول الله ، وارادوا على عادة المساومين أن يلتقوا معه فى منتصف الطريق ، وطلبوا منه أن يداهنهم ويلاينهم بعدم تسفيه عبادتهم وسب آلهتهم ليعايشوه ويتابعوه فى بعض ما جاء به ، وأغروه بالمال والجاه وبالملك ، ولكن الرسول كان حاسما فى موقفه من دينه لا يداهن فيه ولا يلين وهو من هو الين الناس خلقا واحسنهم عشرة ، فاما الدين فهو الدين وأما العقيدة فهى العقيدة ، ونزل القرآن الكريم يحذر الرسول من مساومة المشركين ويفضح حقيقة أمرهم قال تعالى : « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

ويروى ابن اسحاق فيقول « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة ــ الأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت حظك منه،فقطع الله هذه المحاولة ، وافسد المساومة ، وفصل بين عقيدة وعقيدة ، وأنزل : « قل يا أيها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين » .

نزلت هذه السورة بهذا الجزم ، وبهذا التوكيد وبهذا التكرار لتنهى كل قول وتقطع كل مساومة .

مواقف حاسمة :

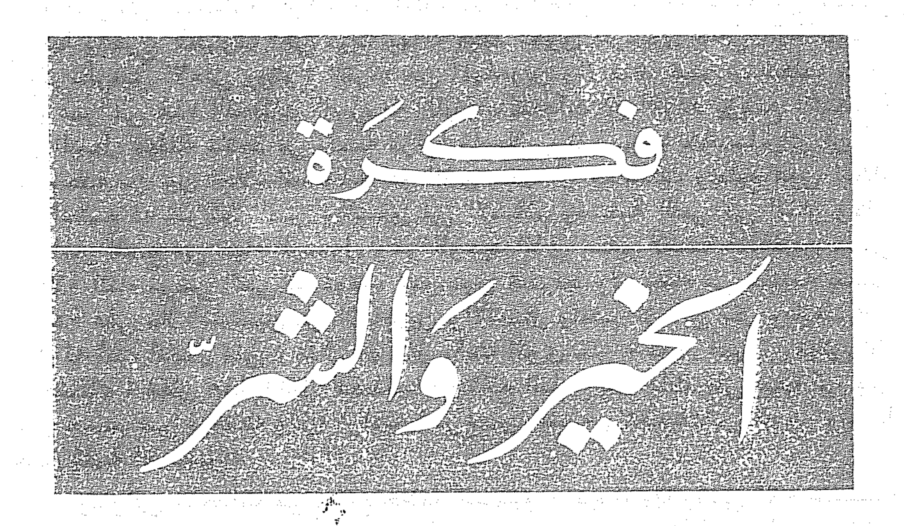
ويذكر التاريخ الاسلامى من مواقف عمر بن الخطاب الحاسمة موقفا فريدا وقفه عمر لتوه ولحظته ولولاه لعصفت ريح الخلاف بالأمة الاسلامية فى اشد اوقاتها واحرج الظروف التى مرت بها ، فبعد لحوق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ووقوع الفرقة بين المهاجرين والأنصار فيمن يستخلف بعده رأى عمر فى هذه اللحظات السريعة المليئة بالمفاجآت ان التردد يوسع الشقة وأن التمهل مهلكة فاتخذ فى نفسه قرارا فاصلا ووقف موقفا حاسما رأى أن أبا بكر وحده من بين اجلاء الصحابة هو الذى يجب أن يستخلف ويبايع دون ابطاء فقد اجتمع له شرائط السن والسبق فى الاسلام وصحبة النبى فى الغار وكان اول امير للحج فى حياة الرسول وهو الوحيد الذى اختير لامامة المسلمين فى الصلاة أثناء مرض النبى ــ فوقف عمر دون تردد ولا ابطاء فى سقيفة بنى ساعدة على ملأ المسلمين من المهاجرين والأنصار وتقدم الى ابى بكر وبايعه ، وقال له أنت أفضل منى ، فقال أبو بكر وأنت أقوى منى ، فقال عمر ان قوتى لك مع فضلك ، فكان هذا أفضل الخطاب ، وتتابع الناس بعد ذلك على بيعة أبى بكر فكان حسم عمر ويقظته وقوة ارادته أسرع من الفتنة واقطع لدابر الفرقة وسببا لجمع كلمة المسلمين .

وتتوالى الأحداث فى مطلع خلافة الصديق ، فيواجهها رضى الله عنه بالحسم والعزم .. يمضى بعث أسامة بن زيد ، ويضرب بتحذير المحذرين عرض الحائط ويقول : والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة .. وتنبت فتنة الردة ويغضب الصديق غضبته ، ويقابل الفتنة من بدايتها الى نهايتها بما يتطلبه الموقف من اليقظة والسرعة وقوة البت والتنفيذ ويقول « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا لقاتلتهم عليه » ولولا حسم أبى بكر لتغير وجه التاريخ قال أبو رجاء البصرى : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ، ويقول له : انا فداؤك ولولاك لهلكنا ، قلت : من هذان . قالوا عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

ان النجاح فى القضايا المصيرية يتوقف على الحسم والسرعة والمبادرة ، فليس يكسب المعركة القائد الذى لا يقدم الا اذا كان واثقا من نصره ، مائة فى المائة وليس يكسب المعركة القائد الذى لا يريد أن يضحى بشىء من جنوده ، والعربى المجرب عبر عن هذا بمثله السائر « من مأمنه يؤتى الحذر » ، والله جل شأنه يقول لرسوله الكريم : « فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى





للدكتور/محمد محمود قاسم

لقد عالج المفكرون الاسلاميون فكرة الخير والشر بصور مختلفة ، وربطوا بينها وبين القضاء والقدر ومشيئة الله المطلقة . والخلاف في هذه المسائل بين اكبر طائفتين من علماء المسلمين ونعني بهما المعتزلة والاشعرية اشهر من ان يشار اليه . وقد سبق ان عرضنا لهذا الخلاف في دراسات سابقة (١) ، مما يعفينا من تكرار انفسنا ، اذ من الافضل ان نعرض وجهة نظر جديدة ربما كانت اكثر خصوبة على المستويين الفلسفي والديني . ونعني بذلك وجهة نظر محيي الدين بن عربي الذى خصص لهذه المسألة جانبا كبيرا من عنايته وتفكيره . ونسارع الى القول بانه عالج موضوع الخير والشر من الناحيتين الميتافيزيقية والدينية وما يترتب على ذلك بالنسبة الى كل من السلوك الانساني في الحياة ومسالة الثواب والعقاب .

وقد يبدو ، في النظرة الاولى ، أن هنـــاك تفاوتا في تفكيره في هـــذين المستويين . لكن يجب أن نقرر أن النظرة الموضوعية كشفت لنا عن أن فكرة واحدة تسري في كل ما كتبه في هذا الموضوع . ويمكن تلخيص هذه الفكرة في أنه كان يؤمن بأن افعال الله كلها خير ، وأن الشر لا يظهر في العالم الا بسبب

تركيب الكائنات واستعدادها لقبول هذا الخير الالهى بدرجات متفاوتة ، بل هو أمر عارض بسبب وجود هذا العالم مما يوحي الى ابن عربى أن الخير هو الاصل ، وان رحمة الله ستعم الجميع فى نهاية الامر ، أشقياء كانوا أم سعداء وسنرى أن هذه الفكرة التى يعرضها هنا فكرة ملحة لديه ، وربما يرجع الحاحها عليه الى انه كان من هؤلاء الذين يسلكون ، فى ارشاد الآخرين ، مسلك الترغيب، انهما منهجان مختلفان . ونعتقد أن لكل منهج منهما انصاره ، نظرا لاختلاف طبائع الناس وامزجتهم ، وعاظا كانوا أم موعوظين . اما من جانبنا فانا نفضل أن نعرض وجهة نظر ابن عربى بأمانة وموضوعية تاركين لغيرنا الحكم له او عليه .

* * * * *

النظرة الميتافيزيقية :

ان هذا المتصوف يقرر لنا أن المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بأن الوجود هو الخير المحض ، وأن العدم هو الشر المحض . وأن تلك حقيقة لم يدركها بعض الناس بسبب ما يكتنفها من غموض . ثم يقص علينا أن بعض سفراء الحق ، ويعني به خاطرا من خواطره قال له : ان الخير فى الوجود وان الشر فى العدم ، وكان ذلك ، كما يقول هو ، فى حديث طويل علم منه أن الله له الوجود المطلق من غير تقييد . فهو اذن الخير المحض الذي لا شر فيه وان هذا الوجود المطلق يقابله العدم المطلق ، وهو الشر المحض الذى لا خير فيه . لكن لما كان العدم المطلق لا وجود له ، فليس هناك شر محض . (٢) لكن هناك نوعا آخر من العدم وهو ما يطلق عليه ابن عربى العدم الاضافى أو النسبى ويريد به كائنات هذا العالم عندما كانت مجرد ممكنات فى العلم الالهى ، قبل أن تخرج الى حيز الوجود . وانما سماها بالعدم الاضافى لان الوجود الذى تكتسبه ، فيما بعد ، ليس أصيلا فيها . بل هو وجود عارض أو معار ، فهى تخرج من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، ثم تعود الى العالم الذى يسميه أيضا بخزائن الجود الالهى . فاذا نحن سلمنا بوجود هذا العدم النسبى أو الاضافى أمكن أن نسلم بوجود الشر النسبى فى كائنات هذا العالم عندما أكتست بحلة الوجود . لكنه شر عارض وليس أصيلا فيها على نحو ما سنفصل القول فى ذلك

وانما كان الله هو الخير المحض فى نظر ابن عربى لان الله قد وصف نفسه بأنه نور السموات والارض . فهو الخير المحض والوجود المحض لأن « الوجود نور والعدم ظلمة فالشر عدم » (٣) ، ومن ثم يجب ان يوصف العالم الذى خرج الى نور الوجود بأنه خير ، ولو عرض فيه ما يوهم وجود الشر . واذا كان الله قد اعطى الوجود للعالم فليس من الممكن أن يحتوى هذا العالم على شر أصيل فيه ، بل انه ما ظهر عن الله الا بصورة ما هو الامر عليه ، وما فى الاصل شر ، لكن اذا قلنا بوجود هذا الشر العارض فى الكون فالى من ننسبه ؟ أننسبه الى العالم أم ننسبه الى الله ؟ إنه لا يمكن أن ننسبه الى الوجود المحض . كذلك لا يمكن أن ننسبه الى العالم ، ما دام فى قبضة الله ، وهو الخير المحض التام (٤) . فلم يبق الا أن ننسبه الى طبيعة الكائنات الممكنة التى وإن خرجت الى الوجود ، فلا بد أن يدركها العدم الذى يترقبها . فبقدر ما تنطوى عليه من عنصر العدم ينسب الشر اليها . أما الوجود الدائم فهو خير كله . لكن ما دامت

هذه الكائنات موجودة بالفعل فان الشر الذى تنطوى عليه ليس الا شرا عارضا « ونحن فى الخير ، وان مرضنا فانا نصح . فان الاصل جابر ، وهو النور » (٥).

واذا كان الامر كذلك ، فيمكن القول ، تبعا لوجهة نظر ابن عربى ، بان هذا العالم الذى خلق من اجل الخير ، لامن اجل الشر ، قد خلق لتحقيق السعادة فاذا وقع الشر لبعض الكائنات فقد وقع بحكم العرض ولحكمة الهية « لأن الخير المحض الذى لا شر فيه ، وهو وجود الحق الذى أعطى الوجود للعالم ، لايصدر عنه الا المناسب وهو الخير خاصة . فلهذا كان للعالم الخير بالذات » غير انه من الواجب أن نفرق دائما بين الله والعالم . ذلك أن الله غنى عن العالم ، والعالم مفتقر اليه دائما فى وجوده ، ان الله يوجد لذاته فهو الوجود المحض فكيف للعالم الذى يقبل الوجود والعدم أن يكون فى مرتبة خالقه ؟ والشىء الذى يقبل الوجود والعدم هو الشىء الممكن وهو الذى يعرض له ان يظهر فيه الشر لان امكانه لا يحول بينه وبين العدم . فبهذا القدر ظهر الشر فى العالم . فما ظهر الا من جهة الممكن لا من جانب الحق (٦) . فالخير كله من الله ، أما ما يبدو فى مظهر الشر فهو من جانب المخلوق .

اننا نصف الاشياء عادة لانها لا تتلاءم مع اهوائنا أو مصالحنا الخاصة ، فنجعل انفسنا مقياسا لتحديد طبيعة الخير والشر فيها . أما فى حقيقة الامر فان للعالم خيره الذاتى . وهنا نجد ابن عربى يعلل فكرته هذه على ضوء ما جاء فى القرآن من الاستدلال على وجود الله بوجود العالم . فان الدليل ، وهو العالم ، يكتسب صفة الخير من المدلول عليه ، أى من الله . ولما كان الدليـــل يشرف بشرف المدلول ، والعالم دليل على وجود الله ، فالعالم شريف كله . فلا يحتقر شىء منه ولا يستهان به . هذا اذا اخذنا من جهة النظر الفكرى . وهو فى القرآن « افلا ينظرون الى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت . . . » وكقوله « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » وقوله « أن فى خلق السموات والارض . . الآية » وكقوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وامثال هذه الآيات . وأما عند أهل الكشف والوجود فكل جزء فى العالم أوجده الله لابد أن يكون مستندا الى حقيقة الهية . فمن حقره أو استهان به حقره خالقه واستهان به . . . . وكل ما فى الوجود فانه حكمة أوجدها الله ، لأنها صنعة حكيم فلا يظهر الا ما ينبغى كما ينبغى . فمن عمى عن حكمة الاشياء فقد جهل ذلك الشىء . ومن جهل كون ذلك الامر حكمة فقد جهل الحكيم الواضع له ، ولا شىء اقبح من الجهل (٧) وقد يعترض بعضهم فيقول لابن عربى : انك تصف كل شىء يوجد فى العالم بانه خير وحسن ، ثم نراك تحكم بقبح الجهل ، والجهل كأى شىء آخر لا بد أن يستند الى حقيقة الهية ، ويجيب ابن عربى : ان الجهل ليس شيئا وجوديا ، وانما هو مجرد علاقة أو نسبة : فالجهل انما هو عبارة عن عدم العلم لا غير . فليس بأمر وجودى . والعدم هـــو الشر . والشر قبيح لنفسه حيثما فرضته ولهذا ورد فى الحديث الصحيح : والخير كله بيديك والشر ليس اليك . فما نسب الشر اليه . فلو كان الشر امرا وجوديا لكان ايجاده الى الله ، اذ لا فاعل الا الله . فالوجود كله خير ، لانه عن الخير المحض وهو الله تعالى . أما العـــالم فليس وجودا على الحقيقة لانه مفتقـــر الى الله دائما ، ولذلك نرى ابن عربى يصفه احيانا بانه ظل الوجود المحض .

اذن ليس الشر الذى قد يعرض للمخلوقات شرا فى ذاته من حيث ان الله اوجده ، ولكنه يبدو شرا فى نظر المخلوق الذى يجد انه لا يناسبه « فمن حيث وجود عينه هو الى الله ، ومن حيث كونه شرا ليس الى الله » فالمؤمن هو الذى ينفى ما نفاه الرسول عن ربه عندما قال : والشر ليس اليك . (٨) واذن لا ينسب الى الله الشر المحض ، وهو العدم المطلق ، كما لا ينسب اليه الشر العارض او المقيد بالكائنات التى يحتوى عليها العالم . فان ذلك كله ينبغى الا يضاف الى الله ادبا وحقيقة . (٩) ومن ادب الانبياء انهم ينسبون كل خلق حسن منهم الى الله ، وينسبون كل سوء الى انفسهم . « فهم يطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم ولا مقامهم . فلا يزاحمون احدا فى شىء مما يتحققون به فى نفوسهم ... من الاخلاق الالهية ، فيكونون مع تحققهم بمعانيها وانطباق أحكامها على ظواهرهم ، من الرحمة بالعباد والتلطف بهم والاحسان اليهم ، والتوكل على الله ... ويظهرون فى العالم ان جميع ما يجرى عليهم ان ذلك فعل الله ، لا فعلهم ، وبيد الله لا بيديهم ... فيبرءون من افعالهم الحسنة غاية التبرى . وينسبون ما يعد شرا الى انفسهم لا الى الله ، كما فعل الخضر عندما نسب خرق السفينة الى نفسه لا الى ربه » (١٠) .

ويصف ابن عربى هذه المسألة — ويريد بها نسبة الخير الى الله ونسبة الشر الى المخلوق — بأنها من اغمض المسائل الالهية . لقد اعتمد اهل التفكير النظرى ، من اشاعرة ومعتزلة ، فى تحديد وجهة نظرهم فيها ، على ما هداهم اليه دليلهم النظرى . اما اصحاب الكشف الصوفى فهم الذين يقول عنهم : انه قد غلب عليهم فهم مقاصد الشرع فتابعوه « وذلك ببركة الورع والاحترام الذى احترموا به الجانب الالهى ، حقيقة لا مجازا » ولذا فان ادبهم مع الله ، الذى ورثوه عن الانبياء ، هو الذى ارشدهم الى فهم حقيقة ما جاء فى الكتب السماوية على السنة الرسل مما لا تستقل العقول بادراكه وما تستقل ، لكن اخذوه عن الله لا عن نظرهم ، وهم اهل الورع الذين جعلوا شعارهم قول الرسول : دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، وقوله : استفت قلبك ولو افتاك المفتون ، فاحالهم على قلوبهم « ففى القلوب عصمة الهية لا يشعر بها الا اهل المراقبة » (١١) .

ويفسر لنا هذا المتصوف كيف فهم مقصد الشرع فى هذه المسألة الغامضة عند حديثه عن ادب الرسول الذى كان يحمد الله على السراء والضراء ، فيقول فى هذا الموطن ان الرسول كان بشرا ، وكان يحس بالالم الحسى والنفسى ، كما كان يحس باللذات الحسية والمعنوية ، لكنه كان يحمد الله على كل حال . ذلك أن ما يعرض فى العالم من احوال وشئون لا يؤثر تأثيرا واحدا فى البشر ، بل يختلف باختلاف قبولهم له . فان ما يتضرر به احدهم قد يكون نفعا لغيره . فالعلة اذن فى الاشخاص . ذلك ان الامر الاتى من الله واحد العين لا انقسام فيه ، فينقسم أمره فينا ويتعدد . إنه لا يصدر عن الخير الا الخير ، والخير وجود كله والشر عدم كله . اما ما نعده نحن شرا فليس له ، فى رأى ابن عربى ، حقيقة موضوعية ، وليس قولنا انه شر الا حكما من جانبنا ، والاحكام امور نسبية تختلف باختلاف الاشخاص . فما فى الوجود الا الخير وان تنوعت صوره فظهر فى بعض الاحيان لبعض الناس فى مظهر الشر (١٢) ولو كان للشر وجود حقيقى لكان بيد الحق فان بيده ملكوت كل شىء وهو خالق كل شىء (١٣) واذن

فما من أمر يعرض فى هذا العالم الا وأمكن أن يكون مصدر لذة أو الم بالنسبة الى الناس . لكن يجب ان يحمد المرء خالقه ، على كل حال ، سواء أصابه الخير أم اصاب غيره بدلا منه . فمن وجد خيرا حمد الله حمد السراء ، ومن وجد سوءا حمد الله حمد الضراء . وهذا افضل من الضجر والسخط ، بل هذا نوع من الفضل الالهى على من الهمه الله ان يحمده على الضراء أيضا ، فيزيده الله فضلا بأن يزيل الضراء عنه « وهذا معنى دقيق مندرج فى الحمد لله على كل حال انه مساو لحمد السراء » .. وهذا من جوامع الكلم التى اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤) ثم يوضح لنا ابن عربى هذا المعنى الدقيق ، فيقول: إن الضراء التى يقابلها العبد بالحمد تنطوى ، دون ريب ، على شىء من السراء ، ولولا ذلك لما كان الحمد فى حالة الضراء ثناء على الله وهو من الخير « والحمد ثناء بلا شك فى نفس الامر . فما فى العالم ضر لا يكون مشوبا برحمة » .

• • • • •

لكن كيف عرض للعالم أن توجد فيه ضروب من الشر ، دون أن تنسب هذه الشرور الى الخالق ؟ ان مصدر هذا الشر العارض فى العالم يرجع الى طريقة تركيبه . فاذا كان العالم الالهى أو عالم الامر خيرا محضا لا شر فيه . فان عالم الخلق هو عالم الاشـياء التى تتركب من عناصر مختلفة ومتنافرة . فضروب التركيب بين هذه العناصر هى التى تؤدى الى ظهور الشر (١٥) . ولهذا السبب سألت الملائكة ربها كيف يخلق فى الارض خليفة يكون سببا فى سفك الدماء وفى الفساد ، نظرا لأنه مؤلف من عناصر متنافرة « والتنافر نزاع ، والنزاع يؤدى الى الفساد » غير ان الله قضى بأن يخلق آدم لأن ما سيترتب على خلقه من شر يدخل فى نطاق ما قررته الحكمة الالهية من صلاح العالم بوجوده ، اذ يوجد خير كثير فى خلق الانسان الى جانب ما يترتب على وجوده من شرور (١٦) فالخير فيه من روح الله الذى يجب الاعتصام به من شرور عالم الخلق . والشرور كلها تنسب الى عالم الخلق . أما الخير فينسب كله الى عالم الامر . فالارادة السابقة لله تريد تحقيق الخير . وهناك إرادات لاحقة سمحت بوجود الشر العارض القليل الى جانب الخير الاصيل الكثير حتى يصلح هذا العالم . وهذه الارادات اللاحقة تنسق مع ما قدره الله من تركيب الكائنات من عناصر متنافرة (١٧) فالله قد أعطى الوجود للكائنات أولا « وهو الخير الخالص ثم لم يزل يعطى ما يستحقه الوجود مما به قوامه وصلاحه ، كان ما كان ... فما ثم الا الخير سواء سر أم أساء ، وهذا السرور أو النعيم هو المطلوب . لكنه قد لا يتحقق الا بعد الاساءة لما يقتضيه مزاج التركيب » .

فالشر اذن وليد طبيعة الممكنات التى يجود عليها الله بعطائه ، لكنه شر عارض فى الوجود « وكل عارض زائل » وقد سمى الله نفسه باسم المعطى والنافع والضار لكن عطاءه كله نفع . ومع ذلك فان بعض الكائنات قد تتضرر بسبب هذا الجود أو العطاء الالهى « فيتضرر به ولا يعلم ما فيه من النفع الالهى فيسميه ضارا » وهو يجهل أن ذلك لايرجع الى طبيعة العطاء الالهى بل يرجع الى طبيعة تركيب من يتقبل هذا العطاء . وهذا أمر تشهد به التجربة فان بعض الاشياء التى تعود بالنفع على بعض الأمزجة قد تكون ضارة لأمزجة أخرى فالممكنات هى التى تحدد بسبب تركيبها طبيعة الخير والشر . أما عطاء الله فكله خير « فما ثم من الله

الا الخير المحض كله . فمن اتساع رحمته انها وسعت الضرر ... فالضرر في الرحمة ما هو ضرر ، وانما هو خير » فالنعيم او الشقاء انما يرجع اذن الى طبيعة الكائن الذى يتقبل العطاء الالهى أو يرفضه . مثال ذلك أن الحر والبرد ما جاء كلاهما الا لتحقيق مصالح العالم . فهما ضروريان للنبات الذى يحتاج اليه البشر . ومع ذلك فانا نجد من يتأذى من البرد او من الحر . ولكنه لو راجع نفسه لعلم أن ما يتضرر منه شرط فى تحقيق ما يعود عليه بالنفع (١٨) . فالانسان هو الذى يرى الخير فيما يوافقه ويرى الشر فيما لا يوافقه ، فى حين أن افعال الله كلها خير « بالريح كان النصر والدمار . فاختلفت الآثار ، والمين واحدة صالحة فاسدة ، تطفى السراج وتشعل النار ، والهبوب واحد من عين واحدة » .

• • • • •

لكن قد يتساءل المرء : ولماذا اختلفت طبائع الكائنات فى هذا العالم مما يؤدى الى ظهور الشر او النقص فيه ؟ وله ان يقول ايضا : اذا كان العالم خيرا فى ذاته وليس الشر فيه الا ظاهرة عارضة افلم يكن من الخير الا يحتوى على هذا الشر العارض ؟ واذا لم يكن بد من الشر افلم يكن من الخير الا يخلق هذا العالم اطلاقا ؟ وتلك هى الحجة التى يعتمد عليها اهل الالحاد عادة ، اذ يرون ان العالم ملىء بالشرور . ولو كان هناك اله خير لجرد هذا العالم من الشر حتى تتحقق السعادة للبشر جميعا . ويجيب محيى الدين بن عربى هنا بأن ما يراه الناس من سعادة أو شقاء ومن عافية أو بلاء انما هو من تأثير الاسماء الالهية فى العالم . فالله له اسماؤه العديدة التى لا يمكن ان تكون راكدة أو معطلة فهو « يسمى بالمبلى والمعذب والمنعم » وكل انسان فى هذا العالم يقبل تأثير هذه الاسماء المتضادة . فمن الجائز أن يكون شقيا أو سعيدا ، وهذا المزيج من الشقاء والسعادة أو من العافية والبلاء من سر القضاء والقدر الذى فيه صلاح العالم (١٩) . « فالعالم كله ممكن ، قابل لأحد الحكمين اعنى الضدين » من سعادة أو شقاء . لكن هذا لا يمنع أيضا ، حسب قواعد المنطق ، من ان ينتفى عنه احد الضدين فى الحياة الأخرى فتعم السعادة والرحمة جميع البشر . وسنرى تفصيل رأى ابن عربى فى هذه المسألة فيما بعد .

ويبقى بعد ذلك ان اخراج الكائنات من حالة الامكان أو حالة العدم النسبى أو الاضافى انما هو من صميم الخير ، اذ تخرج من شر العدم الى الوجود وهو خير محض لا شر فيه . وانما يعرض هذا الشر لتلك الكائنات بسبب العدم الذى يترقبها فى نهاية الطريق . ذلك انها لا توجد فى العالم الا الى اجل مسمى . وذلك هو ما تكشف عنه التجربة الانسانية بحسب الواقع . فان المرء اذا فكر فى نفسه وكان سويا فلا بد له من أن يشعر بنعمة الوجود . لكن هذا النعيم ليس خالصا لانه يشعر فى اعماق نفسه أنه كائن عابر ، وانه لم يكن شيئا قبل وجوده الحالى . ولما كان الموت ينتظره فى نهاية طريقه فانه يشعر بالالم والضيق . ان هذا الشر الذى قد ينغص عليه حياته هو أن يدرك انه كائن عابر فى هذه الحياة .

ومع ذلك فكثير من الناس ينسون الموت فلا يشعرون بهذا الضيق فى اثناء الحياة حتى يفاجئهم الموت ، مما يقوم دليلا واقعيا على أن الوجود فى مختلف مستوياته

سواء كان وجودا سعيدا أم شقيا ، هو من صميم الخير . كذلك تشهد التجربة العادية أن أكثر الناس يفضلون الحياة بما فيها من شرور وكوارث على المـــوت ، وما أظن أن شاعرا متبرما بالحياة ، ومتشائما فيها تشاؤم أبى العلاء المعرى لم يشعر بضرب من النعيم والسعادة عندما أفاض فى ذم هذه الحياة والتنكر لها . وان مجرد الحرص على الحياة دليل على أن المرء سعيد بها رغـــم لعناتـــه التى يصبها عليها . فهو سعيد ما دام هذا الوجود يصحبه ، وهو لا يتألم أو يشقى أو يشعر الا اذا فكر فى العدم الذى سبق هذا الوجود (٢٠) والله لم يخرج العالم بأسره من العدم الذى هو شر الا الى الخير الذى أراده له. وليس هذا الخير سوى الوجود . ويمكن القول بأن العالم قد وجد من اجل الخير اصلا . أما اذا عرض له الشر فذلك راجع الى طبيعته ككائن ممكن . وكل ممكن له وجهان : وجه الـــى الحق ووجه الى غير الحق ، فله وجه الى الحق من حيث هو موجود ، ووجه الى غير الحق من حيث يلحقه العدم (٢١) .

واذا ضاق بعض الناس بوجود ضروب من الشر أو النقص فى العالم فان ابن عربى سعيد بوجود هذا النقص لأنه يراه ضروريا لكمال العالم .

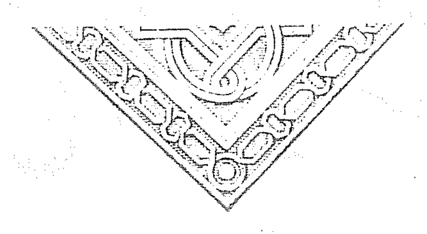
وانى لأهوى النقص من اجل منأهوى — لأن به كان الكمال لمن يـــدرى
وما جاء بالنقصـــان الا مخافـــة — من العين مثل البـــدر فى آخر الشهر
وما نقص البدر الـــذى تبصرونـــه — ولكنـــه بـــدر لمـــن غاص بالفكر
يـــراه تمامـــا كاملا فى ضيائـــه — على اكمل الحالات فى البطن والظهر
فلو لم يكن فى الـــكون نقص محقق — لكان الوجود الحق ينقص فى القـــدر
فبـــى كان للحق الوجـــود كمالـــه — مع النقص فانظر ما تضمنه شـــعرى
غزال من الفردوس جـــاء منقبـــا — من اجلى، وما يخفى على الله ما يجرى
فقلت له أهـــلا وسهـــلا ومرحبـــا — بمن،وحياة الحب،ضمه صدرى (٢٢)

ان العالم هو صنعة الرحمن . وكل ما يوجده الرحمن أو يصدر عنه لا بد من أن يحتوى على الرحمة . واذا انطوى بعض هذا العالم على الوان من البـــلاء أو الغصص فذلك لرحمة فيه . ومن الضرورى أن يتجرع المرء هذه الغصص كمـــا يتجرع الدواء النافع مع كراهيته له . فالدواء كريه ، لكن فيه رحمة لمن يتناوله . فباطنه فيه الرحمة ومن قبله العذاب (٢٣) . فما من باب يفتح من عند الله الا كان من أبواب الرحمة . وهناك نوعان من الرحمة ، احداهما خالصة لا أثر للألم فيها . أما الأخرى فباطنة لأنها تحتوى على ألم عارض ثم تبـــدو خالصـــة آخر الامر . « فالآلام عوارض واللذات ثوابت . وكل شىء وله حكمته لأن الله عزيز حكيم يضع الأمور مواضعها وينزلها منازلها (٢٤) » .

ان الأحوال التى تطرأ على العالم يمكن ان توصف بأنها صلاح أو فســـاد له . « ولكن فى نفس الأمر لا يصح أن يعرض للعالم فساد ولا صلاح فيه . فانه يكون خلاف ما أريد له وجوده . وأما صلاح لا فساد فيه فهو الواقع المراد لصانع العالم . فانه لذلك خلق العالم » ..

لو لـــم يكـن فى الوجـود نقص	لـــزال عـــن رتبـة الكمـــال
لكنــــه ناقص فابــــــدى	كمالـــــه فيــه ذو الجـــلال
فكـل صنـــع مـن كل خلـــق	لــم يخلـــه اللــه مــن جمـــال

ان بعض الناس يؤكدون أن العالم يحتوى على ضروب من النقص الحقيقية وانه ليس افضل عالم ممكن . ولو لم يوجد امثال هؤلاء الذين يصدرون مثل هذا الحكم لكان الوجود ناقصا . فمن كمال العالم ان يوجد فيه هؤلاء الذين يصفونـه بالنقص والاضطراب .



---

(١) انظر كتابنا دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الثالثة دار المعارف ، ومناهج الادلة فى عقائد الملة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ، وابن رشد وفلسفته الدينية ١٩٦٩ .

(٢) الفتوحات المكية مجلد ١ ص ٤٦ و ٤٧ ، ٦٥٦/١ .

(٣) فتوحات ٤٨٦/٢ .

(٤) فتوحات ٣١٥/٣ .

(٥) فتوحات ٤٨٦/٢ .

(٦) فتوحات ٢٨٩/٣ .

(٧) فتوحات ٢٥٨/٣ .

(٨) فتوحات الباب ٤١٣ .

(٩) فتوحات ٤٢٠/١ .

(١٠) فتوحات ١ /٢٤٥ .

(١١) فتوحات ٢٤٦/١ .

(١٢) فتوحات ٣٧٢/٣ .

(١٣) فتوحات ٣٦٩/٣ .

(١٤) فتوحات الباب ٤٦٨ .

(١٥) توجد هذه الفكرة عند « ليبنتس » .

(١٦) يرى « ليبنتس » أن جميع الشرور فى العالم تدخل فى الخطة الالهية الخيرة لخلق العالم .

(١٧) فتوحات ٥٧٥/٢ ، وتوجد هذه الفكرة ايضا عند ليبنتس .

(١٨) فتوحات ٢٥٧/٣ .

(١٩) فتوحات ٣٦٣/١ .

(٢٠) فتوحات ٢٠٨/٣ .

(٢١) فتوحات ٣٧٧/٣ .

(٢٢) فتوحات ٣٦٠/٢ .

(٢٣) فتوحات ٥٦٤/٣ ــ ٥٦٥ .

(٢٤) فتوحات ٢٠٧/٣ .

طريق الايمان

للاستاذ : امين شنار

نظرة في الواقع :

تعالوا نتصور جماعة من الناس وجدوا أنفسهم في بيت لا يعرفون كيف دخلوه ، ولا من أين جاءوا اليه ، ولا ماذا يريدون منه ، ولا ماذا يراد بهم فيه ، بل هم لا يذكرون شيئا من حياتهم قبله . نحن ، إذا ، أمام حالة من حالات فقد الذاكرة المطلق . ماذا ترى يكون من أمرهم هناك .. ؟

انهم يملكون الحواس التي تمكنهم من اكتشاف البيت ، ومعرفة ما فيه وما يحيط به ، ويملكون العقل الذي يستطيع أن يفسر ما تنقله اليه الحواس فيخطيء أو يصيب ، بما له من خاصية التفكير المقيد المحدود ، وفيهم جوعات تلح عليهم بطلب الاشباع ..

لكن ذاكرتهم المعطلة تظل جاثمة عليهم كالكابوس ، من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟ والى اين .. ؟

منهم من يلقي بنفسه — ابتداء — في ضجيج جوعاته ، ويسخر حواسه وعقله لاشباع هذه الجوعات ، فيتوارى بذلك عن السؤال ولو خداعا والى حين ..

ومنهم من يحاول بحواسه الظاهرة أن يتصدى للجواب ، فلا يخرج عما تمنحه اياه تلك الحواس مما تملك أن تقرر لاول وهلة : « أنا هنا لأنني موجود هنا . مخلوق هنا . وعليّ أن أتدبر شؤوني ، وأحيا » . وعندما يكتشف أنه في مواجهة السؤال ما يزال ، يتشاغل عنه أيضا ، بالعيش .

ومنهم من يمده عقله بفكر هو نتاج حواسه الظاهرة التي طمس عليها ظلام الذاكرة ، فيسلمه هذا الفكر من دوار الى دوار ، يهدهد فيه

السؤال . ثم يخلص به في خداع للنفس ، إلى أن السؤال ذاته وهم أو ترف ، فيصرخ مكابرا : ان هذا البيت ، هو عالمي الاول والاخير !

لكن الذاكرة المعطلة تظل هي الكابوس ..

وفي البيت تنشأ علاقات ، وتتعدد تجارب ، وترتطم الرؤوس كلها بالجدران المسدودة فتستيقظ ، شيئا فشيئا ، حواس خبيئة تلح في السؤال : من أين ؟ والى أين ؟ .. ويكتشف القوم غربتهم عن المكان ، ويكتشف كل منهم غربته عن صاحبه .. فلكل عالمه الخاص ، وسؤاله الخاص ، وموته الخاص . نعم .. فهم ، كما جاءوا الى هذا البيت ، فيما يعرفون ، دون اختيار منهم ، يموتون ، كذلك دون اختيار ، واحدا بعد واحد ، يحمل كل سره الكبير .

وفي مثل انبجاس الماء من الصخر ، في مثل اشراقة فجر بعد ليل دامس ، تلوح لواحد منهم ، استيقظت حواسه الخبيئة ، ملامح مضيئة من الذاكرة المطموسة ، تتخايل خجلى مثل بقع من النور تهتز وراء شباك مغلق غارق في الضباب .. والملامح لا تبين ، لكنها تغمغم : ((**انت جئت من مكان معين ، وفي أعماقك آثاره ، نقب عنها تجدها . وانت ذاهب الى مكان معين ، وفي اعماقك علاماته ، حدّق فيها ترها . وحواسك وطاقاتك محشودة كلها لرحلة مقررة ، وانت هنا في مهمة معينة ، ولغاية معينة ، وليس هذا البيت الذى انت فيه الا محطة على الطريق !**)) .

ويبوح هذا الواحد لرفاق الطريق بما يرى . فيفكرون : لماذا هو رأى ما لم يروا ؟ ثم .. ماذا يريد ؟ هل كل ما يفعلونه في البيت وهم والحقيقة غير ذاك ؟ هل يبدأون من جديد بعد عناء تاريخ طويل ؟ وكل ما اقاموه من علاقات .. هل يهدمونه ؟ وأية علاقات جديدة يقيمون ، لتكون جسرا بين عالمين من خيال يراهما هذا الدعيّ وحده دون سواه ؟؟

ويكذبونه .. ويمضون في تجاربهم بين الجدران : جدران المكان ، وجدران الزمان ، وجدران العقل ، وجدران الحواس . واذا مات منهم أحد فالى ظلمة مطبقة يمضي ؟ أما كان يعيش ، كذلك ، في ظلمة مطبقة ؟ ليس ، ثمت ، الا الظلام ! ليكن ! فهو ظلام استساغته الحواس وقد عاشت عمرا طويلا .. !

وصاحب (النبوءة) ماذا يفعل ؟ ان الحقيقة لتلوح له فعلا ، ولكن ضبابية من وراء زجاج غائم ثقيل . ذاكرته تصحو رويدا رويدا ، توقظها حواسه الخبيئة ، ولكن مثقلة بنعاس فظيع ، يهدد بالاستغراق في نوم آخر طويل . فهل تراه يعود ، ومعه (النبوءة) الى القطيع ؟ أم تراه يعيش ، وحده ، في غربة عن الجميع .. ؟

وفي كل واحد منهم ، يلوح ، بين الحين والحين ، من ظلمات الذاكرة ، ضياء ، يجعل لعيشه معنى ، لو هو ادركه بجلاء ، ليعرف الصلة بين أمس وغد ، لكنهم جميعا يتفقون بصمت ، على الصمت ، كي يستمر عيشهم المريح بلا وزر ينقض الظهر ، ولا تبعات جسام ، وعلى المهمة الكبيرة التي تلوح لهم خيوطها في غبش الليل ، السلام .. !

لكن أحلامهم ما تنفك تلون لهم اشياء واشياء ، كأنما هي تسخر منهم ، وتجسد لهم هذا التيه الذى فيه يعيشون .. ويرفضونها ! .. وموتهم اليومي يترصدهم ويومىء الى غد لهم مجهول .. أيرفضونه ؟ أيهزمونه ؟ وكيف ؟ بانهماك في العيش

ينسى الانســـــان نفسه ومبتداه ومنتهاه .. ؟!

وينقسمون ، بعد طول مطاف ، فريقين : واحدا يعيش فى جماعية طاغية ، ترى استمرار الحيـــاة للجماعة ، ولا تريد أن ترى موت الافراد .. وترى علاقات الانسان بالاشياء ، ولا تريد أن ترى علاقته بذاته وبحياته وبموته . والآخر يترك لأفراده العاديين البسطاء ان يذهبوا فى متاهات الفكر والعيش كمـــا يشاءون ، ويتســلط عليهم بالقوة المادية التى يمثلها فيه أفراد أقوياء يذلون القطيع اللاهى باشـــباع جوعاته الوحشية تحت عنـــاوين شتى ، ويستهوونه كل يوم بجديد ، يضمن لهم السيطرة والسيادة .

وبين الفريقين فريق ثالث ، تائه ، غامض التركيب ، غير محدد المعالم، تختلط خيوط النور فى ذاكرة افراده بخيوط الظلام ، فهم لا يقوون على أن يعيشوا النور الذى يكتنزون ، لأن الظلام فيهم أقوى ، وعجلة الحياة تســوقهم وراء الاقوياء الآخرين ، وغربتهـــم تطحنهم : غربتهم عن أنفسهم ، وغربتهم عن البيت ، فلا يستطيعون أن يكونوا شـــيئا أى شىء ، لا فى أنفسهم ولا فى البيت . ولا يملكون الا الصراخ ، كلما عربدت فيهم مأســـاتهم : انهم وحدهم يعرفون .. ! لــكنه صراخ عاجز مسكين اشبه بالهذيان .

ويظل البيت كله نهبا ممزقا للعزلة والشك ، يتعلل بالعبث ، ويرتطم بالجدران ، فى دهاليز اليأس ، فى هروب يتجدد ، مع كل مساء ، بين أنياب الذاكرة الملموسة المعطلة .. ولكن .. الى متى .. ؟

الطريق الى الحقيقة :

ضربنا هذا مثلا للانسان المعاصر ، فى عالمه المعاصر ..

هذا الانسان الذى يعيش كما لو كان هو كل شىء ، وكما لو كانت حياته هذه ، فى دنياه هذه ، هى أول المطاف ، وهى خاتمة المطاف .

هذا الانسان الذى يدوخـــه فى ظلمات نفسه سؤاله العتيق عمـــا قبل ، وعما بعد ، ولكنه فى زحمة الايام ، وتحت وطأة الهموم ، يعتبر هذا السؤال نفسه ضربا من الترف ، أو من الهذيان ..

فمن لهذا الضائع يزيح الغشاوة عن عينيه ؟ من له يحطم الاقفال عن قلبه ؟ من له يزيح الصدأ المتراكم عن روحه ؟ من له يجـــلو ذاكرته الملموسة ، ويفجر منها ينـــابيع الاشراق : تروى عقـــله ، وتهـــدى حواسه ، وتفرش له طريقه نورا يتخطى به الموت ، على بصيرة ، الى الخلود .. ؟

ما العقبة الحقيقية فى وجه ذلك كله ؟ : هل هى الحـــواس ؟ أم العقل ؟

بل ما السبيل الى ذلك كله : الحواس ؟ أم العقل ؟ أم طاقة معطلة فى الانسان ، هى فوق الحواس ، وفوق العقل .. ؟

الحواس ؟ ماذا تقول الحواس ؟ هل تراها تتذكر لو سئلت :

ــ « فلينظر الانسان مم خلق ؟ »

« الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم ؟ »

« فلينظر الانســــان الى طعامه »

« الم تر أن الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ؟ » « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض ، والفلك تجرى فى البحـــر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ؟ » .

العقل ؟ ماذا لو دعى العقل الى النظر بطريقـــة تفـــكيره العلمية المعاصرة ، الى كل ما فى الارض ثم

الى ما فى السماء ، هل تراه يتذكر ؟
— « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت ؟ » « أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ؟ » « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم ؟ » « قل انظروا ماذا فى السموات والارض ؟ » « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ! » « ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا ! » .

واذا بدأ العقل النظر ، مستنفرا طاقاته كلها : ما ادخر فيه ، وما اكتسبه ، ثم اذا وضع نتائج تفكيره العلمى موضع البحث العقلى المجرد : الا يصل — بالضرورة — الى ان الانسان والكون والحياة مخلوقة كلها لخالق خلقها ونظمها ؟ ان النداء يأتيه ، يلاحق تفكيره ، يقرر له نتائج بحثه سلفا ، لعله يتذكر :

— « افرايتم ما تمنون ؟ أانتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ » .

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » .

« أم خلقوا من غير شىء ؟ أم هم الخالقون ؟ » .

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى اتقن كل شىء » .

« وما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » . « وانبتنا فيها من كل شىء موزون » .

« ومن كل شىء خلقنا زوجين » .

« انا كل شىء خلقناه بقدر » .

« وأرسلنا الرياح لواقح » « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » .

« أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟ » .

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » .

« ان الله فالق الحب والنوى » .

ويصل العقل بعد طول مطاف ، بما تهديه اليه الحواس ، وما يقوده اليه البحث ، الى الحق الذى يضمحل بجانبه الشك ، ثم يزول الانكار :

— « ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » .

« أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ افلا تذكرون ؟ » .

« قال : ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

« ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ » .

« افى الله شك فاطر السموات والارض ؟ » .

« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه » .

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » .

لكن المطلوب ، لكى تشرق الذاكرة المظلمة ، ليس مجرد الاعتراف بأن للكون والانسان والحياة خالقا .. فذلك ما تؤدى اليه ضرورة العقل ، وما تشهد به الحواس بداهة ، وما تقر به الفطرة دون معاناة .. وقد يظل الانسان — رغم هذا الاعتراف — سجين ذاكرته المظلمة .. ان المطلوب هو حسن ادراك الصلة بهذا الخالق ، وعبادته ، واتخاذه إلها واحدا صمدا ، والاقرار بألوهيته فى الفكر وفى العمل ومع الانفاس ، والاذعان له فى كل أمر ، فالانسان — أراد أم لم يرد — مسوق الى خالقه كما بدأ منه . والخلق ما كان عبثا ، انما هو لأمر عظيم حقا :

— « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

« وما خلقنا السماء والأرض

وما بينهما باطلا » .

« افغير دين الله يبغــون وله اسلم من فى السموات والأرض »

« وهو الذى خلق الســموات والأرض بالحق » .

« اولم يروا أن الله الذى خلــق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى » .

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة » .

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » .

« افحسبتم انما خلقناكم عبثــا وانكم الينا لا ترجعون ؟ » .

الا أن العقل مقيد بحواســه ، محدود من حيث فكره ، فهو يصــل بفكره وحواسه الى التسليم بوجود الخالق عز وجل ، لكنه لا يصل بهما الى توحيد هذا الخالق ، والايمــان بألوهيته ، والاقرار بحاكميته المطلقة .. ان الوصول الى هذه (الحقيقة)، والتصديق الجازم بها ، والعمــل بمقتضــاها ، تتولاه قوة مودعة فى الانسان ، هى فوق العقــل وفوق الحواس : تلك قوة الروح المتوارية وراء طين الجسد ، الحبيسة وراء حجب الحواس ، المقيدة بقيود العقل .. انها ، لكى تتفجر ينبوعا نورانيا لمحتاجة الى يد الرحمن ، سبحانه ، تكشف عنها الغشاوة ، وتهديها الى صراطه المستقيم ، وذلك لا يتأتى الا بالصلة المستمرة به عز وجل ،بالتوجه اليه ، بذكره ، وعبادته ، والتماس الهداية منه ، وطلب المدد من توفيقه؛ فهو ، سبحانه ، المصدر ، واليــه المعاد ، هو الخلاق على الدوام ، وهو الوهاب على الاستمرار ، وهو نور السموات والارض . ان اطلاق الروح من عقالها الترابى ليس بالامر اليسير ، فما هو بنتاج احكام عقلية جامدة باردة تتأرجح قناعاتها حسب مقاييس الحواس ، ولا هو بشهادة حواس مقيدة عاجزة يصيبها الكلال والملال ، انما هو نشدان دائم حميم لصلة العبد بخالقه العظيم ، حتــى يفيء العبد الى حقيقته فيلزمهــا : يتذكر نشأته الاولى بشــفافية لا تعوقها الجدران ، وبصيرة لا تقيدها الحواس ، ويصحب تلك النشأة على هدى وامتلاء ، فتفضى به الى معاد هو مؤمن به فموقن اليقين كله ، اذ الاسلام بلا ايمان لا يقبل ، والايمان بلا احسان يمنحه التصديق الجازم لا يصل مقام اليقين :

ـــ « كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم . ثم لترونهــا عين اليقين » .

« يدبر الامر يفصل الآيات ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون » .

« .. ويؤتون الزكـــاة ، وهم بالآخرة هم يوقنون » .

« فاصبر ان وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

« وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون » .

« هذا بصائر للناس ، وهدى ، ورحمة ، لقوم يوقنون » .

« ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحا ، انا موقنون » .

« وفى الأرض آيات للموقنين »

« .. ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين » .

« وكذلك نرى ابراهيــم ملكوت الســموات والأرض وليكــون من الموقنين » .

وبديهى أن (يقين الموت) الذى يشـــترك فيه الجميع : مؤمنين وكافرين ، لا يغنى عن يقين الحياة شيئا . واذا كانت الآخرة منزل عين اليقين للجميع ، فان الدنيا ينبغى أن تكون منزل (علم اليقين) للمؤمنين ، وقد تكون منزل (عين اليقــين) لخواصهم ايضا .

فالايمان ، اذا ، برزخ بين الاسلام

والاحسان ، والاسلام هو مظهر الايمان على الجوارح ، ولا يتحقق كاملا الا فى مجتمع اسلامى عندما يدخل الناس فى دين الله أفواجا ، اى يتخذون الرب الها واحدا أحدا يدينون بدينه ويطبقون شريعته . وحقيقة الايمان فى الباطن — فى القلب وفى الروح — هى الاحسان : ان تعبد الله كأنك تراه ، وان تعلم على وجه اليقين انك ان لم تكن تراه فانه يراك . فلا إسلام بغير ايمان . « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » ، واسلام هؤلاء هو دخولهم بالشهادتين فى دين الله ، اى فى ظل شريعته ، ليس غير . اما اولئك المصدقون الذين كانوا فى مكة قبل الفتح ، اى قبل ان يستظلوا بشريعة الاسلام ، فقد سماهم تعالى مؤمنين لا مسلمين ، فى قوله الكريم : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم .. » ولا إيمان بغير احسان « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » فلا اسلام بغير احسان :

— « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه » .

« ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ؟ » .

« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

العروة الوثقى :

والعروة الوثقى هى حسن ادراك المؤمن لصلته بالله ، بتذكر الميثاق الذى ارتبطت به الروح ، وبالتزامه ، وبالرجوع اليه باستمرار ، حتى يغدو هذا الميثاق تنبها طبيعيا ينتظم العقل والجوارح جميعا :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، واشهدهم على انفسهم : الست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ . وكذلك نفصل الآيات ، ولعلهم يرجعون » .

ذلك هو الميثاق :يشهد به الناموس الذى فطر عليه الانسان ، انه مودع فى كل خلية ، ومستقر فى الروح : اقرارا بربوبية الاله الواحد ، قبل الرسل الذين توجهوا — رحمة من الله بالعباد — الى الحواس والى العقل والى الروح . الميثاق الذى يرجع اليه من استيقظت روحه من سباتها فى سجن الطين ، رجعة الى الفطرة والعهد مع الله ، تستنفر فى الانسان قوى بصيرته ، فتنتفض فى قلبه وفى جوارحه وفى كل كيانه حقيقة التوحيد ، بعد أن شهدت حواسه ، وأقر عقله بحقيقة الربوبية والخلق . واذا كان الايمان بوجود الخالق فطريا ، غريزيا ، تؤدى اليه، بالضرورة ، الحواس والعقول بمختلف طرائق تفكيرها ، فان الايمان بتوحيد هذا الخالق ، والوهيته ، وتحكيمه فى كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة — وما ثم صغيرة على وجه التحقيق — هذا الايمان هو موضع التخيير ، وهو ثمرة المجاهدة، وهو مناط الحساب . هو امانة الاختيار المحاسب المسؤول ، التى لم تحملها السموات والارض والجبال، فهى مسيرة مقرة بالربوبية لخالق فى كل نواميسها ، لا تتخلف عنها :

— « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله

على المؤمنين والمؤمنـــات وكان الله غفورا رحيما » .

والنفاق والشرك عرضان يتلبسان الايمــــــان وحقيقة التوحيـــــد ، فيفسدانهما ، لذلك كانا ســــبب العذاب ، فيما خير فيه الانســـان باعتقاده وعمله ، فاختاره :

ــ « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشــــد من الغى ، فمن يكفــر بالطــاغوت ويؤمن بالله ، فقــد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » .

ســلّم الهداية :

وما مهمة الرسل الاولى الا ان يفتحوا مغاليق الحس ، ويكسروا اقفال العقل ، لـــكى يرتد الروح الانســــانى الى وعيه ، فيرى ، ويتذكر :

ــ « واذ اخذنا من النبـــيين ميثاقهم ومنك ومن نـــوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مـــريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا » .

« سنقرئك فلا تنسى » .

« قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى » .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقــلم . عــلم الانسان ما لم يعلم » .

« كلا انها تذكرة . فمن شـــاء ذكره » .

« أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ » .

« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشــيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » .

« مالــكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون ؟ » .

« وليعلموا انما هو اله واحد ، وليتذكر أولو الالباب » .

« ذلكم الله ربكم فاعبدوه ، افلا تتذكرون ؟ » .

أن الايمان بوجود الخالق ، هو الخطوة الاولى نحو توحيد الخـــالق بالالوهية ، وعبادته ، وعدم الاشراك به أو النفاق فيه فى كل عمل ، وجارحة ، ومع الانفـــاس ، فكيف الســـبيل ، اذن ، الى التوحيـــد الخالص ؟

انه هداية من اللـــه عز وجل ، تضىء الروح اذا سلك بها صاحبها طريق الهدى ، واخذ بأسبابه . وان الله عز وجل ليخاطب خلقه فى كل طرفة عين ، واصفاءة ســـمع ، وخفقة قلب ، وخطوة قدم . وانهم ليتلقون فيض هدايته فيها جميعا اذا كانت ارواحهم هناك . ارواحهم التى لا تصفو الا بالذكر ، ولا تتألق الا بالعبادة . وهى عندما تصفو وتتألق تتهيأ لتلقى المدد الالهى . والروح عندما تضىء بنور من عند الله ، تمد العقل ، فتنفتح فيه عين الفهم ، وتريه بهـــذه العين عالم الغـــيب وعالم الشهادة ، وتمد الحواس فتنفجـــر اعماقها ، فتتحرك بالله وحده :

ــ « افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعـــل على بصره غشـاوة ، فمن يهديه من بعـــد الله أفلا تتذكرون » .

« الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى » .

« وما يتذكر الا من ينيب » .

والله عز وجل ، يخاطب خلقـــه بآيات الوجود ، وبآيات الشهود ، بالكائنات وبالتجـــارب ، بالقبض وبالبسط ، بالابتلاء والاجتبـــاء ، بالرحمة والعـــذاب ، فاذا كانت أرواحهم مستيقظة سمعت ، فوعت، فتذكرت ، فرجعت ، وانابت :

ــ « ولقد اخـــذنا آل فرعون بالسنين ، ونقص من الثمرات ،

لعلهم يذكرون » .
« أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ؟ » .
« واذكروا اذ جعلكم خلفاء » .
« وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين » .
« ولقد صرفناه فيهم ليذكروا » .
« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .
والقلب هنا هو البصيرة ومستودع الهداية ومتلقى الفيض الالهى ، وليس العقل ، اذ لكل مكلف عقل ، وليس لكل مكلف قلب الا « لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا » .
والذكر طريق الصلة الدائمة بالله ، وجسر الهداية منه ، ليس مجرد حركة لسان ، ولا مجرد تسليم عقل ، ولا مجرد دلالة فكر ، انما هو — قبل ذلك ، ومعه ، وبعده — توجه بالروح وبالقلب وبالجوارح وبقوى النفس كلها الى الله :
— « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .
« واذكر ربك كثيرا ، وسبح بالعشى والإبكار » .
« واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » .
« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا » .
« انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله » .
هذا الذكر هو سبيل الطمأنينة ، وسلم الهداية ، أعده الله لعباده الأبرار :
— « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » .
« ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » .
« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .
« ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » .
« ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » .
« فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا » .
« ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه » .
« فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » .

هكذا يعود الغائب :

عندما تلتقى الحواس والعقل والفكر ، فى ظلال الروح ، على الايمان ، هذا الايمان ، بالله عز وجل ، يصبح الانسان عبدا لله ، ويحشد طاقاته كلها طواعية واختيارا وقناعة وامتلاء فى سبيل الله : فالعقل يقرر لصاحبه الفكر الذى ارتضاه الله لعبده المؤمن : فكر الاسلام عقيدة وشريعة ، ويكون فهم الشريعة والعمل بها ضرورة لا يتم للفرد بغيرها ايمان ولا احسان ، ولا تتم للمجتمع بسواها حاكمية الله ، وسعادة العباد . والعقل يقرر لصاحبه المؤمن الفكر المؤمن الذى يجعله مستخلفا حقا فى الارض يعمرها ويعيشها ويرتقى بها مدركا صلته بخالقه وخالقها باستمرار ، متصورا غاية العمل والاستخلاف ، مبصرا من وراء الحجب مبدأ الأمر ومعاده ، فهو بين يديه وفى عينيه وفى سمعه قريب منه جد قريب . والحواس تصبح مسخرة لله ، ترى به ، وتسمع به ، وتسعى به ، حتى تلقاه . وتظل الروح الحارس اليقظ ، والتنبه الطبيعى الذى يوقظ الحواس اذا نامت ، ويقوِّم الجوارح اذا زلت ، ويوجه الفكر اذا ضل ، ويؤجج نار العزيمة اذا خبت ، ويتلقى

امطار التوفيق اذا همت ، ويقـود رحلة الحياة الى خلود مقيم ، فى جنات ونعيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن ربهعز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم ، وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الىّ ذراعا تقربت منـه باعا ، وان أتانى يمشى ، اتيتـه هرولة .. » .

وقال عليه وآله الصلاة والسلام : « لو تكون قلوبكم كما تكون عنـد الذكر ، لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق » .

وجاء فى الحديث القـدسى : « ما تقرب الىّ عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنـوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لأعطينه ، وان استعاذ بى لأعيذنه » .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارس بن مالك : « كيف أصبحت ؟ » .

قال : « اصبحت مؤمنا حقا » .

فقال : « لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟ » . قال : « أسهرت ليلى ، واظمأت نهارى ، حتى كأنى انظر الى عرش ربى بارزا ، وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها ، واصغى الى اهل النار يتضاغون فيها » .. فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « مؤمن نوّر الله قلبه ، لقد عرفت فالزم » . ثم قال عليـه السلام : « من سرّه أن يرى رجلا شرح الله صدره للايمان ، فلينظر الى هذا » .

هؤلاء ، هم الذين على ايديهـم ستتم عودة الغائب ، بهم سـتكون عودة الغريب . طوبى لهم : فى ايمانهم يلقى الله اقباسا من ضيائه ، وبفكرهم المستضىء بنور الله يؤوب العصر الى رشاده ، ويسترد ذاكرته المضيّعة . بعزماتهم التى تستمد من الله جذوتها وتوفيقها يستأنفالاسلام مسيرته : عقيدة ومنهاج فكر وشريعة حياة . فلقد أظل زمانه .

« يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلّة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .





حول القرآن الكريم والعلم

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

١ ــ شاءت رحمة الله بخلقه أن يسلك أعجب الطرق وأروعها لتنفيذ أرادته فى كل شىء ، وهى طرق أبعد ما تكون عن معرفة الافراد العاديين . وليس فى وسعنا الا أن ندرس ونقدر ونؤمن . ومن هنا جاءت مزايا العلم، وتجلت آيات الخالق فى عصر العلم .

٢ ــ استمد القرآن الكريم حكمه وأمثاله من الكون فكان من الطبيعى أن يلتقى العلم الذى يبصرنا بأسرار هذا الكون مع القرآن الذى يحدثنا عن بدائعه وآياته .

تعريف العلم :

العلم يعنى تلمس الحقائق فى عالم الحس ، ومن ثم استنباط قوانين سليمة عامة التطبيق . وهو يشمل العلوم الاساسية : الطبيعة التى تتناول دراسة الكون وما فيه من مادة وطاقة ، وعلوم الحياة التى تتوافر على دراسة الاحياء وسلوكها . وهناك أيضا العلوم التطبيقية التى تتضمن مسائل عملية عديدة قوامها استخدام واستغلال ما أودع فى الكون من طاقات وثروات لفائدة البشر . وفى هذا العصروصل الانسان الى مرتبة مرموقة من العلم حين سخر الطاقة الذرية وهى سر أفران الطبيعة ممثلة فى الشموس والنجوم ، واستخدم المحرك الصاروخى فحصل به على السرعات الفلكية التى تسبح بها اجرام السماء .

وأساس العلم الاختبار والقياس باستخدام الحواس ، ثم معالجة

نتائج ذلك الاختبار الحسى بالقوى العقلية . اما عالم ما وراء الحس فلا دخل للعلم به ، اللهم الا ما يمكن اخضاعه منه الى مستوى الحس بواسطة آلات ومعدات تتأثر بما هو غير محسوس مباشرة ، مثل الالواح الحساسة التى تستجيب لتأثيرات الاشعة فوق البنفسجية التى لاتدركها الاعين ، ومثل الابرة المغناطيسية أو (البوصلة) التى تستخدم فىالتعرف على اتجاهات خطوط القوى المغناطيسيةفىاى مجال مغناطيسى .

وليس منا من ينكر تلك الالهامات المفاجئة او ذلك الايحاء الخفى الذى يقبل الينا احيانا من عالم ما قد نسميه عالم الارواح أو عالم ما وراء المادة ، وفكرته أعمق من عالم ما وراء الحس ، اذ لا تستجيب له حتى اجهزتنا ومعداتنا . ولكن تستقبل قلوبنا الواعية اشاراته الموجهة الينا . ولعل خير من يحدثنا من بعض تلك الالهامات الصادقة العلماء والمستكشفون والفلاسفة ، ثم المؤمنون المتصلون .

والدين هو الذى حدثنا عن عالم ما وراء المادة ، واكد الايمان(بالخالق) مصدر هذا الكون ومرجعه . ويمدنا الدين كذلك بطاقات روحية عظمى لا تعرف الهزيمة . والايمان شعور طبيعى أو فطرى لانه ميثاق الخلق: « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » . والدين الى جانب هذا كله حصيلة أسمى الاخلاق وارفع المعاملات بين الافراد والجماعات . وتشترك أسس المعرفة الدينية مع أسس العلم فى :

١ — شمول النظام فى الكون ، ولكن المعرفة الدينية بخلاف العلم تعتبر هذا النظام شاملا كذلك للناس ومعترك حياتهم .

٢ — ضرورة التثبت وعدم الاعتماد على مجرد التخمين ، فالايمان يجب أن يتم عن بينة ، لان كل ما فى الكون آيات تنطق بوجود الخالق المدبر ، ورسالات السماء فيها من الآيات ما يحمل العقل على التصديق بها والتسليم لها . وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن الكريم :

وفى سورة فصلت (٥٣) :
« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

فى سورة يونس (٣٦) : « وما يتبع أكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون » .

وفى سورة العنكبوت (٤٩) .
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ويشترك العلم والدين معا فى ضرورة التمسك بالمنهج ، وفى الامانة والمثابرة ، والتواضع الى غير ذلك من مكارم الاخلاق ، ولكن الهدف يختلف فان العلم يقف عند حد تقرير (الحقائق) ، أما الدين فيستمر حتى يصل الى الغاية . هذا كما أن المعرفة الدينية لا تعتمد على مجرد العقل ، بل ان من مصادرها الاحساس الروحى ، أو الشعور بالقلب . وعلى أية حال فهناك من الامور الدينية ما قد لا يعيه العقل مثل الارواح والملائكة والجن ، ولكن يدرك ذلك القلب بالاحساس الصادق

.. والمؤمنون هم وحدهم الذين يستطيعون الافاضة فى الحديث حول هذا الموضوع .

ولقد نجم عن تعرف الناس على بعض معالم عالم ما وراء المادة عن طريق الدين ان راحت طائفة منهم تجرى محاولات الاتصال بمن فى ذلك العالم بطريقة يسمونها (تحضير الارواح) . ونحن لا نستطيع أن نطلق على تلك المحاولات اسم

(التجارب) لاختلافها فى جوهرها عن المألوف فى التجارب العلمية ولعدم امكان تعميم اجرائها . وقد فهم خطأ أن بعض جامعات الغرب قد أقرت دراسات (علم الارواح) ، ولكن الحقيقة أن ما وافقت عليه هو دراسات (علم النفس) على غرار ما هو قائم فى بعض جامعاتنا .

واغلب الظن اذا سلمنا ببعض تلك الاتصالات ثم محصناها نجدها انما تتم مع عالم غير عادى حدثتنا عنه الاديان يسمى عالم الجن . فقد جاء مثلا فى سورة الجن (٦) :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » .

وثمة ناحية اخرى فحواها اننا للأسف الشديد نجد فى تراثنا الاسلامى خلطا بين عالمى المادة وما وراء المادة ، اذ افترض فريق من السلف أن الملائكة تسيطر على كل ما فى الكون حتى الظواهر الطبيعية، بدلا من القوانين والنظم الثابتة التى فرضها الخالق وراح يكشف عنها العلم تباعا . فهذا ملاك البحر مثلا يضع ابهامه فى اقصى بحر الصين فيفور له الماء ويكون المد ، ثم يرفع ابهامه فيطلب الماء موضعه ويكون الجزر . وبطبيعة الحال لا يعتبر مثل هذا الخلط والوهم من الدين فى شىء. فقد جعل الله لكل شىء سببا .

فلسفة علمية :

نتبين اذا أن العلم وقف حتى الآن عند حد الكشف عن العلاقات الثابتة بين الاشياء ، واستغلال ما فى الكون من طاقات ، اما الدين فيذهب الى أبعد من ذلك ، اذ يبحث فى الغاية من خلق الاشياء والانسان، وربطها بالخالق .

ولهذا لا بد من أن نعنى بدراسة العلوم دراسة واعية بحيث تصل الى الاسباب ، ولا تقتصر على مجرد تقرير الحقيقة ، وسنضرب لذلك مثلا بدراسة الماء .

وهنا قد يدعى البعض انه لا يمكن ربط العلوم بأية غاية أخرى تخرجها عن جوهرها . ولضمان سلامة المنهج العلمى يمكن ان تمتد الدراسات والبحوث العلمية الى دراسات وبحوث أخرى (فلسفية) ، تجمع شتات المعارف . وتوجد بينها رابطة متينة متماسكة توضح الغاية وتبين المقصد بطريقة تبقى على جوهر العلم وعلى قدرات الانسان الروحية. وعلى هذا النحو نجد ان من واجبنا تحديد أسس فلسفية علمية تدعم الدين وتقوم الاخلاق ، وتعيد الثقة الى النفوس وتوفر لها الطمأنينة . وان من يريد أن يعرف مدى انتشار القلق والاباحية فى الخارج حيث طغت المعرفة العقلية وحدها على كل شىء عليه أن يلقى نظرة الى

ما تفننوا فيه من ألـــــوان المهدئات والمنومات والخمور .. و ..

وبديهى أن أول اسس تلك الفلسفة هو الايمان بالله ، والتصـــــــديق برسالاته ، فتلك هى نقطة الانطلاق التى تمدنا بأكبر القوى الدافعة الى الخير والسعادة والرداعة عن الشر والشـــقاء .

وعلينا بعد ذلك أن نضع اطارا نحدد داخله موضوع العـــــــــلوم وفلسفتها ، لئلا تصبح عقولنا سجينة الانتاج العلمى كما حدث فى الخارج، حيث طغت الكشوف العلميةبمظهرها الخلاب على تفكير النـــاس ونسيت عقولهم نقطة البـــداية التى انطلقت منها ، وهى الايمان بالله الذى خلق العقل وجعله قادرا على التأمـــــل والكشف . ويقودنا ذلك الى وجوب ايجاد دراسات وقراءات أو مطالعات شاملة تجمع بين الدين والعـــــلم بلغة العصر ، من غير تعقيـــــدات فقهية ، فى مراحل التعليم المختلفة. وتحملنا الفلسفة العلمية على الاتجاه دائما نحو الغاية السامية التى من اجلها كان هذا الوجود وقام هــذا النظام ، ولا يقودنا الى ذلك بطريقة ترتاح لها النفس ويقتنع بها العقـــل سوى الدين الذى ينادى بأن كل ذلك من مظاهر الألوهية ، ولهذا نقول : (الفلسفة فوق العلم ، والدين فوق الفلسفة) .

ولكن كلما اتسعت آفاق معـــرفتنا العلمية ، كلما زادت حصيلتنابالقواعد والنظم التى يسير عليها الكون فتضيق ساحة المجهول ، ونجد أنه لا مناص من التسليم بوجود المبدع الخالق . وهكذا يؤيد العلم الدين ويؤازره .

ولما كان هذا هو الوضع الطبيعى للعلم بالنسبة الى الدين ، نجد قديما أنه عندما ضل البشر على الارض بجهلهم كان لزاما أن يكلم الله الناس على ألسنة الرسل من آن الى آخر، وهكذا فعل .

فلما صار عصر العلم على الابواب نزلت آخر رسالات السماء الى أهل الارض ممثلة فى القرآن الكريمالذى يخاطب العقول الراجحة والقـــلوب المتفتحة ، ويقنع بالحجة الدامغـــة والمنطق العلمى السليم .

ولهذا أيضا نقول ان القـــــرآن معجزة خالدة ، ولا يمكن ان تخـــلد معجزة على الارض الا اذا كـــانت على هيئة كتاب لا يقف اعجازه عن عصر معين ، ولا يحد بثقـــــافة بالذات .

الخالق القدير :

وليس وجود الله عند الكثيرين ، أمثال ارسطو ، مسألة غيبية يختلف فيها بين الاثبات والنفى ، ولـــكن حقيقة عقلية على غرار المسلمات أو البديهيات التى نعرفها . ويرى فريق من المؤمنين أن الله يشـــهد على الاشياء وليست الاشـــياء هى التى تشهد عليه ، لان العقـــل والوعى لا يستقيمان الا على الايمان بالله . وهذا الايمان هو خير ما تفسر بــه الخليقة . وعلى الرغم من ذلـــك سوف نسوق هنـــا ملخص بعض البراهين الرياضية على وجود الله .

فالذى لا جدال فيه أن الكون يمر الآن بمرحلة من النظام المحكم . اذ

يخضع كل ما فيه لقوانين ثابتة لا تتغير . ونحن اذا سلمنا جدلا بامكان حدوث هذا النظام وتوفره ولو مرة واحدة بالصدفة ، لا يستطيع حساب الاحتمال الرياضى ان يعتبر استمرار هذا النظام ضربا من ضروب الصدفة ، ولكن بتدبير خالق قدير .

ومن العبث أن نقول إن الكون جاء هكذا من تلقاء نفسه ، فذلك قول مردود ، ومن اللازم أن يوجد له خالق مدبر ، ولكن علينا ان نسبغ على الخالق صفات تخالف صفات المخلوق فنقول مثلا ان من المسلمات أن يكون الخالق ازليا موجودا بذاته منذ القدم وهو فى ذلك يخالف الحوادث ، ويختلف عن الاشياء فى صفاتها ، أو « ليس كمثله شىء » .

والبراهين العلمية على وجود الله كثيرة ، اذ أنه يتجلى فى كل ركن من اركان هذا الوجود بما صنع وما أبدع ، ولكن لا يملك الجاحد أو الكافر اى دليل يسوقه لنا على عدم وجود الله تعالى سوى اننا لا نراه رأى العين . وهنا يحق لنا مرة أخرى أن نتساءل قائلين : هل نحن نرى بأعيننا كل ما يحيط بنا من عوالم حتى ما يقع منها وراء الحس؟ كلا بطبيعة الحال . ولكن على الرغم من ذلك نقول ان الله تعالى يمكن أن يرى بالقلب الذى يتسع وحده لجلال قدره وعظم شأنه سبحانه وتعالى ، الا أن لهذه المشاهدة القلبية النورانية شروط من درجات الايمان الكامل وطهارة النفس يجب أن تتوفر فى المشاهد ، تماما كما تكون لمقابلة العظماء والإمراء من الناس شروط تملى واحتياطات تتخذ رغم ما بين الحالتين من فروق عظمى بطبيعة الحال .

درس من الماء :

ليس منا من لا يعرف ان الماء يكون أكبر نسبة على الاطلاق فى بناء الاجسام الحية . ومن الحقائق المعروفة ان الماء يغطى نحو اربعة اخماس سطح الارض ، كما أنه فى حدود درجات الحرارة التى تتوفر على الارض ، (اقلها ٧٠ درجة تحت الصفر فى أواسط سيبيريا فى الشتاء واعلاها ٥٥ درجة حول خط الاستواء الحرارى فى الصيف) ، يأخذ دون غيره من المواد صورا ثلاثة هى : الصلابة والسيولة ، وصورة الغاز او البخار . ومن خواص الماء الطبيعية أن له أكبر حرارة نوعية على الاطلاق ، بمعنى أنه عامل ملطف للجو لا يستجيب بسهولة للتسخين أو التبريد . أما بخار الماء فهو أخف من الهواء ولهذا يصعد فى الجو ليكون السحب ثم المطر الذى هو مصدر الماء العذب على الارض . وبالاضافة الى كل هذا نجد أن الماء الصلب أو الثلج أخف من الماء السائل ويطفو فوق سطحه ، مخالفا بذلك القاعدة العامة التى تقول ان الانكماش بالتبريد يتطلب أن تكون المادة فى حالة الصلابة أكبر كثافة منها فى حالة السيولة .

والحق أن لكل صفة من هذه الصفات كلها صلة وثيقة بالحياة على الارض وبقائها يانعة مزدهرة . وهى ان دلت على شىء فانما تدل على منتهى التدبير والاحكام من لدن خالق عظيم .

فكمية الماء فى الارض لم تكن جزافا وانما بقدر معلوم لحفظ التوازن الحرارى فيها وفى جوها على مر السنين ، أو على حد تعبيرنا الهندسى

(جعلها مكيفة داخل حدود معينة) . فلولا اتساع رقعة الماء لسادت على الارض فروق عظمى من درجات الحرارة تفنى معها الحياة . كما هو الحال على القمر القريب منا مثلا .. وعلماء البحار وحدهم الذين يصفون لنا مهمة البحار والمحيطات والتيارات البحرية العظمى فى توزيع الحرارة المكتسبة من الشمس توزيعا عادلا بين ارجاء الارض المختلفة .

ونظرا لان الثلج يطفو على سطح البحر فهو عندما يتدفق من المناطق القطبية ويندفع الى المحيطات على هيئة جبال الثلج الهائمة يذوب على التدريج تحت تأثير الاشعاع الشمسى المباشر ، بدلا من أن يغوص فى القاع المظلم البارد ويظل على حاله ، وبذلك تتراكم الثلوج تدريجيا على مر السنين حتى يتم تجمد بحار الارض ومحيطاتها وعندها تفنى الحياة فى البحر ، كما يقل البخر أو ينعدم فيشح المطر وتفنى الحياة على اليابسة كذلك .

فأى تدبير أروع من تدبير هذا الذى صنع الماء وأسبغ عليه تلك الصفات ، مصداقا لقول الله فى سورة الانبياء (٣٠) : « وجعلنا من الماء كل شىء حى ؟ » انها ولا شك كلمة الله الذى يقول فى سورة النحل (٤٠) :
« انما قولنا لشىء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون » .

مقياس العلم :

وربما يبدو خطيرا ، كما يظن البعض ولست منهم ، اقحام الدين فى العلم ، اذ قد يظهر الدين فى موقف ضعيف لا يحسد عليه عندما تقاس الحقائق العلمية الواردة فيه بنفس مقياس العلم الحديث وبالمعنى الكامل لتلك الكلمة . فان المتعلم الذى أعطى لنفسه فرصة التفكير الحر والانطلاق الذهنى قد يجد ما فهم عن الدين قاصرا فى هذا المجال . بينما هو يشعر بقوة العلم . ولنفس هذا السبب ولاسباب أخرى عمدت بعض الشعوب الى فصل العلم عن الدين بحجة أنها بذلك تتيح لنفسها فرصة الانطلاق والتقدم . ولكن هذا لايمكن ان ينطبق على القرآن وتعاليمه تلك التى فجرت أعرق حضارات أمم الارض وأكثرها عدالة وازدهر بها العلم وأينع ، بل لقد كانت أولى الآيات على الاطلاق طلبا للعلم والتعليم حين نزل قوله تعالى فى سورة العلق :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق .خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم. الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

والحق يقال ، ان الذى نزل القرآن كمعجزة خالدة يخاطب أهل هذا العصر بلغتهم ، أعنى لغة العلم ، ولكن لزم فى نفس الوقت أن تحتفظ بجوهر الرسالة ، فلا يجعل منها مرجعا علميا على النحو الذى نعرفه ، وانما يتخذ من الحقائق العلمية أساسا للوصول اليه والتعرف عليه.

وعلى هذا النحو نجد أن فى القرآن كثيرا من الآيات التى تكشف الحقائق العلمية ، بل وتسبق ركب العلم فى فروعه المختلفة . ففى مجال علوم الفضاء مثلا يمكن أن نقف عند العديد من الآيات مثل قوله تعالى فى سورة الرحمن (٣٤ ، ٣٥) :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

اشار الى سلطان العلم الذى استخدمه الانسان فى هذا العصر ليسبح فى الفضاء ويفلت من قبضة جذب الارض ، وكذلك الى أهوال الفضاء ممثلة فى النار التى لا دخان لها أو الاشعة الكونية التى ترسلها الشمس ولا تستقيم معها الحياة . مثل قوله تعالى فى سور الجن (٨) :

« وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » .

أشار الى الشهب التى تعترض سبيل سفن الفضاء . ومثل قوله تعالى فى سورة الحديد (٤) :

« يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » .

اى أن الله تعالى ليس له مكان معين ، فلا تتوقع رؤيته بالسبح فى الفضاء ، كما يظن البعض إما عن جهل أو سوء نية . ومثل قوله تعالى فى سورة النحل (٤٩) :

« ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » .

اشارة الى وجود احياء تدب على بعض الكواكب الاخرى التى يعج بها الكون ضمن مجموعات الشموس الاخرى . ومثل قوله تعالى فى سورة الانبياء (٤) « قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم » .

اشارة الى أن العقل البشرى ليس وحده فى هذا الوجود ، لان الكلام هو الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل والكائن الذى لا يعقل ، أو هو وليد الفكر والعقل ، ومثل قوله تعالى فى سورة الشورى (٢٩) :

« ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير » .

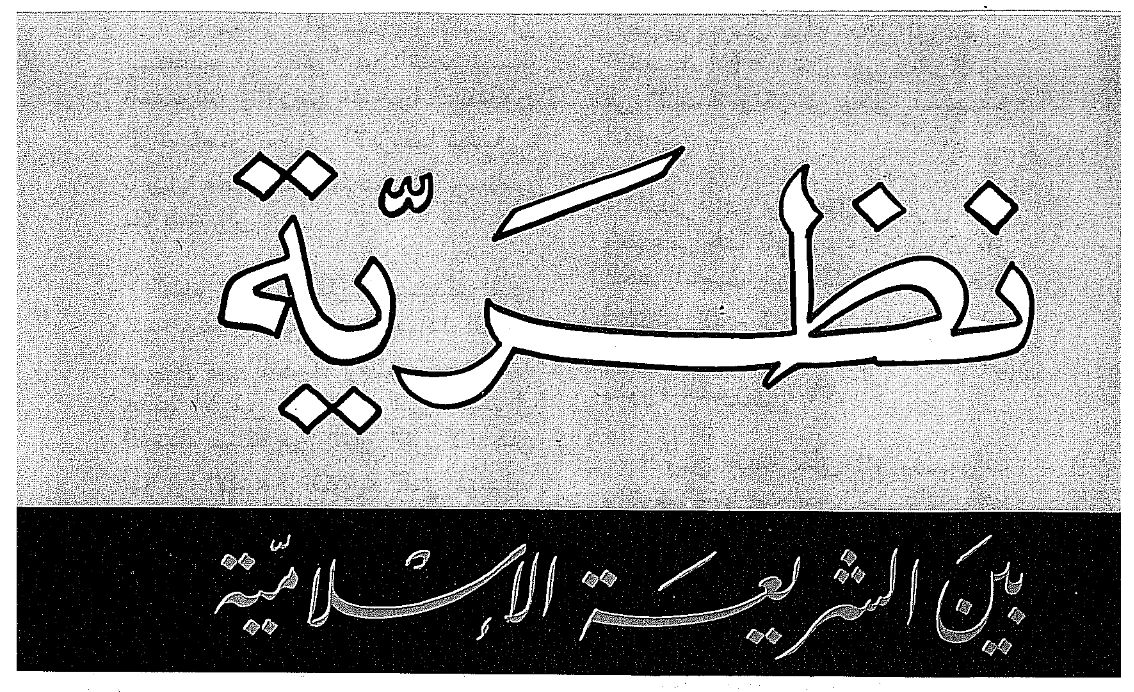
وقد يكون هذا الجمع بسفن الفضاء ، أو بواسطة اللاسلكى على متن أمواج الاثير ، كما يحاول العلماء فى سورة الحجر (١٤) :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » .

اشارة الى أن السبح فى الفضاء يكون فى مسارات منحنية أو متعرجة .. ولقد أطلق القرآن على اسفار الفضاء كلها اسم (المعراج) ، ولا يعرف الفضاء الكونى كما نعلم الخط المستقيم ، ومثل قوله تعالى فى سورة المؤمنين (٧١) :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » .

اشارة الى أن الخير والشر يوجدان أيضا على غير الارض ، وهو أمر طبيعى ، فالهوى يلازم نشوء العقل الذى يميز بين الخير والشر ويفرق بين الخبيث والطيب .



للاستاذ محمود مهدى الاستانبولى

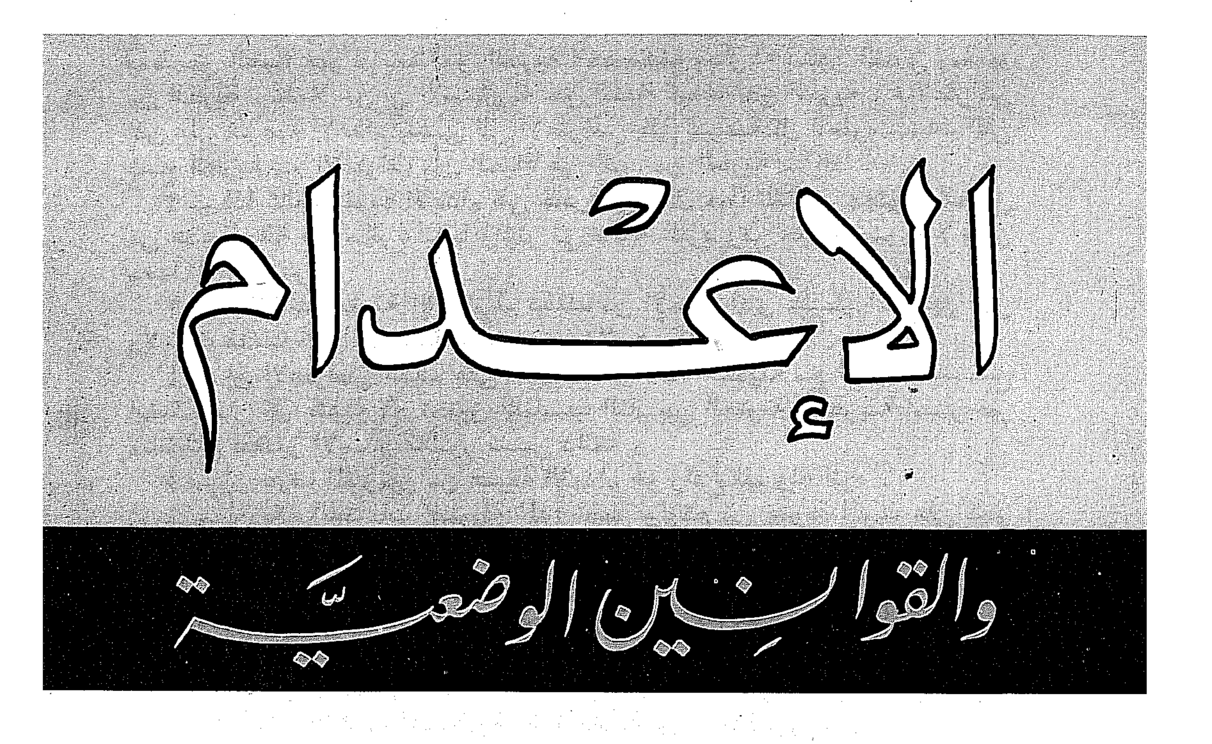
تشغل قضية إعدام قاتل العمد علماء القانون والاجتماع ، نظرا لخطورتها وقد انقسموا الى فريقين متنازعين : فريق يقول باعدامه ، وفريق يقول بمنع هذا الإعدام .

وقد تركوا البشرية فى حيرة واضطراب ، لأنهم هم انفسهم فـــى حـــيرة واضطراب ، لأن البشرية اعجز من أن يضعوا القوانين ، وإنما يضعها خالقهم ، كما وضع القوانين المادية الطبيعية . وسيبقى البشر فى شقاء من مخالفة القوانين الإلهية كما هم يشقون اذا تركوا القوانين الطبيعية ، فلا بد لهم من الخضوع لهـــا حتى يتسنى لهم البقاء والرقى .

وقد أدلى كل من هذين الفريقين بحجج وأدلة نذكرها فيما يلى ثم نعقبهـــا بحكم الشريعة الاسلامية فى هذا الموضوع الخطير .

انصار نظرية الغاء الإعدام

ان الذين يقولون بعدم الشرعية يحتجون بأن ليس من حق الهيئة الاجتماعية أن تزهق روح إنسان وهبه الله الحياة ولله وحده الحق أن يأخذها . واحتجـــوا ايضا بأن عقوبة الاعدام هى عقوبة خطرة لأن الضرر الذى ينتج عنها غير ممكن تلافيه اذا ما نفذت فى المحكوم عليه ثم بعد ذلك ثبت خطأ القاضى وظهرت براءته كما حدث فعلا فى كثير من القضايا ، فمن يسترد عندئذ حياة البرىء .



لا سيما وان قناعة القضاة هى نسبية واختلاف الراى بين قضاة الدرجات المختلفة شائع بكثرة . وقالوا أيضا بأن هذه العقوبة جائرة ولا تتناسب مع الجريمة مهما كانت فظيعة . فضلا عن انها بشعة تشمئز منها النفوس . وقالوا كذلك بأنها لا فائدة جذرية لها لأن وجودها فى التشريع لم يردع المجرمين عن ارتكاب الجرائم ، ويستدلون على ذلك بأن نسبة الجرائم المعاقب عليها بالإعدام لم تقل فى البلاد التى لا تزال قوانينها تقر عقوبة الإعدام ولم تزد نسبة هذه الجرائم فى البلاد التى ألغتها .

ويقول اصحاب هذه النظرية إن المجرم مريض ومن واجب المجتمع أن يداويه حتى يشفى تماما لا أن ينتقم منه .

وقد عبر عن هذا الاتجاه صاحب هذه النظرية الدكتور (BALL) فى كتابه فيزيولوجية الدماغ وهو استاذ فى باريس فى اوائل القرن التاسع عشر بقوله : « إن الميل السريع الى السرقة ثمرة فعالية زائدة لعاطفة حب التملك القوية » .

انصار نظرية تنفيذ الاعدام

أما القائلون بشرعية هذه العقوبة فيجيبون عن هذه الحجج بقولهم :

١ — إن من حق الهيئة الاجتماعية فرض هذه العقوبة لأنه اذا كان المجتمع لم

يعط حق الحياة فهو لم يعط حق الحرية لأحد فكيف يجاز له سجن الناس ومنعهم من الحرية ، فضلا عن أن الانسان له حق الحياة كما له حق الحرية . فالاعتراض إذن على شرعية الإعدام يفضي الى الاعتراض على شرعية كل العقوبات التى تمنح الحرية مع الاعتراف بأن الحياة هى أثمن من الحرية .

٢ ــ اذا كانت عقوبة الاعدام هى خطرة فى حال خطأ القاضى فعقوبة الحبس فى هذه الحالة هى جائرة أيضا وتؤثر فى صحة الفرد وفى حياته بصورة لا يمكن معها تلافى الضرر .

٣ ــ اذا كانت عقوبة الإعدام لم تخفف من الإجرام لدى كبار المجرمين فهى ولا شك خففت كثيرا من عدد المجرمين وهؤلاء هم كثر .

٤ ــ إن الاعتراض القائم على عدم تناسب هذه العقوبة مع الجريمة يصح ايضا بشأن كل عقوبة لأن تحقيق التناسب التام بين العقوبة والجريمة أمر غير مستطاع فتقدير الانسان للأمور نسبى دائما .

٥ ــ إن خوف المجرمين من عقوبة الإعدام هو رادع لهم وله أثره .

٦ ــ إن بلاء العقوبات الطويلة المدة أخطر وأوقع من عقوبة الموت على قصر عذابها ومن الطرافة أن نذكر أن النظرية الأولى تمثل نظرية ما يسمى بالانجيل والنظرية الثانية تمثل ما يسمى بالتوراة مما سنرى تفصيله .

وقد رأينا فى كل من هاتين النظريتين السابقتين محاسن ومساوىء ذكرها انصارهما وخصومهما فلا داعى لإعادتهما .

هذا ــ وأن النظرية القائلة بالغاء الإعدام علاوة على مساوئها التى ذكرتها حين الكلام على النظرية الاسلامية فانها خاطئة من نواح أخرى .

الاولى ــ انها قد تؤدى الى زيادة عدد الجرائم فان نظام إصلاح المجرمين لا يرضى ذوى القتيل ، فيثأرون له مما قد يؤدى الى زيادة عدد الجرائم .

الثانية ــ أن هذه النظرية تميل الى المدرسة الإيطالية القائلة بأن الجريمة هى نتاج طبيعى محض ، وأنه ليس ثمة موضع للتحدث عن حرية مزعومة ننسبها للمجرم ، وقد دعا (لمبروزو) الذى يتزعم هذه المدرسة الى دراسة السمات الخلقية (الجسمية) والنفسية المميزة للمجرمين . (١)

وهذه النظرية جبرية رهيبة تدعو الى عدم معاقبة المجرم بالكلية . قال (لمبروزو) : « المجرم ولد مجرما » . ولا يخفى ما فى ذلك من خطر على المجتمع وتهديد لسلامة أفراده ، وقد راح انصار هذه المدرسة يطالبون بتكييف العقوبة مع الطبيعة النفسية (السيكولوجية) للمجرم وكل ذلك لتمييع القضية وإعفائه من العقوبة . وهى مخالفة لجميع الشرائع الإلهية والأنظمة الوضعية .

وقد جاء العالم الانكليزى (كورنغ) فقام بدراسة حوالى ثلاثة آلاف سجين من نزلاء السجون بانجلترا خلال ثمان سنوات متواليات وخلص من هذه الدراسة الى انه ليس ثمة طراز جسمى خاص يميز المجرم ، بدليل أن النتائج الاحصائية للأقيسة التى أجريت على المجرمين أظهرتنا على أن الفارق بين الأقيسة الجمجمية لدى كل من طلبة كمبردج أو اكسفورد لا يختلف عن الفارق الموجود بين المجرمين وغيرهم من سواد الناس (٢) .

ومهما كان من شأن هذه النظرية ، فان الاسلام لا يهمل الحالة النفسية للمجرم ، فان كان مصابا بالجنون أو اضطراب الغدد الصماء وغيرها من الأمراض النفسية التى تفقد المجرم عقله وارادته وشخصيته فانه يعفى من العقوبة ولكنه يحجر عليه حتى يشفى كما يراعى التشريع الاسلامى فى ظروف المجرم وملابسات

جريمته . فلا يعاقب السارق اذا كان جائعا مضطرا ولم تؤمن لـه الدولة سبيل العمل ، او اجاعه رب عمله ، فيعاقب الاسلام المسبب فى هذه الحال .

ولا شك أن هذه النظرية تقول بإلغاء الإعدام والاستعاضة عنه بسجون كالمستشفيات حتى يشفى فيما اذا كان مصابا بالجنون أو غيره مما يفقد عقله وإرادته .

وإننى أبعثها صرخة مدوية : إن السجون قد أفلست فى العالم علاوة على ما سببته من إيجاد المجرمين المحترفين الذين يتعلمون دروس الجريمة من زملائهم فى السجن . ومما يؤسف له أن أنصار السجون لم يفكروا مطلقا بزوجة السجين وأولاده الذين سيشردون غالبا بسبب اعتقال وليهم .

حقا إن قضية السجن قضية شائكة جدا ، ربما كنت أول من أسميته (قصر الضيافة) يكلف الأمة النفقات الباهظة سواء فى إطعام السجناء وسواء فى حراستهم وسواء فى إيوائهم .

ولا يخفى أن هناك كثيرا من النفوس التى تألف مثل هذه الحياة التى هى اشبه بخلوات الصوفية ينعم بها السجناء كما ينعم الصوفية ، ولا شك أن السجون تمتاز على هذه الخلوات بكونها مشتركة ومضيئة ولا تسبب الجنون والانحراف .

والغريب من امر السجن انه اذا نظم ونفذت الاجراءات التحسنية اصبح مكانا مرغوبا فيه وقصرا للضيافة حقا مما يشجع المجرمين على ارتكاب الجرائم .

واذا اهمل كان مصدرا لانتشار الأوبئة والأمراض والمفاسد الخلقية بجميع انواعها ، وفى الحقيقة فإن السجون كثيرا ما كانت تزيد المجرمين صلابة ، فلم يكونوا يخرجون من السجن إلا لكى يعاودوا ارتكاب جرائمهم ، مدفوعين الى ذلك برغبة حادة فى الثأر من المجتمع ، هذا الى أن اختلاط صغار المجرمين بغيرهم من المجرمين الخطرين كثيرا ما كان يجعل من « السجن نفسه » مدرسة لتلقى فنون الإجرام . فلم يكن المجرم الصغير يغادر السجن إلا وقد اصبح مجرما محترفا يجيد من أساليب الجريمة ما لم يكن له به عهد ، قبل أن تطأ قدماه أرض السجن .

ومن جهة اخرى فان الأساليب السائدة فى معاملة المجرمين قلما تنجح فى ردع المجرمين والقضاء على أسباب الجرائم ، بل هى قد تدفع بهم نحو الانفجار والتمرد والإمعان فى تحدى القانون .

وقد ثبت بالفعل أن السجن عاجز عن توليد مشاعر الحب والتعاطف والصبر والطمأنينة النفسية والرغبة فى العمل واستعادة مكانة الذات . وهى المشاعر الضرورية لإعادة التكيف الى نفس المجرم .

وفضلا عن ذلك ، فإننا حينمانترك المجرم نهبا لذكريات الماضى ، دون أن ننجح فى شغل باله بالأفكار السليمة والمبادىء القويمة ، فإننا نزيد من اختلال توازنه النفسى بدلا من أن نعيد الى شخصيته تنظيمها النفسى وتوافقها الاجتماعى ، وهذا ما حدا بالكثيرين الى القول بفشل الأنظمة القديمة للعقوبة (أى انظمة السجون) نظرا لأنها لم تكن تهتم جديا بإعادة المجرمين الى حظيرة القانون ، والعمل على تقويم شخصياتهم حتى يتمكنوا من العودة الى الحياة الاجتماعية العادية فى ظل احترام العادات والتقاليد والقانون ...

إن أغلب المجتمعات لا زالت تميز الخارجين من السجن عن غيرهم من سواد الناس ، فلا يكون من شأن هذا التمييز نفسه سوى أن يتسبب فى عجز السجناء عن العودة الى حياة التكيف مع الجماعة والتعامل مع غيرهم من المواطنين ،

حتى ولو صحت عزيمتهم على العدول نهائيا عن حياة الجريمة ، ولا شك انه حينما يشعر المجرم بأن المجتمع ليس على استعداد لتقبله أو أن ماضيه يقف حائلا بينه وبين الاندماج في الجماعة من جديد ، فانه قد يندفع الى مواصلة سلوكه الإجرامى بدلا من أن يعمد الى أخذ نفسه بالمعايير الجماعية . ولما كانت مواصلة حياةالاجرام هى ايسر على المجرم من السعى الجاهد فى سبيل اكتساب عادات توافقية جديدة فان عددا غير قليل من المجرمين لا يكاد يجد صعوبة فى معاودة الانتماء الى جماعات المجرمين المحترفين التى داب على الاختلاف اليها .

لهذا كله نرى الشريعة الاسلامية لا تلجأ الى السجن إلا فى حالات نادرة وقتية كضمان سلامة التحقيق أو إنذار المجرم بالتشهير به ، فقد وضعت لكل جريمة عقوبتها الزاجرة ، بحسب نوع العمل الذى اقترفه المجرم ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » المائدة/٤٥ .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى ببعض المفسدين ويربطهم بإحدى سوارى المسجد امام الناس . فحبذا لو تعمم هذه العقوبة فى بعض جرائم التعذير فيربط المخالفون فى أعمدة الكهرباء فى بعض الشوارع أمام أنظار الناس فان ساعات من هذه العملية تعدل شهرا أو شهورا فى السجون المعروفة ويكون فيها المخالف عبرة بليغة ورهيبة لمن يعتبر ، وهى لا تكلف الأمة شيئا يذكر .

والغريب أن بعض أدعياء القانون يحملون على هذا المبدأ أو مثله قطع يد السارق بانه قاس ، دون أن يوجدوا ما يقوم مقامه ، وقد أفلست جميع حلولهم وسببوا انتشار الجرائم فى العالم بصورة واسعة ومرعبة حتى بات الانسان لا يأمن على حياته وعلى أولاده من القتل والخطف ، وعلى أمواله من السلب والنهب فى أرقى عواصم العالم كالولايات المتحدة مثلا .

وقد طبق هذا القانون الالهى فى المملكة العربية السعودية فى العصر الحديث فأعطى النتائج ونشر الأمن والسلام مما يحسدها عليه أرقى وأعظم دول العالم . وقد نسى هؤلاء الأدعياء المغرورون أن العقوبات الاسلامية تحمى حتى المجرم نفسه فلا يتجاسر على ارتكاب جريمته لشدتها ، قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

وقديما استطاع التشريع الاسلامى محو الجريمة أو الإقلال منها لدرجة الندرة ، ومن اهم ما ينبغى الإشارة اليه أن هذه العقوبات ليست إسلامية فقط ، بل قد سبقتها اليها شريعة التوراة وهى شريعة اليهود والنصارى حتى يومنا هذا .

وقد ساعد على تحقيق هذا السلام ما كان يتحلى به المسلم من عقيدة عظيمة جعلت من المجرم يأتى ويعترف بجريمته مهما كانت قسوتها ، لينجو من عذاب الله يوم القيامة .

بينما اليوم قد عجزت الدول عن اكتشاف الجرائم على الرغم من رقى الوسائل الحديثة حتى راحت تستعين بالكلاب (البوليسية) ...

نظرية الشريعة الاسلامية

لقد اشتملت هذه النظرية على محاسن كل من النظريتين وخلت من مساوئهما

فى تنسيق عجيب وحل نفسانى (سيكولوجى) دقيق . وهـذه مزية التشـريع الاسلامى العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حميد . « فمن اتبع هداى فلا يضـل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » . طه ١٢٣ و ١٢٤ .

وهذه النظرية تتلخص فى أن قاتل العمد يقتل قـال تعـالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فـلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » . الاسراء ٣٣ .

والاسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشـرك بالله، فالله واهب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها . وكل نفس هى حرم لا يمس ، وحرام إلا بالحق . وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه ، وليس متروكا للراى ولا متأثرا بالهوى . وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الا بإحدى ثـلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فأما الاولى فهى القصاص العادل الذى إن قتل نفسا فقـد ضمن الحيـاة لنفوس « ولكم فى القصاص حياة » . حياة يكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء . وحياة بكفيد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفون عند القاتل بل يمضون فى الثأر ويتبادلون القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء . وحياة يأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه الى عدالة القصاص فينطلق آمنا يعمل وينتج فاذا الأمة كلها فى حياة .

وأما الثانية فهى دفع للفساد القاتل فى انتشار الفاحشة ، وهى لون من القتل على النحو الذى بيناه .

وأما الثالثة فهى دفع للفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذى اختاره الله لها ، ويسلمها الى الفرقة القاتلة . والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنه اختار الاسلام لم يجبر عليه ، ودخـل فى جسـم الجماعة المسلمة واطلع على أسرارها ، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها . ولو بقى خارجها ما اكرهه أحد على الاسلام بل لتكفل الاسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب ، وبإجارته وابلاغه مأمنه إن كان من المشركين وليس بعد ذلك سماحة للمخالفين فى العقيدة .

« ولا تقتلوا النس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنـا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » .

تلك الأسباب الثلاثة هى المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب فقد جعل الله لوليه ـــ وهو اقرب عاصب اليه ـــ سلطانا على القاتل ، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية وان شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر فى التصرف فى القاتل ، لأن دمه له .

وفى مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الاسلام عـن الاسـراف فى القتل إستغلالا لهذا السلطان الذى منحه اياه . والإسراف فى القتل يكون بتجاوز القاتل الى سواه ممن لا ذنب لهم، كما يقع فى الثأر الجاهلى الذى يؤخذ فيه الآباء والاخوة والأبناء والاقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل ، والولى المسلط على دمه بلا مثلة ، فالله يكره المثلة والرسول قـد نهى عنه .

«فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا »، يقضى له الله ، يؤيده الشرع ، وينصره الحاكم . فليكن عادلا فى قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه (٢) . وفى تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل ، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية وتهدئة للغليان الذى تستشعره نفس الولى الغليان الذى قد يجرفه ويدفعه الى الضرب يمينا وشمالا فى حمى الغضب والانفعال على غير هدى . فاما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل ، وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص ، فان ثائرته تهدأ ونفسه تسكن عند حد القصاص العادل الهادىء (٣) .

غير أن حكم قتل القاتل ليس مطلقا ، فان فى القرآن العظيم آية أخرى سنراها بعد قليل تقول بتنازل ذوى القتيل عن حق القتل ، ولهم أخذ الدية أو التنازل عنها وليس لأحد غيرهم العفو عنه فهم وحدهم اصحاب الحق الشرعى والطبيعى فى القاتل وهم وحدهم المفجوعون به . وفى هذه الحال يكون المقدم على القتل فى حالة ذعر دائم وخوف رهيب من مطالبتهم بقتله من السلطة الحاكمة وقبوله العفو والدية مشكوك فيه ، وربما كان بعيدا ، فكم من الناس لم يقبلوا بالتنازل عن حقهم واصروا على طلب الإعدام ، فأعدم القاتل .

إلا أن هناك احتمالا قد يكون ضعيفا وقد يكون قويا بأن تهب الهيئة الاجتماعية ، اذا كان القاتل ليس من اصحاب السوابق ، وكان من ذوى الفضل والعلم الذين يخسر المجتمع اذا فقدوا الحياة ، فتسارع هذه الهيئة للتوسط ورجاء ذوى القتيل للعفو عنه سواء بأخذ الدية أو بدونها حسب رغبتهم الخاصة .

والأمل قد يكون قويا بقبول شفاعتهم فينجو القاتل من الإعدام ، وينجو المجتمع من فقده ، وقد يكون هذا الأمل ضعيفا فيقتل ويذهب ضحية جريمته .

والقضية فى هذه الحال تأخذ وضعا دقيقا وحساسا يكون فيها المقدم على القتل فى وضع رهيب يسيطر عليه الخوف كما صوره القرآن العظيم فى آية « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » (٤) .

تفصيل الحكم الاسلامى

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى (٥) ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التى تقتضى التلقى من الله ، الذى آمنوا به فى تشريع القصاص . وهو يناديهم لينبئنهم أن الله فرض عليهم شريعة القصاص فى القتلى ، بالتفصيل الذى جاء فى الآية الأولى . وفى الآية الثانية يبين حكمة هذه الشريعة ، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة . كما يستجيش فى قلوبهم شعور التقوى ، وهو صمام الأمن فى مجال القتلى والقصاص « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان » .

وهذا العفو يكون بقبول الدية من اولياء الدم بدلا من قتل الجانى ، ومتى قبل ولى الدم هذا ورضيه ، فيجب اذن أن يطلبه بالمعروف والرضى والمودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديه باحسان واجمال واكمال ، تحقيقا لصفاء

القلوب ، وشفاء لجراح النفوس ، وتقوية لأواصر الأخوة بين البقية الأحياء .

وقد امتن الله على الذين آمنوا بشريعة الدية هذه بما فيها من تخفيف ورحمة « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولم يكن هذا التشريع مباحا لبنى اسرائيل فى التوراة ، إنما شرع للأمة المسلمة استبقاء للأرواح عند التراضى والصفاء . « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . وفوق العذاب الذى يتوعده به فى الآخرة . . . يتعين قتله ، ولا تقبل منه الدية ، لأن الاعتداء بعد التراضى والقبول ، نكث للعهد ، وإهدار للتراضى ، وإثارة للشحناء بعد صفاء القلوب . ومتى قبل ولى الدم الدية فلا يجوز له أن يعود فينتقم ويعتدى .

ومن ثم ندرك سعة آفاق الاسلام ، وبصره بحوافز النفس البشرية عند التشريع لها ، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع . . إن الغضب للدم فطرة وطبيعة . فالاسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص ، فالعدل الجازم هو الذى يكسر شر النفوس ، ويذهب حنق الصدور ، ويردع الجانى كذلك عن التمادى . ولكن الاسلام فى الوقت ذاته يحبب فى العفو ، ويفتح له الطريق ، ويرسم له الحدود ، فتكون الدعوة اليه بعد تقرير القصاص دعوة الى التسامى فى حدود التطوع ، لا فرضا يكبت فطرة الانسان ويحملها ما لا تطيق .

ثم يكمل سياق الحديث عن فريضة القصاص بما يكشف عن حكمتها العميقة وأهدافها الأخيرة « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

إنه ليس الانتقام ، وليس ارواء الأحقاد . إنما هو أجل من ذلك وأعلى إنه للحياة ، وفى سبيل الحياة ، بل هو فى ذاته حياة . . . ثم إنه للتعقل والتدبر فى حكمة الفريضة ، ولاستحياء القلوب واستجاشتها لتقوى الله .

والحياة التى فى القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء ، فالذى يوقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل . . جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد ، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل . شفائها من الحقد والرغبة فى الثأر . الثأر الذى لم يكن يقف عند حد فى القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاما كما فى حرب البسوس المعروفة عندهم . وكما نرى نحن فى واقع حياتنا اليوم ، حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية جيلا بعد جيل ، ولا تكف عن المسيل . وفى القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم ، فاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها ، واعتداء على كل إنسان حى يشترك مع القتيل فى سمة الحياة ، فاذا كف القصاص الجانى عن إزهاق حياة واحدة ، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها ، وكان فى هذا الكف حياة . . . حياة مطلقة ، لا حياة فرد ، ولا حياة أسرة ، ولا حياة جماعة . . بل حياة . . .

ثم — وهو الأهم والعامل المؤثر الأول فى حفظ الحياة — استجاشة شعور التدبر لحكمة الله ، ولتقواه (لعلكم تتقون) .

هذا هو الرباط الذى يعقل النفوس عن الاعتداء ، الاعتداء بالقتل ابتداء والاعتداء فى الثأر أخيرا . . التقوى . . . حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله ، وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه .

إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة ، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفى التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع فى قوة أكبر من قوة الإنسان .

وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التى أقيمت فيها الحدود على عهد النبى

صلى الله عليه وسلم ، وعهد الخلفاء ، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجانى نفسه طائعا مختارا ... لقد كانت هناك التقوى ، كانت هى الحارس اليقظ فى داخل الضمائر وفى حنايا القلوب ، تكفها عن مواضع الحدود ... الى جانب الشريعة النيرة البصيرة بخفايا الفطر ومكنونات القلوب ... وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية والتوجيهات والعبادات من ناحية أخرى ، تتعاون جميعها على إنشاء مجتمع سليم التصور سليم الشعور ، نظيف الحركة نظيف السلوك ، لأنها تقيم محكمتها الاولى فى داخل الضمير . (٦)

أما بعد ....

فانى تحدثت فيما سبق عن حكم من أحكام الاسلام ، وهو الاعدام ، وكيف أنه فى القمة من الحق والعدل والرحمة ، وقد اشتمل على مزايا نظرية الاعدام ونظرية الغائه ، وخلا من محاذيرهما بصورة رائعة .

فهل يشجعنا هذا المثال من الوف الأمثلة على دراسة الشريعة الاسلامية والعمل بها من أجل تحقيق العدالة والحق والسلام ، تلك الشريعة التى شهد بعظمتها كبار اساطين الشرق والغرب فى القانون من مسلمين وغيرهم مما يضيق المجال عن التحدث عنه .

إننا نستصرخ الضمائر الحية ، راجين أن يتناول هذا البحث بالدراسة والعناية والاهتمام، واننا لا ندرى كيف نسوغ لأنفسنا ترك تراثنا التشريعى الضخم، والتهافت على القوانين الغربية المهلهلة التى من شانها أن تضيع شخصيتنا العربية وتطبعنا بطبائع الغربيين فنعتنق اخلاقهم الاباحية ، ونجعلهم سادة لنا ، ونصبح خداما لهم ، مثلنا فى ذلك هنود امريكا الذين اعتنقوا عقيدة القوم وقبلوا قوانينهم فلم ينفعهم ذلك شيئا ، وانما هددهم بالفناء وعرضهم للخطر .

ان قبولنا تحكيم التشريع الاسلامى علاوة على كونه يحفظ كياننا ويصون قوميتنا ، يجعلنا ائمة لخمسمائة مليون مسلم ، وهم حلفاء طبيعيون لنا واصدقاء صادقون يفرحون لفرحنا ويألمون لألمنا ، باستثناء بعض حكوماتهم الدائرة فى فلك الاستعمار . ولكن الحكومات لا تدوم وقد رأينا مصارعها ، انما البقاء للشعوب . وهذه الشعوب تشارك العرب بعواطفهم وتقر لهم بالزعامة ، وترى مصيرها مرتبطا بمصيرهم .

خطب الحكيم محمد إقبال فى أعضاء المؤتمر الاسلامى المنعقد فى القدس عام ١٣٥٠ (١٩٣١) فقال : « إن الاسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الالحاد ، وثانيهما الاستعمار ، وان مستقبل المسلمين فى العالم رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب ، فاذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الارض » .

إن القومية العربية متعطشة اليوم الى تحقيق العدالة بين شعوبها ، وخاصة العدالة الاجتماعية فهى حريصة على ما يكفل بقاءها عزيزة ويجعلها تساهم فى تأسيس الحضارة .

الا أن بعض من يتظاهر بالاخلاص لهذه القومية ، يغرينا بالارتماء فى أحضان النزعات المتخلفة من أجل تحقيق هذه العدالة .

ما القول اذا كان هنالك نظام ، لا يدعنا ذيلا فى القافلة ، قافلة المعسكرات المتطاحنة ، انما يمنحنا مع العدالة (على اختلاف صورها) كرامة دولية عزيزة فى الخارج ، ويرد لنا اعتبارنا فى المجتمع الدولى .

ما القول اذا كان هنالك نظام يحل مشكلاتنا الداخلية وفى الوقت ذاته لا

يدعنا نقف ابدا من المائدة الانسانية وقفة المستجدى الذليل ، بل وقفة المساهم فى هذه المائدة المعطى ما عنده ، وما عنده ليس بقليل .

إننا لنعجب كيف يمكن الانسان ان ينأى بنفسه عن موقف الكرامة الى موقف الذلة وعن دور المعطى الى دور المستجدى ، وعن مركز القيادة الى موقف التبعة وهو قادر على الاختيار ، لو قاوم فى ضميره شعور الاضطرار .

إن لدينا ما نعطيه ، ولسنا من المفلسين بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث تصورنا لأنفسنا المعسكرات الأجنبية .

ان لدينا ما نعطيه ولسنا من الافلاس بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث يصورنا لأنفسنا الأجانب المستعمرون على اختلاف مشاربهم ، انما يصوروننا هكذا لغاية فى انفسهم ، ليحل التخاذل فى نفوسنا محل الثقة ، واليأس محل التطلع ، ولنسقط فرائس ذليلة مستغفلة ، فى هذا الفخ أو ذاك ، ان لدينا ما نعطيه، ولكن فى حاجة لأن نؤمن بأنفسنا ، ففى هذا الايمان حياة ، وفى هذا الايمان نجاة .

اذا اتضح أن الاسلام يملك أن يحل لنا مشكلاتنا الأساسية ، ويمنحنا عدالة شاملة ، ويردنا الى عدل فى الحكم، وعدل فى المنزل ، وعدل فى الفرص، وعدل فى الجزاء فانه يكون بلا شك أقدر على العمل فى بلادنا من كل مذهب آخر ، نحاول استعارته عن طريق التقليد ، أو عن طريق المشاركة فى الحضارة الانسانية بالاستجداء .

أجل — اذا اتضح هذا كله — فالاسلام أقدر على العمل معنا هنا فى الداخل، ولن نحتاج الى استجلابه من وراء الحدود ، كما نستجلب الثياب المستعملة الجاهزة فتجىء فضفاضة ، أو خانقة ، « وقد تجىء وفيها السل » لأنها لم تصنع على أعيننا ولم تفصل على قدنا ، ولم تنبع من آلامنا وآمالنا .

والاسلام — يا قوم — صاحب لنا صديق، صاحبناه الفا واربعمائة عام تقريبا، له فى الجوانح هزة، وفى المشاعر ذكرى، وفى الضمائر أصداء، وليس بالغريب على ارواحنا ومشاعرنا وعاداتنا وتقاليدنا غربة المذاهب الاخرى التى نحمد منها اشياء ونكره منها أشياء ، ونألف منها اتجاها وننكر عليها اتجاها وتتوزع مشاعرنا ازاءها على أية حال توزيعا لا يضمن معه توحيد الجبهة فى طلب عدالة قوية كما نضمن توحدها اذا نحن هتفنا الى العدالة باسم الاسلام .

أن الذين يريدون تنحية الاسلام عن معركة العدالة على انواعها ليخوضوها تحت راية أخرى ، انما يخونون أنفسهم ان كانوا مخلصين فى دعوى العدالة أو يخونون قضية الجماهير ، جهلا بقيمة القوة الكبرى التى يزودهم الاسلام بها ، أو عداوة مريبة لهذه القوة العظيمة ، أو احتقارا لأنفسهم وكفرا بقيمتهم ، ورضاء كرضاء العبيد بفتات الموائد ووقفة الاذناب ...

اننا نفهم جيدا أن ينصب المستعمرون والمستغلون والطغاة للاسلام لينحوه عن معركة الحكم ، لأنه يحارب استعمارهم واستغلالهم وظلمهم بقوة ، أما أن ينصب للاسلام دعاة العدالة ورجال القضاء فذلك أمر غير مفهوم عندنا ، فان وراءه لخبثا ومؤامرة يجب أن يفطن اليها الابرياء والمخلصون الذين يريدون العدالة لذاتها ، ويكافحون للجماهير وحدها ، ويتجردون لهذه الغاية النبيلة بلا رياء ولا التواء ، ولا خيانة .

ان ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة فى حق العدالة ، وهدر لشرفنا العربى ، فهى تجعل عقوبة من يزنى بأمه أو ابنته أو شقيقته أقل — بكثير — من عقوبة من يسرق متاعا بسيطا .

ان ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة قومية ، فهو طالما داس كرامتنا

وحاول استرقاقنا وعرضنا للذبح والتشريد ، فهل يليق اتباعه بدلا من ان نثير عليه روح اللعنة والانتقام .

ان ارتباطنا بقوانين الغرب استهانة بحق الاسلام وتهاون بأوامر الله سبحانه الذى شاءت حكمته أن تحكم قوانينه الانسانية البشر ، كما حكمت قوانين الطبيعةالكون . وقد تم للبشر الافادة من الطبيعة بخضوعهم لهذه القوانين، فما بالهم تمردوا على القوانين الاخرى حتى حرموا الافادة من عدلها وخيرها وسلامها

لقد وصف هذا الاله العظيم من يهجر قوانين الاسلام بالكفر والفسق والظلم فقال : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهل أكفر وأفسق وأظلم ممن يترك النظم الالهية التى أثبتت التطبيق ، ثم أثبت رجال القوانين عظمتها — ثم يروح ويرتمى فى احضان القوانين الغربية الوضعية التى زادتنا فسادا وفوضى كما زادته خرابا وانهيارا .

اذكروا يوم كان اجدادكم العرب قبل اربعة عشر قرنا يتخطفهم الاستعمار الرومانى والفارسى من كل مكان ويستذلهم ، فجاء التشريع الاسلامى العربى فأنقذهم ورفع لهم راية الحرية وقادهم الى أعلى ذرا المجد .

اذكروا اجدادكم العرب الذين كانوا يهيمون فى الضلالة وقد انقسموا الى قبائل يذبح بعضها بعضا ، مما كان يهددهم بالفناء ، فسارع الاسلام — بأسرع من البرق — فأصلحهم ووحد بينهم وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس .

اذكروا سرطان اليهود الذى كان يسرى فى جسم القبائل العربية والحجاز مهددا اياها بالفقر والمرض حتى جاء الاسلام فاستأصل شأفتهم وأجلاهم عن الجزيرة العربية ، اذكروا أن هذه الأمة العربية لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها ، وان قوة العقيدة الصحيحة ليس مثلها قوة .

وان هذا التشريع الاسلامى الذى أنشأ مدنية دمشق وبغداد والأندلس (وهى سبب المدنية الغربية) لن يعجز عن مدنية العصر الحديث الصحيحة .

اذكروا أن جامعة اكسفورد الانجليزية قد أنشأت كرسيا لمحاربة التشريع الاسلامى وابعاد القومية العربية عن هذا النظام الديناميكى ليسهل استعمارها فهل يجوز أن نعمل كما يعمل المستعمرون .. ؟

اذكروا أنكم حملة رسالة العروبة المؤمنة ، وان العالم اليوم على فوهة بركان ، فقد عرضته المدنية المادية الحديثة ومذاهبها الهوجاء الالحادية الى الفناء باعتراف مفكرى الغرب . سارعوا لحمل الشعلة وانقاذ قافلة الانسانية الضالة .

---

(١) راجع كتاب « الجريمة والمجتمع » للدكتور زكريا ابراهيم ص ١٥ — ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ — ١٨ .

(٣) عقوبة الاعدام للاستاذ : المحامى مصطفى ذوق ص ٣ — ٤ .

(٤) فى ظلال القرآن تاليف سيد قطب ص ٣١ و ٣٢ المجلد الخامس .

(٥) هذا الحكم منسوخ بآية (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .. الآية) .

(٦) قال ابن عباس : مما كتب على من كان قبلكم ، فانه كان فى بنى اسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية .. الحديث أخرجه البخارى والنسائى . والمسيحية كانت تقول بالعفو مطلقا !

(٧) فى ظلال القرآن تاليف سيد قطب ص ٦٨ — ٧٢ الجزء الثانى — المجلد الأول .

دور جامعة الأزهر في الطب

احتفالا بالعيد الالفى للازهر دعت كلية الجراحين الملكية بدبلن ــ اشهر واقدم كلية جراحين فى العالم ــ الدكتور فؤاد الحفناوى استاذ ورئيس قسم أمراض النساء بكلية طب الازهر . ليكون ضيف الشرف فى الاجتماع السادس لذكرى روبرت آدمز منشىء الكلية ــ وقد القى الدكتور الحفناوى فى الاحتفال محاضرة عن دور الازهر فى تعليم الطب امام حوالى ٥٠٠ طبيب من كبار جراحى العالم ، قال فيها : ان انشاء كلية طب فى الازهر ، فى العصر الحديث لم يكن بدعة أو أمرا دخيلا على الازهر ــ فمنذ انشائه أيام الفاطميين كانت تلقى فيه بجانب العلوم الدينية دراسات عن النظام الاكاديمى فى الطب والرياضة والفلك .

□ ويذكر التاريخ أن اثنين ممن توليا منصب شيخ الأزهر وهو أعلى منصب فى الجامعة الاسلامية ، كانت لهما مؤلفات فى الطب ، أولهما الشيخ حسن العطار الذى الف عدة رسائل فى الطب والتشريح وكتابا فى الصيدلة ردا على تذكرة داود .

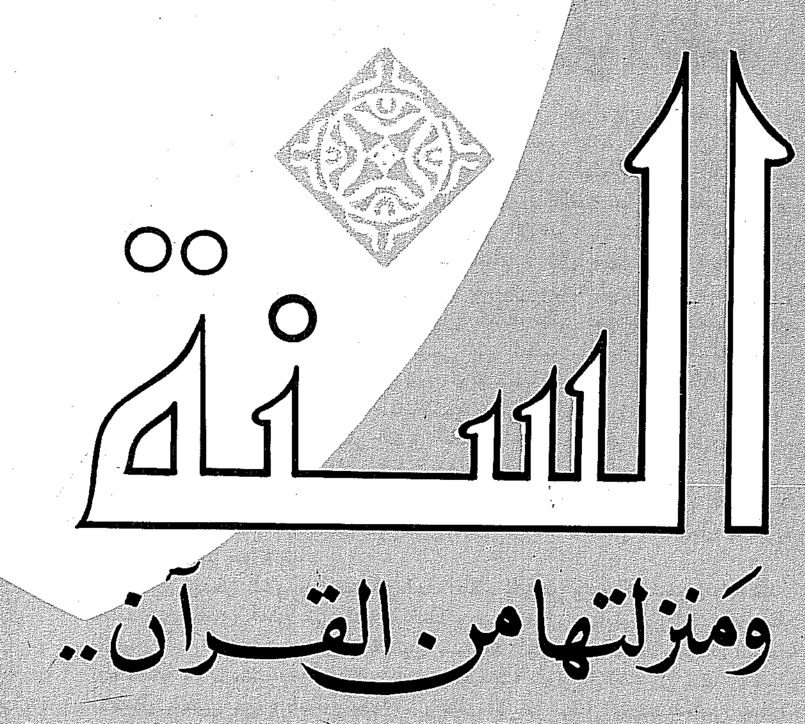
اما العالم الثانى فهو الشيخ احمد عبد المنعم الدمنهورى الذى ترك مؤلفات طبية متعددة يذكر المؤرخون منها كتابه المسمى « القول الصريح فى علم التشريح » .

□ ويذكر التاريخ ايضا ان احد أعلام الازهر وهو الشيخ عبد اللطيف البغدادى الذى أعلن فى أيامه خطأ وصف قول جالينوس لفك الانسان الاسفل من أنه مكون من عظمتين ــ وقد اجرى عالم الازهر دراسة احصائية وقام بتشريح لحوالى ٢٠٠٠ جمجمة لموتى واثبت أن فك الانسان الاسفل يتكون من عظمة واحدة . وعالم الازهر بهذا المنهج العلمى يعطينا مثلا للدقة والامانة العلمية حين أعلن فى ثقة اكتشافه وحدة عظمة الفك الاسفل .

□ كما وأن هناك عالم الازهر الكبير فى عصر الحاكم بأمر الله وهو الحسن بن الهيثم الذى قرر لاول مرة أن الابصار يرجع الى أن أشعة الجسم المرئى تنتقل الى العين وعارض بذلك نظرية بطليموس المبنية على أن العين هى التى ينبعث منها أشعة الابصار .. وقد أخذ عنه علماء أوروبا نظرياته فى البصريات وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكية العين ــ وظلت هى المرجع المعتمد فى أوروبا حتى القرن السادس عشر .

□ وفى العصر الحديث حين اراد محمد على القيام بنهضة صحية للعناية بالجيش استدعى كلوت بك من فرنسا الذى أوصى بانشاء مدرسة للطب فى أبو زعبل كان نواة الدارسين فيها ١٠٠ طالب أزهرى سافر منهم بعد خمس سنوات الى باريس ١٢ خريجا وحصلوا منها على شهادات التخصص وعادوا بعد ذلك ليعملوا كنواة لاعضاء هيئة تدريس مصرية صميمة ــ ثم كانوا أول أعمدة انشاء مدرسة طب فى مصر وهى مدرسة طب قصر العينى .

اننا نطالب والازهر قد بلغ من العمر الف سنة أن يكون الاحتفال به مساويا لما قدمه لمصر وللعالم الاسلامى من خدمات ــ بل أن يكون الاحتفال به بداية لدفعة جديدة كجامعة اسلامية شاملة وخصوصا الكليات العملية التى انشئت حديثا وتحتاج لدعم كبير مثل الطب والهندسة والزراعة حتى تستطيع كليات الازهر العملية أن تتخطى الصعوبات التى تواجهها وتخرج للعالم الاسلامى العلماء المتخصصين فى أحدث تطورات العلم فى عصرنا .



السنة ومنزلتها من القرآن ..

للدكتور عبد الله شحاته

السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الاسلامى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى)) .

وتطلق السنة على الطريقة والمنهج ، ومن ذلك لفظ الحديث الشريف : ((من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من اجورهم شىء ، ومن سن فىالاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من اوزارهم)) . رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى .

كما تطلق على الطبيعة والناموس الكونى وعلى حكم الله سبحانه وتدبيره ومنه قوله تعالى : (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) الاحزاب : ٦٢ .

والسنة فى اصطلاح المحدثين تطلق على ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اقوال أو افعال أو تقرير او سيرة او خلق أو شمائل او أخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث او الخبر او الاثر حيث يستعمل اسم السنة (١) وبذلك يكون الحديث والاثر مرادفا للسنة بالمعنى العام . قال العلماء :

« أما أصل علم الحديث والسنة فهو أقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه واكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفته أهله وتأديبه فرسه وكتبه الى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه والحاظه

وانفاسه وصفاته مما رواه عنه من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا اليه فيه ، وقد أدى ذلك من الصحابة الى التابعين فمن بعدهم الى عصر التدوين (٢) » ..

•• •• ••

تـــدوين الســنة

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين السنة خوفا عليها من الضياع . وأكد هذا الامر أبو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهرى وكان سابق الحلبة ، الا أن عمله انما كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب . وأمـــا الجمع مرتبا على الأبواب فوقع فى نصف القرن الثانى الهجرى ، وكان ممن قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك وابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومعمــر باليمن وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح وسعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة بالبصرة وسفيان الثورى بالكوفة والأوزاعى بالشام ، وجرير بن عبـــد الحميد بالرى (٣) .

موطــأ مالــك

عاش الامام مالك بالمدينة المنورة وهى دار الهجرة والمركز الاسلامى الذى انتقل نور الاسلام منه الى سائر الامصار ، وفى صحيح البخارى : « ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » . أى أن الايمان يحتمى بالمدينـــة ويتحصن بهـــا من أذى المشركين كما تحتمى الحية بجحرها ممن يريد قتلها .

وقد ولـــد الامام مالك بالمدينة سنة ٩٤ هـ وتوفى بها سنة ١٧٩ عن ٨٥ سنة بعد أن ألف كتابه الموطأ ، ولعله الكتاب الوحيد الذى وصلنا بالرواية الصحيحة من تأليف هذا العصر ، ولذلك نتخذه نموذجا للطريقة التى دون بها علم الحديث فى أول الأمـــر .

والموطأ وان لم يكن فى الواقع كتاب حديث مجرد لانه يحتوى على كثير من الفقه والاستنباط وأقوال السلف ومذاهب الصحابة .

الا أنه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذى بذله الامام مالك فى تحرى الاحاديث الصحيحة ، وعدم الرواية الا عن الاعـــلام الاثبات الثقات ، فقد قيل أنه لما ألفه أولا كان يشتمل على نحو عشرة آلاف حديث ولم يزل ينتقى منه ويختار حتى لم يبق منه الا نحو ألف حديث وهذه النسبة وهى واحد من عشرة أو قل عشرة من مائة ، هى التى عمل عليها تقريبا جل المؤلفين فى الحديث بعد ذلك ، لا سيما أئمة الصحيح .

ورتب الامام مالك كتابه الموطأ على الابواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث الشاهد فى أول الباب أو فى أثنائه ثم يخلل الباب بالآثار والاقوال الثابتة عن الصحابة وأئمة السلف فى الموضوع ، ويأتى بباب اسمه الجامع يروى فيـــه متفرقات من الباب لا تصلح أن تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع ســماه الجامع ، وضمنه أحاديث فى السنن والاخلاق وآداب الســـــلوك ونحـــو ذلك .

ويقال أنه أول من ابتكر هذا الصنيع فى التأليف ، أى جمع المســـائل المتفرقة فى باب اسمه الجامع ، وعلى ما نرى فان طريقة الامام مالك فى تأليفه للموطأ برغم قدم الزمن هى من أحسن الطرق التى ألفت عليها كتب الســـــنة فيما بعد واتبعها معظم المحدثين الى المائة الثالثة .

وفى القرن الثالث الهجرى نشطت حركة جمع الحديث نشاطا كبيرا وتناولت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلة ، فألف البخارى جامعه الذى هو أول كتاب ألف فى الصحيح ، وكذا مسلم صاحب ثانى الصحيحين ، وألف بقية أصحاب كتب السنة كتبهم ، وهى التى تلقاها المسلمون بالقبول . ويقول السيوطى : ان الحديث اذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين الستة فليروه الانسان مطمئنا اليه (٤) .

وكان التأليف فى هذا العصر على أوضاع مختلفة ، منها ما بقى محافظا على وضعه الاول الذى كان أكثر العمل عليه عند بدء التأليف ، وهو جمع أحاديث كل راو على حده ، وان اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالمسند ، وهو المنهج الذى اتبعه الامام أحمد بن حنبل فى كتابه العظيم المسمى بمسند الامام أحمد ، ومنها ما ألف على الابواب والمسائل وهى طريقة الامام مالك فى الموطأ . ومنه ما يكون عاما شاملا لاحاديث العبادات والاحكام والحكم والتواريخ والرقائق وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ، ومنه الجامع الصحيح للامام البخارى وغيره ، ومنه ما يقتصر على السنن والاحكام كسنن أبى داود ، ومنه ما يخص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة فقط كشعب الايمان للبيهقى والقراءة فى الصلاة للبخارى الى غير ذلك .

« واشتهر صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتب السنن الاربعة بالكتب الستة ولكل من اصحابها ميزة يعرف بها . فمن اراد التفقه فعليه بصحيح البخارى ، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم ، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن التحديث فعليه بجامع الترمذى ، ومن قصد الى حصر أحاديث الاحكام فبغيته لدى أبى داود فى سننه ، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فابن ماجة يلبى رغبته ، فأما النسائى فقد توافرت له هذه المزايا (٥) » .

وأحب أن أسجل هنا ظاهرة تشترك فيها جميع الكتب التى الفت فى السنة . وهذه الظاهرة هى حرص جميع المؤلفين برغم اختلاف مناهجهم على الا يسجلوا فى كتبهم حديثا الا ومعه اسناده الذى تلقوه به مسلسلا متصل الحلقات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما نسجل هذه الظاهرة هنا لانها أسهمت بنصيب كبير فى حفظ السنة النبوية وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف وهيأت للمتخرجين من الدارسين ما هيأته للمتقدمين ، من دراسة دقيقة للسنة ، ومن نقد منصف أمين لما لم يصح منها (٦) .

•• •• ••

الاسناد وأثره فى حفظ الحديث

حرص المحدثون أن يصحبوا كل حديث بسنده الذى روى به وبذلوا جهودا فى هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ومن ثم قيل ان الاسناد من خصائص هذه الامة أى تتبع رواة الحديث واحدا فواحدا والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة الى النبى صلى الله عليه وسلم .

شهادة انصاف

وقد أبدى المنصفون من المستشرقين اعجابهم بالجهد الكبير الذى بذله المسلمون لحفظ الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من ضعيفها ، قال المستشرق جوينبول Guynball كاتب مادة الحديث فى دائرة المعارف الاسلامية :

« لا يعد الحديث صحيحا فى نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد يوثق برواياتهم ، وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم

لمعرفة الوقت الذى عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والامانة فى نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة فى روايته » (٧) .

.. .. ..

ونوه الاستاذ آدم متز ، فى كتابه الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، بالدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد أعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا فى الاساس الذى ينبنى عليه هذا الحكم أعنى الصفات التى يجب توفرها فى المحدث الثقة ، وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ، وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث فى حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجرى مثل تاريخ البخارى وطبقات ابن سعد .. الخ » (٨) .

منزلة السنة من القرآن

لم يكن للاحكام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر سوى القرآن والسنة ففى القرآن الاصول العامة للاحكام الشرعية دون التعرض الى تفصيلها جميعها ، والتفريع عليها .

وحكمة ذلك أن يحقق القرآن الكريم النهضة الانسانية الشاملة ، والرقى الاجتماعى والفكرى ، وينشر العدالة والسعادة فى كل زمن ، ويبقى صالحا لكل أمة مهما كانت بيئتها واعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية فى سبيل النهوض والتقدم والى جانب هذه الاصول فى القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الامم الغابرة ، والآداب العامة والاخلاق . « وقد جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم تفسر مبهمه وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم تتمشى مع قواعده وتحقق أهدافه وغاياته ، فكانت السنة تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقا يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينا يكون عملا صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحينا آخر يكون قولا يقوله فى مناسبة ، وحينا ثالثا يكون تصرفا أو قولا من أصحابه فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريرا » (٩) .

.. .. ..

أمثلة من بيان السنة للقرآن

أمر القرآن بالايمان بالله وحث عليه وذكر فضله وثوابه ، ثم جاءت السنة فوضحت هذا الايمان وبينت حدوده بقوله صلى الله عليه وسلم : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره » (١٠) .

وكذلك الاسلام والاحسان ، وأركان الاسلام ، فالصلاة وهى عماد الدين وأولى فرائضه أوجبها القرآن مجملة بقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة : ٤٣ .

ولم يرد فى القرآن بيان عدد الصلوات ولا كيفيتها فجاءت السنة فبينت عدد الصلوات والركعات وكيفيتها وشروطها واصلاح ما يقع فيها من الخلل ،

ووضحت أوقاتها وكيفية العمل فى فوائتها .
ولم يذكر فى القرآن ذلك الا مجملا ، ولكن السنة بينت ذلك تفصيلا فقال صلى الله عليه وسلم : «صلوا كما رأيتمونى أصلى » (١١) .
وروى لنا الصحابة كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام والاوقات التى صلى فيها وما يتعلق بالصلاة ، وما هو واجب منها وما ليس بواجب .
والزكاة أشار القرآن الى وجوبها بقوله تعالى : (والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .
وبينت السنة الاصناف التى تجب فيها الزكاة وهى الاموال السائلة وعروض التجارة والركاز وهو ما استخرج من باطن الارض والزرع والثمار ، وزكاة الماشية كالابل والبقر والغنم ، وبينت تفاصيل الزكاة وما يتعلق بها .
وكذلك الصوم أوجب الله علينا صوم شهر رمضان وبينت السنة احكام الصيام تفصيلا بفعله صلى الله عليه وسلم فوضحت أركان الصيام وفرائضه وسننه وآدابه وعقاب تاركه والكفارة لمن أفسد صيامه الى غير ذلك
والحج أوجبه القرآن على من استطاع ، يقول سبحانه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .
وبينت السنة كيفية الاحرام وممنوعاته وحدود عرفه والوقوف فيه وكيفية السعى والطواف وعدد الاشواط الى غير ذلك ، وقد أجمله عليه السلام بقوله : « خذوا عنى مناسككم » وبينت الاحاديث النبوية التى رواها الصحابة الذين عاينوا حجة الوداع تفاصيل حجه صلى الله عليه وسلم .
فهذه بعض الاحكام مما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، استفيدت من السنة وان ذكرت أصولها فى القرآن ، فلا جرم أن السنة قولية كانت أو فعلية عليها مناط التشريع بعد القرآن ، فى العبادات والمعاملات . وخلاصة القول ان السنة مع القرآن على ثلاثة وجوه :
الأول : ما كان موافقا للكتاب مؤيدا له ومؤكدا ما جاء فيه كأحاديث الامر بالصلاة والزكاة وتحريم الربا ونحوها .
الثانى : ما كان مبينا ومفسرا لما جاء فى القرآن فبينت السنة المراد منه كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها .
الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ليس فيه نص من القرآن ، كما فى زكاة الفطر وصلاة الوتر من أحكام العبادات وكما فى الحكم بالشاهد واليمين وميراث الجدة من أحكام المعاملات . وقد قال الله عز وجل فيما هو من هذا القبيل : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر ٧:

** ** **

وجوب العمل بالسنة

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية برسالة الاسلام ، فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا وانزل اليه القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى والحجة العظمى ، وأمره بتبليغه وبيانه .
فالقرآن الكريم هو أساس الشريعة لانه كلام الله تعالى المعجز المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل الامين المتواتر لفظه جملة وتفصيلا المتعبد بتلاوته المكتوب فى المصاحف .
وكل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم ــ سوى القرآن الكريم ــ من بيان لاحكام الشريعة وتفصيل لما فى الكتاب الكريم وتطبيق له هو الحديث

النبوى أو السنة ، وهي بوحى من الله تعالى ، أو باجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ وعلى هذا فمرد السنة الي الوحى ، فالقرآن الكريم هو الوحى المتلو المتعبد بتلاوته والسنة وحى غير متلو لا يتعبد بتلاوتها (١٢) .

وقد أرشدت أصول الدين الى وجوب العمل بالسنة ودل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع .

•• •• ••

أما الكتاب فقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى) النجم : ٣ ، ٤ .

وقوله سبحانه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

وقوله عز وجل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .

وقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل : ٤٤ .

فالرسول مبين للكتاب وشارح له ومطبق لاحكامه واهدافه فهو القرآن المتحرك ولذلك قالت عائشة وقد سئلت عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن .

وقد أمرنا القرآن بطاعة الرسول فقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء : ٥٩ .

ادلة حجية السنة من الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكة يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه . فيقول : لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (١٣) .

وفى الحديث : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » (١٤) .

الاجماع :

اجتمعت الامة الاسلامية على وجوب العمل بالسنة ، ونقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل ، ورجعوا اليها فى أمور دينهم ، وعملوا بما فيها وتمسكوا بها وحافظوا عليها ، استجابة لله عز وجل وتأسيا برسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

روى أبو نضرة عن الصحابى الجليل عمران بن حصين : أن رجلا أتاه فسأله عن شىء فحدثه ، فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عز وجل ولا تحدثوا عن غيره ، فقال : انك أمرؤأحمق .. أتجد فى كتاب الله صلاة الظهر اربعا لا يجهر فيها ، وعد الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسرا فى كتاب الله ؟ كتاب الله أحكم ذلك والسنة تفسير ذلك (١٥) .

•• •• ••

وقد نهج الصحابة والتابعون وأتباعهم والمسلمون من بعدهم على المحافظة على السنة والعمل بها واجلالها .

قال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا الا بالقرآن فقال مطرف : « والله مانريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بين الكتاب الكريم وطبق تعاليمه ، وشرح مقاصده وغاياته ، وفصل أحكامه بسنته الطاهرة ، التى كانت ولا تزال قدوة المسلمين وسبيلهم ولذلك تمسكوا بها تمسكهم بالقرآن الكريم ، وحافظوا عليها محافظتهم عليه (١٦) .

•• •• ••

ان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم انه استطاع أن يجمع العرب وان يوحد كلمتهم وأن ينشر روح الحياة فى أمتهم حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحملوا رسالة الله الى المشارق والمغارب وجاءهم نصر الله والفتح .

وان هذا القبس والهدى فيه الصلاح والفلاح لأمتنا ولن يصلح آخر الامة الا بما صلح به أولها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الاحزاب : ٢١ .

---

(١) على الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، ص ٣٤ .

(٢) عبد الله كانون ، الحديث وقيمته العلمية ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٦٨ ، والمدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابورى ص ١٢ من طبعة لندن ، ومحمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث ص ٢٥ طبعة لبنان (دار الفكر) .

(٣) تدريب الراوى للسيوطى ص ٢٤ .

(٤) تدريب الراوى ص ٥٥ .

(٥) د. مصطفى زيد : دراسات فى السنة ، ص ٩ .

(٦) د. مصطفى زيد : دراسات فى السنة ، ص ١٠ .

(٧) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية المجلد ٧ ص ٣٣٥ .

(٨) الحضارة الاسلامية لآدم ميتز ، الترجمة العربية لمحمد عبد الهادى أبو ريدة ، ٣١٩/٤ .

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ص ٤٧ . وعلى الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٣٩ وما بعدها ، وعلى حسب الله : أصول التشريع الاسلامى ص ٣٤ وما بعدها .

(١٠) البخارى : ١٢/١ .

(١١) البخارى : ٨٥/١ .

(١٢) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ٣٤ .

(١٣) رواه الامام الشافعى فى الرسالة ص ٨٩ فقرة (٢٩٥) .

(١٤) الفتح الكبير : ٢٧/٢ .

(١٥) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ .

(١٦) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ ، د. محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٨٠ — ٩١ .

واجبنا نحو الإسلام

واجبنا أن ننشر مبادئه المثالية، ومثله العالية، بجميع اللغـات الأجنبية، ونوزعها بالمجـان، أو بأرخص الأثمان، حتى يشعر العالم كله بالإسلام على حقيقته، وتزول الخرافات والأباطيل التي نشرهـا المتعصبون المبشرون المحترفـون عن الإسـلام، وهو منها برىء.

هذه هى الوسيلة لنشر الإسلام بين الأوروبيين والأمـريكيين، والآسيويين والأفـريقيين، لأنهم لا يعلمون شيئا عن كنـه الإسـلام وحقيقته، إلا ما يذكر من الافتراءات والأكاذيب، لتضليل العقـول فى الكتب المؤلفـة للتبشير. والتبشير حـرفة يأكل منها المبشر عيشـه، ووسيلة بها يجد رزقه.

ولو تـرك الإنسـان بفطرته الطبيعية، ولم يتدخل أحد من الآباء والأمهات فى جعله يهوديا أو نصرانيا لاتخذ الإسلام دينـا لو نال نصيبه من الثقافة العامة، ثم وجد من يفهمـه الإسلام، وآراءه، وأركـانه، وروحه، ومبادئه وأخلاقه، وقواعده فالإسلام حقا دين الفطرة الإنسانية، والعقل المنطقى، يصلح لكل بيئة، ويناسب الحضرى والبدوى والبدائى، وكل شعب من الشعوب، وكل عصر من العصور.

واجبنا أن ندعو إلى الاسلام، بإخلاص فى الدعوة، وعقيـدة فى القلب، وصـفاء فى السريرة، ابتغاء مرضاة الله، حتى تخـرج الدعوة من اللسان، أو تدون بالقلم، فتسمع أو تقرأ، فتصل إلى القلوب، وتؤثر فى النفوس، لأنها خالصـة لوجه الله الحق جل جلاله.

لماذا انتشر الإسلام بسرعة ؟

لقد انتشر الإسلام بسرعة فى أقل من قرن بين الصين من الشرق ، والمحيط الأطلسى من الغرب ، لأنه دين الفطرة ، والطبيعة الإنسانية ، دين المستقبل ، دين سهل يتقبله العقل والمنطق ، ويتصل بقلوب الناس ، ويصل إلى الأفئدة . يدعو إلى التمسك بالفضائل ، والبعد عن الرذائل ، ويأمر بالخير ، وينهى عن الشر .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويصلح لكل زمان ومكان ، ويناسب كل بيئة وإنسان ، يحدد الحقوق ، ويسوى بين جميع الطبقات ، فى احترام النفس والدين ، والعرض والمال .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين اليسر والتسامح ، دين الإيثار والإنسانية ، دين الإخاء والحرية ، دين المساواة بين الفقراء والأغنياء ، دين العطف والشفقة والرحمة ، دين العدالة المطلقة ، دين يسهل فهمه ، ويطمئن إليه كل إنسان ، ويدعو إلى الدنيا والآخرة .

ويرجع انتشار الإسلام بسرعة إلى ما اتصف به الرسول الكريم من إيمان بما يدعو إليه ، وثقة تامة بتأييد الله ، واجتهاد فى نشر دعوته ، وثبات

عظيم ، وصبر لا نهاية له على ما كان يلاقيه من أذى أقرب الناس إليه ، وهم أهله وعشيرته ، الذين تحدوه وعاندوه ، وحرضوا القوم عليه ، لكنه قام بالدعوة إلى الاسلام وحده صابرا ، وقومه ما بين مستهزىء به ، وغافل عنه ، ومستعد عليه . واستمر يقارعهم بالحجة ، ويناهضهم بالدليل ، ويأخذهم بالنصيحة ، ويسكتهم بالمنطق ، ويزعجهم بالزجر ، واخيرا سفه احلامهم وعقولهم ، وضلل آباءهم ، وسخر من آلهتهم وأوثانهم وأصنامهم ، وانذرهم عذابا اليما .

وثابر على ذلك صباح مساء ، حتى اخذتهم العزة بالإثم ، واجمعوا امرهم بينهم على قتله ، ليستريحوا منه ، لولا ما كان من حماية عمه ابى طالب إياه . وقد استمر فى الدعوة إلى الحق حتى انتصر عليهم جميعا بالحجج القوية ، والإيمان الراسخ ، والخلق الكامل ، والأمانة المطلقة ، والإخلاص النادر ، والصبر الجميل .

بهذه الأخلاق العظيمة نجح محمد صلى الله عليه وسلم فى نشر دين الله ، وإعلان احكامه ، ووحد بين العرب ، بعد أن كانوا شيعا واحزابا ، وتحققت الوحدة العربية ، واجتمعت الكلمة الإسلامية فى جزيرة العرب ، وانتشرت الوحدة الدينية بين العرب ، بطريقة لم يعهد لها نظير فى ماضيهم .

واصبح العرب فى زمن قصير امة تدين بالتوحيد ، وصارت الأمة العربية دولة الزمان ، ذات الأساس المتين .

وبانتشار الإسلام تغيرت عقائد وعادات وتقاليد . وشرع الإسلام للناس قوانين وأحكاما تتفق مع العقل المنظم ، والمنطق السليم وجاء بحكم وآداب خشعت لها قلوب المفكرين ، ودهشت منها عقولهم ، وانصرفت وراءها هممهم . وحث

على التعليم والإرشاد ، وقرر قواعد العدالة والإنصاف ، والحرية الدينية، والمساواة بين الفقراء والأغنياء ، والبيض والسود والصفر .

كل هذا اورق واينع ، وازهر واثمر فى ربع قرن ، ثم كان له فى الأمة الإسلامية وحياتها المجيدة شأن عظيم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم انشأ أمة عظيمة ، متآلفة متعاونة ، من قبائل عربية كانت متباغضة متطاحنة ، واعد الأمة الإسلامية إعدادا كاملا : لتتبوأ مكانها بين الأمم المجيدة . فكان له منها دولة إسلامية عظيمة قوية عنت لها من بعده وجوه القياصرة والأكاسرة . وصار أبناؤها يرون بحق أنهم أهل لأن يسودوا العالم ، ويقودوا الأمم ، وينشروا العدل والسلام على الأرض، وصارت فى أقل من قرن تخفق راياتها على البلاد المتمدنة ، الممتدة من جدار الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا . ولم تبلغ دولة من دول العالم ما بلغته الدولة الإسلامية فى انتصاراتها ، وفتوحاتها ، مع قلة المسلمين فى البدء ، وقلة استعدادهم ، وكثرة الأعداء ، وقوة أسلحتهم .

« وما النصر إلا من عند الله » .
« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

بلغ محمد دين التوحيد ، فاكتسح إفريقية من القاهرة إلى مراكش وجنوب أوروبة ، واكتسح نصف آسيا من القدس الشريف إلى بغداد، إلى طهران ، إلى الهند ، ووصل الى قرطبة وغرناطة ، وانتصر الحق علي الباطل ، وانتشر نور الإسلام على ظلام الكفر والوثنية .

ولا عجب ، فهو دين يدعو إلى توحيد الله ، وينبذ الأوثان ، ويدعو إلى الأخلاق الكريمة ، والصفات النبيلة ، والآداب الكاملة ، والتمسك بالفضيلة ، واجتناب الرذيلة .

دين زيّن اسبانيا ومصر والقسطنطينية وفلسطين والهند بعمارته الرشيقة الجميلة ، من قصر الحمراء إلى التاج محل .

ولو اتبع المسلمون دينهم ، واستمسكوا بأصوله وقواعده لظلت راياتهم تخفق إلى اليوم على ملكهم الواسع الأطراف .

وما دام الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه المجيد ، وما دام الله يأبى إلا ان يتم نوره ، ويظهر دينه على الدين كله ، فإن أهل القرآن الكريم بعد انصرافهم عن كتابهم ودينهم ، سيقبلون على القرآن ، وعلى الإسلام فيقبل عليهم الزمان ، وتعود الدولة إليهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

الإسلام انتشر بمبادئه الإنسانية وآرائه المنطقية :

وإننا نرى أن الإسلام قد انتشر بمبادئه المثالية فى إفريقية وآسيا وأوروبة ، انتشر بمبادئه السامية لا بقوة السيف . انتشر بآرائه المنطقية التى تتفق مع العقل والمنطق ، وكل زمان ومكان ، وتتفق مع الحضارة والمدنية . انتشر بمبادئه التى تلائم الطباع والنفوس البشرية ، وتتفق

مع الإنسانية ، فقد قضى على الرذائل ، وابطل عبادة الأصنام ، وحرّم اكل لحوم الإنسان ، ونشر بين العالم كله العزة والإيثار ، والكرم والإحسان ، والعفو عند المقدرة والصدقة على الفقراء والمساكين .

وبهذه المبادىء الإنسانية انتشر الإسلام ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، واتم الله نعمته على الرسول الكامل ، ونصره نصرا عزيزا .

لماذا تاخر المسلمون ؟

إهمال الناحية الروحية والتفكير فى الناحية المادية وحدها :

إن من ينظر إلى هذا العالم فى القرن العشرين يجد أنه قد نسى الناحية الروحية ، والقيم الروحية ، والمبادىء الخلقية من الوفاء والمروءة ، والأمانة والرحمة ، نسى حياة الفضيلة ، واتجه بعقله وعمله إلى الحياة المادية ، حياة الغدر والخيانة ، والقتل والقسوة ، فعاش فى حرب ونزاع وقتال ، وشاهد آثار الحرب الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وآثار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولو اتجه العالم إلى روح الإسلام ، روح الجمع والتوسط بين الحياة الروحية والحياة المادية لتجنب تلك الحروب التى قاسى الغالب والمغلوب ويلاتها ، وقاست الإنسانية فظائعها .

إن الاستعمار هو السبب فيما حدث من حروب وويلات ، وإن المطامع الاستعمارية الغربية هى التى هددت وتهدد السلام العالمى بالتدمير والخراب . ذلك الاستعمار الغربى الذى كان سببا فى تخلف الشرق والشرقيين ، عشرات من السنين . فهؤلاء المستعمرون لصوص يدخلون البلاد الآمنة تجارا فى الظاهر ، ومستغلين وقراصنة فى الواقع . فقد دخلوا لينهبوا ما فيها من خيرات وغنائم ومواد أولية ، وليبيعوا منتجاتهم ومصنوعاتهم فيها ، ويجردوها من أنواع الأسلحة والذخائر ، وينشروا فيها الجهل والفقر والمرض ، ويشجعوا الفساد الخلقى والمخدرات حتى تضعف ، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها . فالاستعمار سبب التخلف فى البلاد الإسلامية . ولو اتحد المسلمون فى العالم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ما استطاع المستعمرون الذين يمتصون دماء الشعوب ، ويتجرون بالحروب — أن يدخلوا البلاد الإسلامية أو يسيطروا عليها فى يوم من الأيام ، ولو اتحد العرب ما استطاعت انجلترا أن تشرد أكثر من مليون من العرب ، وتطردهم من وطنهم ، لتخلق وطنا ليهود العالم ، يسمى إسرائيل .

المسلمون لم يتاخروا اليوم بسبب دينهم :

إن المسلمين اليوم لم يتأخروا بسبب دينهم ، ولكنهم تأخروا لأنهم لم يحافظوا على دينهم ، فتدخل الاستعمار فى شئونهم ، وسيطر على بلادهم زمنا ليس بالقصير . وقد شهد العلماء والمؤرخون بفضل المسلمين الأول وعلمائهم ، وأدبائهم ،

وفلاسفتهم ، وحكمائهم ، واطبائهم ، وقـــادتهم .

وقد كانوا يقودون العالم حينمـــا كانوا محافظين على دينهم ، واخلاقهم الإسلامية ، كالصدق ، والوفـــاء بالوعد ، والأمـــانة فى المعاملة ، والإحسان إلى الفقراء ، والدفاع عن الحق ، والعدالة فى الحكم ، والعمل لكسب الرزق ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والتمسك بما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه . فلما تغـير سلوكهم ، وخالفوا المبادىء الإسلامية ضعفوا بعد أن كانوا أقوياء ، وتأخروا بعد أن كانوا قـــادة العالم . وإن الأمم الناهضة اليوم نهضت وتقدمت لأنهـــا تتخلق بالأخلاق الإسلامية ، ولو انها لا تدين بالإسلام .

احمد شوقي يصـــف الأسباب التي اخرت المسلمين :

ادعوك عن قومى الضعاف لأزمة(١)
فى مثلها يلقى عليـك رجـــاء
أدرى رســول الله أن نفوســـهم
ركبت هواها (٢) والقلوب هواء (٣)
متفككون فمـــا تضـم نفوســـهم
ثقة ، ولا جمـع القلوب صـــفاء
رقـــدوا وغرهمو نعيـم باطـــل
ونعيم قـــوم فى القيـود بـــلاء
ظلموا شريعتـك التى نلنا بهـــا
ما لم ينـــل فى (رومـــة) الفقهـــاء
مشت الحضارة فى سناها(٤) واهتدى
فى الدين والدنيا بها الســـعداء

« إن الله لا يغـــير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

إن الانسان يولد مستعدا للخير والشر ، ويرث عن ابيه واجداده ، وأمـــه وجداته الصـــفات الجسمية والعقلية ، أما الصفات الخلقيـــة فتكتسب بالتربية والتثقيف والقـــدوة والتهذيب . وقد نادى الإســـلام بالمساواة ، وندد بالتفـــرقة بسبب العنصر ، أو الجنس ، أو اللون ، أو اللغة ، عملا بقول الخالق العادل : « إن اكرمكم عند الله أتقاكم ، » وقول الرسول الكامل : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعافية . » أى العمل الصالح ، ومحبة السلام .

وإذا قرأنا التاريخ ، وبحثنـــا أسباب تقدم الإمم ، وأسباب سقوطها وجدنا أن الأسباب روحية وخلقية . فإذا ســـار الشعب فى الطريق المستقيم ، ونبذ عوامل الفســـاد والضلال ، وتمســـك بالفضيلة ، وتجنب الرذيلة سما ونهض وارتفع، وكان له اثر كبير فى العلوم والآداب والحضارة والمدنية ، ولكن إذا انغمس فى سبل الرذيلة ، وابتعـــد عن الفضيلة ، وارتكب الجرائم ، وسار فى طرق الشرور والآثام ، وعاش عيشـــة الترف والإسراف والأثـــرة وحب النفس ، وتجاهـــل المبادىء المثالية فى الأخلاق — فثق كل الثقة بأن هذا الشعب سيسقط وسيتأخـــر وسيرجع إلى الوراء . وقد صدق العليم الخبير بشـــئون العالمين فى قـــوله :

« إن الله لا يغير ما بقـــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٥) » .

فالله لا يسلبهم نعمته إلا إذا تغيروا من الطاعة إلى المعصية .

وقوله : « كدأب (٦) آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بذنوبهم ، إن الله قوى شديد العقاب . ذلك بأن الله لم يك

« البقيـــة ص ٦٣ »



أصول العلاقات الدولية في الإسلام

للدكتور محمد الدسوقي

١) يختلف الاسلام عن غيره من الأديان السماوية بانه دعوة عالمية ورسالة للبشرية كافة بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراط مستقيم .

وعالمية الاسلام تبدو واضحة لمن يدرس هذا الدين دراسة واعية منصفة فضلا عن الآيات والأحاديث التى تتحدث عن أن الاسلام جاء للناس جميعا ، وان معجزته الخالدة ختم الله بها الكتب المنزلة ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والأنبياء ، فان تعاليم هذا الدين القويم تبرز فى جلاء انه رسالة الهدى والخير الى البشرية كلها الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد اعتبر الاسلام الناس امة واحدة لا يتفاضلون بالوانهم واجناسهم واحسابهم ، ولكن بالتقوى والعمل الصالح ، وبين انهم سواسية يتمتعون بحقوقهم المشروعة دون تمييز بين فرد وآخر ، واعلن ان اساس العلاقة بين الناس على تباين السنتهم وتباعد ديارهم المحبة والتآلف والتعارف والتعاون على الخير والبر : « ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (١) .

٢) وهذه المبادىء التى قررت المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات تعد ثورة ضد العصبية والجنسية والقبلية ، كما تعد اول صيحة عامة فى تاريخ العالم تنادى بالاخاء والمحبة وتدعو الى احترام العدالة والفضيلة ، حتى يعيش الجميع حياة طيبة تليق بالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فى ارضه . واذا كان الاسلام قد قرر مبدا المساواة والوحدة بين الناس ، وقضى بهذا على مزاعم العنصرية والطائفية ، فانه من جهة اخرى قرر مبدا التوحيد ، ذلك المبدا الذى حرر الانسان من كل سلطان غير سلطان الله ، فشعر بعزته وكرامته ، ولم يعد آلة يحركها الطغاة ، فقد اصبحت له شخصيته المستقلة التى ترعى واجبها قبل ان تسعى وراء حقها ، ومن ثم كان للفرد فى المجتمع الاسلامى مكانته ورسالته ، وكان حجر الزاوية فى بناء هذا المجتمع ، وقد فطن الى هذا علماء القانون حين ذهبوا فى الوثيقة العالمية لحقوق الانسان فى سنة ١٩٥٠ الى ان الفرد هو دعامة الدولة ، وقد سبقهم الاسلام فى اعلان هذه الفكرة باكثر من ثلاثة عشر قرنا (٢) .

والاسلام فى تعاليمه لم يقف عند حد هذه المبادىء الرائعة ، كما لم يقف عند فرض العبادات ، بل وضع ايضا القواعد والأصول التى تنظم ضروب النشاط الانسانى كله ، وتحمى الحقوق وتمنع الفساد ، لأنها جاءت للناس جميعا ، خاطبت الفطرة الانسانية وقدرت العقل البشرى ارفع تقدير ، ولهذا كله جاءت تعاليم هذا الدين العالمى صالحة لكل زمان وكل مكان . (٣)

٣) ولإيمان المسلمين الأوائل الصادق بعالمية هذا الدين وما يجب عليهم من الجهاد نحو تبليغ رسالته الى الناس قاطبة — حملوا ارواحهم على أكفهم وانساحوا فى الارض لا يخشون الا الله ، ولا يكرهون احدا على الايمان لأنه لا اكراه فى الدين .

وفتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، وانتشر الاسلام فى فترة وجيزة فى بقعة شاسعة من العالم . ونجم عن هذا الفتح العظيم وانتشار الاسلام السريع مشكلات مختلفة بين المسلمين وغيرهم ، وكانت هذه المشكلات — وما زالت — تختلف نوعا وكما باختلاف الزمان ، ولكن أصول معالجتها كما قررها الاسلام لا تختلف ولا تتعارض .

٤) ويجدر قبل الحديث عن هذه الاصول الاشارة الى ما تواضع عليه الفقهاء من تقسيم الديار ثلاثة اقسام : (٤)

دار الاسلام ، ودار العهد ، ودار الحرب ، وهذا التقسيم هو بحكم الواقع لا بحكم الشرع ، لأن الاسلام لم يقيد الدولة الاسلامية بحدود جغرافية او مكانية (٥) ، فهو دعوة عالمية ، ولكن تطبيق أحكامه مرتبط بسلطان المسلمين ، فكلما اتسعت دار الاسلام اتسع نطاق تطبيق احكام هذا الدين ، ومن ثم اقتضت الظروف أن يكون الاسلام اقليميا حتى تعم دار الاسلام العالم باسره (٦) . وليس فى هذا التقسيم دلالة على أن الاصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب ، ولا أن الاسلام انتشر بحد السيف كما يزعم كثير من المستعمرين ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

٥) والذى لا خلاف عليه بين الفقهاء أن الدار التى تحكم بسلطان المسلمين وهم حماتها واهل المنعة فيها هى دار الاسلام وان دار العهد هى دار غير المسلمين الذين ارتبطوا مع المسلمين بعهد (٧) .

وأما تعريف دار الحرب فقد اختلف فيه الفقهاء على رايين : احدهما : ان دار الحرب هى الدار التى لا يكون فيها السلطان للحاكم المسلم ولا تنفذ فيها احكام الاسلام ، وليس بين المسلمين واهلها عهد ، وهذا راى أبى يوسف ومحمد وجمهور الفقهاء .

والرأى الثانى يذهب الى ان كون السلطان لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب ، بل لا بد من تحقق شروط ثلاثة مجتمعة لتصير الدار دار حرب .. وهذه الشروط هى :

أولا : ظهور الاحكام غير الاسلامية .

ثانيا : أن يكون الاقليم متاخما للديار الاسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على دار الاسلام (٨) .

ثالثا : ألا يأمن المسلم ولا الذمى فيها بحكم الاسلام ، بل يأمن فيها بعهد يعقده .

وهذا راى ابى حنيفة والزيدية وبعض الفقهاء .

قال الكاسانى : لا خلاف بين أصحابنا فى أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الاسلام فيها ، واختلفوا فى دار الاسلام انها بماذا تصير دار الكفر ، قال ابو حنيفة انها لا تصير دار الكفر الا بثلاثة شرائط : احدهما : ظهور احكام الكفر فيها ، والثانى ان تكون متاخمة لدار الاسلام ، والثالث : الا يبقى فيها مسلم ولاذمى آمنا بالأمان الأول وهو امان المسلمين .

وقال ابو يوسف ومحمد : انها تصير دار الكفر بظهور احكام الكفر فيها (٩).
ويرى بعض المعاصرين (١٠) أن رأى الامام ابى حنيفة أرجح من رأى الصاحبين وجمهور الفقهاء ، لانه ناط الحكم على الدار بانها دار حرب بزوال امن المسلمين فيها ، ويتوقع الاعتداء عليهم منها ، وهذا يوافق الاصل فى فكرة الحروب الاسلامية وانها لدفع الاعتداء ، وحماية الضعفاء ، ونشر الامن والسلام .

٦) وقد اومات آنفا الى ان الاصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، وان الحروب ليست غاية فى ذاتها ، فعالمية الاسلام كما أسلفت قامت على أسس وطيدة من المساواة والتعاون والتآلف والعدالة وحماية الفضيلة بين الناس جميعا ، وهذه الاسس تفرض أن تكون العلاقات الانسانية طابعها المودة والتكافل والاخاء ، وتدل على أن الحرب لا تكون مشروعة الا لحماية الأمة من الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون .
وعلاقة المسلمين بغيرهم فى وقت السلم وان تلاقت عند أصول كلية عامة الا أنها تختلف اختلافات جزئية ، نظرا لاختلاف أحوال غير المسلمين مع المسلمين فغير المسلمين اما ان يكونوا أهل ذمة او مستأمنين ، واما أن يكونوا أصحاب عهد او لا تربطهم بالمسلمين رابطة ما .

وما دام أهل الذمة رعية اسلامية أو جزءا من المجتمع الاسلامى يتمتعون فيه بكل الحقوق التى يتمتع بها المسلمون من الرعاية والحماية والانصاف والمودة مع ضمان الحرية الدينية لهم (١١) ، وذلك فى مقابل ضريبة مالية يسيرة تعرف بالجزية تجب على الرجال القادرين دون النساء والاطفال — فانهم لهذا خارجون عن نطاق المعاملات الدولية بمفهومها الخاص والعام .
٧) والمستامنون هم الذين يدخلون البلاد الاسلامية على غير نية الاقامة المستمرة فيها ، ويسمح لهم بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها ، فالقاعدة هى عدم الاقامة الدائمة والا تحول المستأمن الى ذمى وأصبح رعية اسلامية (١٢) .
والاسلام وهو دين العدل والحرية والسلام عامل المستأمن الوافد على دياره معاملة كريمة انسانية لا تعرفها القوانين الوضعية ، فهو مادام محافظا على عقد الامان أو شروط الاذن بالاقامة المحدودة فى ديار الاسلام له الحرية الكاملة فى التنقل ومباشرة نشاطه الذى وفد من اجله كالتجارة أو الدراسة او السياحة ، وهو آمن على نفسه وماله ولو كان ينتمى لدولة تشب القتال بينها وبين المسلمين .

ومعنى هذا ان المستأمن الذى يفد الى ديار الاسلام ليس بلازم ان يكون من دولة بينها وبين المسلمين عهد وميثاق ، فقد يكون من دولة لا تربطها بالمسلمين رابطة ما ، أو بينها وبين المسلمين حالة حرب ، وهو ما دام قد اذن له بدخول ديارنا فقد اصبح فى حماية المسلمين مدة امانته ، وعليهم ان يوفروا له هذه الحماية ولو تعرضوا بسبب ذلك لخوض غمار الحرب ، فلو قال المشركون للمسلمين ادفعوه (اى المستامن) الينا والا قاتلناكم وليس بالمسلمين عليهم قوة فليس ينبغى للمسلمين ان يفعلوا ذلك لانه غدر بامانه (١٣) .
ويذهب جمهور الفقهاء الى اكثر من هذا فيرون أن مال المستأمن الذى اكتسبه فى دار الاسلام يبقى على ملكه ولا تزول عنه ملكيته ولو عاد الى دار الحرب وقاتل المسلمين (١٤) .

٨) ويتمتع المستأمن مع هذا بحريته الدينية ، كاملة ، ولكنه يخضع لاحكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالمعاملات المالية سواء أجرت هذه المعاملات بينه وبين مسلم أم بينه وبين ذمي أو مستأمن مثله .

وأما فيما يتعلق بالحدود فقد اختلف فيه الفقهاء ، فيرى بعضهم اقامة جميع الحدود عليه ، ويذهب الامام ابو حنيفة الى أنه لا يقام عليه من الحدود الا ما فيه حق العباد (١٥) ، وهو رأى الامام محمد أيضا (١٦) ، وذلك لأنا ندبنا الى معاملته معاملة تحمله على الدخول في دارنا ليرى محاسن الاسلام فيسلم ، وهو بالأمان التزم حقوق العباد ، لأن دخوله لقضاء حاجته وهى تحصل بذلك ، فالتزم أن ينصفهم كما ينصف ، وان لا يؤذى أحدا كما لا يؤذى .

وأما حقوق الله فلاتلزمهلانه لم يلتزمها ، ألا ترى أنه لم تضرب عليه الجزية ولم يمنع من رجوعه الى دار الحرب (١٧) .

والرأى الذى أخذ به جمهور الفقهاء هو عدم التفريق بين حقوق الله وحقوق العباد ، وان المستأمن يخضع لاحكام الشريعة فى جميع الحدود ، وهذا الرأى أكثر اتساقا مع المبادىء الاسلامية، لأنه يتفق مع ما ينبغى أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد ، وكمال السيادة على كل من يقيم فى ربوعها (١٨) .

٩) وقد تحدث الامام محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ والذى يعد مؤسس القانون الدولى فى العالم كله — عن دار العهد أو الموادعة (١٩) ، ويعد أول فقيهتحدث عن هـــذه الدار ، فمن سبقه من الفقهاء والذين كتبوا فـــى السير كانوا يتحدثون عن دار الاسلام ودار الحرب فقط ، وكانت العهود تبرم أما بين المسلمين وأهل الذمة الخاضعين لهم ، أو بينهم وبين الحربيين والمستأمنين ، ولكن الامام محمدا (٢٠) تحدث عن دار لا تخضع فى الحكم للمسلمين فاهلها اذن ليسوا باهل ذمة ، ثم هم قد دخلوا مع المسلمين فى عهد موادعة ومســالمة ، فخرجوا بهذا عن أن يكونوا حربيين .

ويرى هذا الامام ان الموادعة غير جائزة الا فى حالة ضعف المسلمين فان كان بهم قوة فهى ليست جائزة وقد بنى محمد الموادعة (٢١) على صلح الحديبية ، فهذا الصلح كان موادعة موقوتة بين النبى صلى الله عليه وسلم ومشركى مكة .

١٠) ومهما تكن الظروف التى تدفع بالمسلمين الى موادعـــة غيرهم ، فـــان العلاقة بينهم وبين اهل دار الموادعة تقوم على احترام العهود المكتوبة وغير المكتوبة الى اقصى حد ، وعدم الغدر والخيانة مطلقا ، والتعاون المتبادل فى كـــل شىء الا فيما يكون سببا لتقوية غير المسلمين من السلاح ونحوه فان على المسلمين الا يمكنوا غيرهم موادعين أو حربيين من الحصول على ما يزيدهم قوة وبأسا (٢٢)

ويفصل الامام محمد فى دقة ما يجب على المسلمين من رعاية العهد والتحرز عن الغدر مع الموادعين ما تحسن الاشارة الى طرف منه فى شىء من الاجمال ، لما له من دلالة على سمو النظرة الاسلامية فى معاملة غير المسلمين ، وأيضــا على التفكير الانسانى الذى سبق به محمد فقهاء القانون الدولى حتى فى العصر الحديث .

١١) يرى هذا الامام أن الموادعين اذا شرطوا فى أصل الموادعـــة أنهم ان

غدروا فقتلوا رهن المسلمين فدماء رهنهم لنا حلال ، ثم قتلوا هم رهننا ، فان دماء رهنهم لا يحل لنا (٢٣) .

ومع أن قوله تعالى « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » (٢٤) قد يبيح قتل رهن الموادعين اذا قتلوا رهننا يذهب محمد الى أن رهن الموادعين اصبحوا بدخولهم دارنا ذمة ، لهم حرمة المسلمين فى حقن الدماء الا بحق ، وهم لم يقتلوا بأنفسهم احدا من رهننا وعلى الحاكم المسلم ان ينتصف لهؤلاء المظلومين ممن اعتدوا عليهم . وكما لا يجوز قتل الرهن فى هذه الحالة لا تجوز الاساءة الى الرسل فى كل الحالات ، فهم فى حماية المسلمين الى ان يعودوا الى بلادهم ، وان كان هناك خلاف بين الفقهاء حول مدى خضوع الرسل الى الاحكام الاسلامية فى مجال العقوبات لكنهم يتفقون حول خضوعهم لاحكام المعاملات الاسلامية (٢٥)

وما دامت الموادعة جائزة فى حالة ضعف المسلمين دون قوتهم ، فانهم ان آنسوا من انفسهم القوة ، وبدا لهم نقض العهد فكيف يتم هذا النقض بينهم وبين الموادعين ، وهو نقض ليست الغاية منه الرغبة فى الحرب لذاتها ، ولا السعى وراء مغنم مادى ولكن لأداء الرسالة المقدسة التى ناطها الله بهم ..

يقول الامام محمد : ولو بدا للامام بعد الموادعة أن القتال خير فبعث الى ملكهم ينبذ اليه فقد صار ذلك نقضا . ثم يستطرد فيقول : ولكن لا ينبغى للمسلمين أن يغيروا عليهم وعلى اطراف مملكتهم حتى يمضى من الوقت مقدار ما يبعث الملك الى ذلك الموضع من ينذرهم ، لأنا نعلم أن ملكهم بعدما وصل الخبر اليه لا يتمكن من ايصال ذلك الى اطراف مملكته الا بمدة فلا يتم النبذ فى حقهم حتى تمضى تلك المدة .

وبعد مضى المدة لاباس بالاغارة عليهم وان لم يعلم المسلمون أن الخبر اتاهم لأنه ليس على المسلمين اعلامهم ، ولكن ان علم المسلمون يقينا ان القوم لم يأتهم خبر فالمستحب لهم أن لا يغيروا عليهم حتى يعلموهم ، لأن هذه شبيهة بالخديعة ، وكما يحق على المسلمين التحرز عن الخديعة يحق عليهم التحرز عما يشبه الخديعة (٢٦) .

فهل عرفت القوانين الدولية الوضعية مثل هذه المبادىء السامية وهل يراعى انسان المدنية المعاصرة فى حروبه المدمرة شيئا منها ، أو انه يفخر بإبادة الضعفاء والأبرياء ، واخذ الآمنين على غرة خديعة ومكرا ؟ .

فاذا كان نقض العهد من قبل الاعداء فلا بأس على المسلمين أن يغيروا على اطرافهم وان علموا ان الخبر لم يصل اليهم ، ويستدرك الامام محمد قائلا : ومع هذا فان احاط العلم لأهل ناحية من المسلمين بان ذلك الخبر لم يصل الى اهل ناحيتهم فليس ينبغى أن يقاتلوهم حتى ينبذوا اليهم ، وهذا على سبيل الاستحسان (٢٧) .

ذروة فى التفكير الانسانى الخالص الذى يستمد منابعه من الايمان الصحيح والخلق الكامل والورع الصادق والضمير الحى ، والعدالة الرحيمة ، والأخوة الانسانية الكريمة ، ما احوج البشرية اليوم اليه ــ فانها على ما حققت فى مجال العلم والحضارة ــ فقيرة أشد الفقرالى هذا اللون من التفكير الذى يعيد اليها انسانيتها وامنها واستقرارها .

١٢) وأما غير الموادعين الذين ليست بينهم وبين المسلمين حرب فعلية ولا تربطهم بالمسلمين رابطة ما ، فانهم ماداموا لا يؤذون المسلمين ولا يحرضون على

ايذائهم ، فان العلاقة التى تربط المسلمين بهم تقوم على نفس الاسس التى تقوم عليها العلاقة بين المسلمين والموادعين من الاحسان اليهم والبر بهم وتبادل المنافع معهم الا فيما يكسبهم قوة ومنعة ، واذا اردنا السير اليهم لتبليغهم دعوة الاسلام فلا بد من أعلامهم وعدم الاعتداء عليهم أو الغدر بهم واخذهم على غرة (٢٨) .

(للبحث صـــلة)

---

(١) الآية : ١٣ فى سورة الحجرات .

(٢) أنظر الاسلام والعلاقات الدولية للدكتور مصطفى الحفناوى (مجلة المسلمون ـــ العـــدد ٣ من السنة الثالثة ص ٢٦٨) .

(٣) راجع العلاقات الدولية فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩ وما بعدها .

(٤) أنظر نظرية الحرب فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠ ، ويضيف بعض الفقهاء دارا رابعة ، وهى دار البغى ، يكون الامر فيها للبغاة ، وهم كما عرفهم الزيلعى : الخارجون على الامام الحق بغير الحق . راجع تبيين الحقائق جـ ٣ ص ٢٩٣) .

(٥) أنظر الاسلام والعلاقات الدولية ، للدكتور مصطفى الحفناوى .

(٦) أنظر من الفقه الجنائى المقارن ، للمستشار أحمد موافى ، ص ٩٠ .

(٧) نظرية الحرب فى الاسلام ص ٣٠ ، والعلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٥٣ .

(٨) ان اشتراط المتاخمة لتوقع الاعتداء أصبح فى عصرنا غير ذى موضوع ، فقد تطورت أسلحة الحروب ولم يعد القتال فى حاجة الى متاخمة (وانظر المصدر السابق ص ٥٤) وجاء فى تفسير المنار ان دار الحرب بلاد غير المسلمين وان لم يحاربوا ، وكانت القاعدة أن كل من لم يعاهدنا على السلم يعد محاربا (تفسير المنار جـ٦ ص ٤٠٩) .

(٩) انظر بدائع الصنائع جـ٧ ص ١٣٠ .

(١٠) أنظر العلاقات الدولية فى الاسلام ص : ٥٤ .

(١١) انظر : فى حقوق أهل الذمة فى الاسلام الخراج للامام أبى يوسف ، ص : ١٤٣ وما بعدها ، وارشاد الامـــة الى أحكام الحكم بين أهل الذمة للشيخ محمد بخيت المطيعى .

(١٢) انظر العلاقات الدولية فى الاسلام ص ٦٨ .

(١٣) شرح السير الكبير جـ ٣ ص ٣٠٠ .

(١٤) العلاقات الدولية فى الاسلام ٦٨ ، وانظر المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ١ ص ٤٣٧ .

(١٥) شرح السير الكبير جـ٤ ص ١٠٨ .

(١٦) انظر الاصل ورقة ٩٥ والمبسوط جـ٩ ص ٥٥ .

(١٧) انظر تبيين الحقائق جـ٣ ص ١٨٢ .

(١٨) العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٧١ .

(١٩) انظر شرح السير الصغير ، المبسوط جـ ١٠ ص ٨٥ ، وباب الموادعة فى شرح السير الكبير جـ٤ ص١ وما بعدها .

(٢٠) أنظر العلاقات الدولية ، ص : ٥٦ .

(٢١) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٦١ .

(٢٢) انظر شرح السير الكبير جـ٣ ص ٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٧٦ .

(٢٣) شرح السير جـ٤ ص ٤٣ .

(٢٤) الآية : ١٢٦ فى سورة النحل .

(٢٥) أنظر : العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٧٢ .

(٢٦) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٧ .

(٢٧) شرح السير الكبير ، جـ٤ ص ٨ .

(٢٨) المصدر السابق جـ٣ ص ١٠٩ ، و جـ٤ ص ق١ ، ٢٣ .

مغيرا نعمة انعمها على قـــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله سميع عليم (٧) » .

أى ان حال هؤلاء فى الكفـــــر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون والذين من قبلهم ، كفروا بآيات الله ، فعاقبهم الله على ما ارتكبوا مـــن الذنوب . وإن ذلك التعذيب للكفرة بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمـــة انعمها على قوم ، مبدلا لها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم ، كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع ، وأمنهم من خوف ـــ بالكفر ، والصد عن سبيل الله ، وقتال المؤمنين .

وقوله :« وضرب الله مثلا قرية (٨) كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقهـــــا رغدا (٩) مـــن كل مـــكان فكفـــرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١٠) » .

والمعنى أن الله ضرب مثلا لكل قوم انعم الله عليهم بكثير من النعم فأبطرتهم وكفروا بالله ، فانتقم منهم بأهل مكة، فقد كانوا آمنين لا يغير عليهم احد ، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان ، فكفروا بأنعم الله ، وكذبوا النبى ، فأذاقهم الله صنوف البلاء ، وجعلهم فى جوع وقحط سبع سنين ، بسبب ما كانوا يقومون به من إيذاء الرسول وأصحابه .

فبالعقيدة والايمـــان ، والخـــلق المثـــالى ، والتضحية فى ســـــبيل المصلحة العامة تنهض الأمم وتسمو . وبالتـــرف والنعيم واتبـــاع الشهوات والملـــذات ، وضعف الـــروح ، وفســـاد الأخلاق ، وانتشـــار حب الذات بين الأفراد تتأخر الأمم وتعود الى الوراء ، فتستعبد ، ويحتلهـــا غيرها من الأمم القوية بروحهـــا وإيثارها وإيمانها وعملها وتقواها .

ومما يؤسف له ان الروح المادى قد سيطر على العالم كله ، لا على العالم الإسلامى وحده . ولكى يسود العالم الإسلامى يجب أن يفكر فى الناحية الروحية كما يفكر فى الناحية المادية ، ويعمل لآخرته كما يعمـــل لدنياه ، ويترك حياة الترف والنعيم والملاذ والشهوات ، ويفكر فى المصلحة العامة لا فى مصلحته وحدها ،ويجعل حياة الرسول والخلفاء الراشـــدين قدوة له فى حياته .

---

(١) الأزمة : الشدة والقحط .
(٢) اتبعت ميول نفسها .
(٣) لا تفكر بعقولها .
(٤) السنا : الضوء .
(٥) سورة الرعد : ١١
(٦) وأصل الدأب : الدوام ، ثم غلـــب استعماله فى الحال والشأن والعادة .
(٧) سورة الانفال : ٥٢ ـــ ٥٣ .
(٨) هى مكة ، والمراد أهلها .
(٩) رغدا : واسعا .
(١٠) سورة النحل : ١١٢ .

البعث الروحاني والجسماني بين الفلاسفة والغزالي

(١) تقديم :

قد لا اكون مبالغا فى القول اذا ذهبت الى ان هذه المشكلة من اكثر المشكلات صعوبة واهمية فى تاريخ الفكر الفلسفي الاسلامى ..

ويرجع ذلك فيما نرى الى اسباب عدة أهمها كثرة الآراء التى تتضارب فيما بينها تضاربا شديدا بحيث يعسر الوصول الى الحق وسط هذا الاختلاط والتضارب والاختلاف بمعنى ان من يحاول دراسة هذه المشكلة سيجد لزاما عليه بحثها من خلال زوايا وابعاد متقاربة تارة ومتباعدة تارة أخرى ، حتى يستطيع تحديد موقفه ازاء هذه الآراء التى تدور حولها ..

ولكننا سنحاول من جانبنا بيان أهم معالم هذه المشكلة مختارين موقفين متعارضين لنرى كيف يدور الحوار بين أصحاب هذين الموقفين بغية الوصول الى الحقيقة ، معلنين باديء ذى بدء أننا سنلتزم بالعرض الموضوعى ، تاركين النقد الذاتى لمناسبة أخرى .

ولكى نتوصل الى تحديد معالم هذه المشكلة الكبرى ، نجد انه يجدر بنا بيان الآراء والاتجاهات حول هذه المشكلة ، وهى التى يمكن حصرها فى خمسة ، لا يهمنا منها فى هذه المقالة الا اتجاهين فقط هما اتجاه الفلاسفة الالهيين من جهة واتجاه الغزالى من جهة أخرى . بعد ذلك ندرس وجهة نظر المؤيدين للبعث الجسمانى والروحانى وأدلتهم التى استندوا اليها ، ثم آراء المؤيدين للبعث الروحانى فقط دون البعث الجسمانى . فاذا فرغنا من ذلك عرضنا لرد الغزالى وهو الذى اعتقد بالبعث الروحانى والجسمانى ، على موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العموم والذين أيدوا البعث الروحانى فقط .

(٢) الاتجاهات والآراء حول هذه المشكلة :

قلنا منذ قليل ان الاتجاهات حول هذه المشكلة يمكن حصرها فى خمسة (١) :
الاتجاه الاول هو قول بعض أهل الجدل بأن الثابت هو المعاد الجسمانى

للدكتور محمد عاطف العراقي

فقط . وأن المعاد ليس الا لهذا البدن . فهم اذن قد ذهبوا الى نفى وجود النفس الناطقة المجردة . واستدلوا على رأيهم بالقول بأن البدن وحده هو الحيوان ، وهو الانسان بحياة وانسانية خلقتا فيه ، وهما عرضان ، والموت هو عدمهما فيه وضد لهما . وفى النشأة الثانية يخلق فى هذا البدن حياة انسانية بعد تفتت هذا الجسم ، ويصير ذلك الانسان بعينه حيا .

الاتجاه الثانى هو القائل بثبوت المعاد الروحي فقط . وهذا ما ذهب اليه اكثر الفلاسفة الالهيين الذين رأوا أن الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة المجردة وأن البدن آلة لهذه النفس تستعمله وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها . فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء أى العدم بعد وجودها ، لأنها بسيطة ، وهى موجودة بالفعل .

الاتجاه الثالث هو القائل بثبوت المعادين الروحانى والجسمانى معا . وهو قول سائر المسلمين وقول الغزالى ايضا ، كما سنرى بعد قليل . والقائلون بهذا النوع من المعاد يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن والموت بمفارقة النفس للبدن . ويردون فى النشأة الثانية ، النفس فى البدن بعينه الذى كانت فيه . فالنفس اذا ردت للبدن كان للمثاب والمعاقب جميعا ثواب وعقاب بحسب البدن والنفس جميعا ، فكان للمثاب لذات بدنية من المحسوسات ولذات نفسية من السرور . فهم قد قالوا : دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته ؛ وأن سعادة الاجسام فى إدراك المحسوسات . والجمع بين هاتين السعادتين فى هذه الحياة غير ممكن ، لأن الانسان مع استغراقه فى تجلى انوار عالم الغيب ، لا يمكنه الالتفات الى شىء من اللذات الجسمانية ، ومع استغراقه فى استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية . وانما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة فى هذا العالم . فاذا فارقت بالموت ــ واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت . فاذا أعيدت الى الابدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين ، ولا شبهة فى أن هذه الحالة هى الغاية القصوى من مراتب السعادات (٢) ..

هذا هو الاتجاه الثالث ، أما الاتجاه الرابع فيتمثل فى قول قدماء الفلاسفة

الطبيعيين الذين ذهبوا الى عدم ثبوت شيء من المعـــاد الجسمانى والروحانى . فالنفس عندهم هى المزاج . واذا مات الانسان فقد عدمت النفس ، واعـــادة المعدوم محال .

والاتجاه الخامس والأخير ، نستطيع ان نقول عنه انه يمثل الاتجاه ــ الذى يعبر عن موقف الشك . أى التوقف عن الادلاء برأى من الآراء التى سبق ذكرها ، والقطع به . وقد ذهب الى ذلك جالينوس فى قوله : لم يتبين لى أن النفس هل هى المزاج فتنعـــدم عند الموت ويستحيل إعادتها ، أو هى جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن ــ المعـــاد . .

(٣) البعث الجسمانى وادلـــة الشرع والعقـــل :

وقد عبرت الكثرة الغالبـــة من الباحثين فى هـــذا المجـــال والمؤيديـــن للبعث الجسمانى عن ضرورة الجمـــع بين المعاد الجسمانى والاعتراف بصدق آيات القرآن . . دليل هذا قـــول الرازى مثلا : اعلم أن الجمع بين انكار المعاد الجسمانى ، وبين الاقرار بأن القرآن حق ، متعذر . لأن من خاض فى عـــلم التفسير ، علم أن ورود هذه المسألة فى القرآن لا يقبل التأويل (٣) .

ونود أن نشير من جانبنا الـــى أن القائلين بالبعث الجسمانى يستندون اساسا الى فكرة الامكان . وهذا الامكان يقـــوم فى النهاية على ادلة الشـــرع . وهم يستدلون بعدة أدلـــة :

منها أن عودة ذلك البدن فى نفسه ممكن ، لان اعـــادة المعـــدوم إما ان تكون ممكنة أو لا تكون ممكنة . فان كانت ممكنة ، فالمقصود حاصل ، وان لم تكن ممكنة ، فان الدليل العقلى قد دل على أن الاجسام تقبل العدم ، ولم يـــدل على أنها تعدم لا محالة . فلما ثبت بالنقل المتواتر من دين الانبياء أن القـــول بحشر الاجساد حق ، وثبت أن الاجسام لو عـــدمت امتنع اعادتهـــا ، كان ذلـــك دليلا قاطعا على أن الله لا يعدم الأجساد بل يبقيها بأعيانها . واذا كانت باقيـــة بأعيانها ، فهى قابلة للحياة والعقل والقدرة . وحينئذ يصح القول بأن عودة ذلك البدن بعينه ممكنـــة (٤) . .

ومنها أن الله لما كان عالمـــا بجميع الجزئيات ، فانه قادر على تمييز اجـــزاء بـــدن هذا الانسان عن أجزاء بدن الانسان الآخر (٥) . .

ومنها أن الله قادر على كل الممكنات ، وعودة ذلك البدن فى نفسه يدخل ضمن فكرة الامكان ، فالعـــودة ممكنة . (٦) . .

واذا تساءلنا عن الآيات القرآنية التى يستدل بها القائلـــــون بالبعث الجسمانى على آرائهم هذه التى تقوم على فكرة الامكان ــ كما قلنا ــ ، وجدنا أن هناك الكثير من هذه الآيات التى نجدهم قد استدلوا بها فى معرض دفاعهم عن آرائهم منها : « قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » (٧) ففى هذا استدلال بالابتداء على الاعادة . ومنها : « ما خلكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » (٨) . ومنها : « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم » (٩) . وهذا هو المعول عليه فى الحجـــاج حـــول جـــواز اعادة الخلق ، لأن الله حكم على الشىء بحكم مثله ، وجعل سبيل النظير ومجراه مجرى نظيره (١٠) . .

ومن هذا كله يتوصلون إلى ضرورة ثبوت المعاد الجسمانى ، وانه امـــر معلوم بالضرورة ، لأن القـــول دل عليه فى آيات كثيرة . واذا قيل إنه ممكن ،

فسبب ذلك أن المـــراد من الاعادة جمع الاجزاء المتفرقة ، وذلــــك جـــائز بالضرورة (١١) .

واذا كان هذا يعد بالضرورة أساسا طريقا شرعيا لأنه يستنـــد — كما رأينا — على نصوص الآيات القرآنيـــة ، فانهم لم يكتفوا بذلك . بل ذهبوا إلى أن هناك طريقا عقليـــا لاثبات أقوالهم . وإذا تعمقنا فى مفهوم هذا الطريق الذى يلجأون اليه ، استطعنا أن نقول ان هذا الطريق يتمثل فى وجهين :

أ — نرى فى الدنيا مطيعا وعاصيا ومحسنا ومسيئا . ونرى أن المطيع يموت من غير ثـــواب يصل إليه فى الدنيا ، والعاصى يموت من غير عقاب يصل إليه فى الدنيا . فان لم يكن حشر ونشر يصل فيه الثواب الى المحسن ، والعقاب الى المسىء ، لكانت هذه الحياة الدينية عبثا (١٢) . فاذا كان الله قد وعـــد بالثواب وتوعد بالعقاب ، فيجب القول بعـــود الناس ليحصل الوفاء بوعـــده ووعيده (١٣) ..

ب — خلق الله الخلق إما للراحة وإما للتعب والألم ولا للراحة ولا للتعب . وليس من الجائز أن يقال انه خلقهم للتعب والألم ، لأن هـــذا لا يليق بالمحسن . وغير جائز أن يقال خلقهم لا للراحة ولا للتعب والألم ، لأنهم حال كونهم معـــدومين كان هذا المعنى حاصلا . فدل على أنه تعالى خلقهم للراحة (١٤) ..

هذه الراحة — فيما يقول فخر الدين الرازى — اما أن تكـــون فى هذا العالم أو عالم آخر . ولا يجوز القول بأنها فى هذا العالم ، لأن ما يظنه الانسان لـــذة فى هذا العالم ليس بلـــذة ، بل هو دفع للألم . واذا افترضنا أن فى هـــذا العالم لذة جسمانية ، فانها قليلة . وما يغلب هو الألم أو دفع الألم . يقول الرازى أيضا مؤيدا فكرته : « فليس من الحكمة القـــاء الحيوان فى بحر الآلام والمكروهات لأجل أن يعود اليه ذرة من اللذات . فلما ثبت أن الحيوان انما خـــلق لأجل اللذة والراحـــة ، وثبت أن ذلك المقصود غير حاصل فى هـــذا العالم ، وجب القطع بوجود عالم آخر بعد هذا العالم يحصل فيه هذا المقصود ، وهو الدار الآخـــرة (١٥) ..

(٤) ابن سينا وموقف الفـــلاسفة :

هذا عن موقف بعض المتكلمين الـــذين لم يروا أى مانع فى الجمع بين المعاد الجسمانى والمعاد الروحانى . أما الفلاسفة فيعترضون على ما يذهب اليه القائلون بهذا النوع من المعاد .

واذا كنا لا نستطيع فى حدود النطاق المرسوم لهذه المقالة ، أن نستعرض حجج كل فيلسوف من فلاسفة الاسلام ، فاننا سنقتصر على بيان موقف ابن سينا، لشهرة هـــذا الفيلسوف أولا ، ولأنه الفيلسوف الـــذى ركز عليه الغـــزالى هجومه ثانيا .

يذهب ابن سينا الى القول بأن الانسان ليس انسانا بمادته ، بل بصورته الموجودة فى مادته وتكـــون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فى مادة . فاذا بطلت صورته عن مادته ، وعادت مادته ترابا أو شيئا آخـــر من العناصر ، فقد بطل ذلك الانسان بعينه (١٦) . فاذا خلقنا فى هـــذه المـــادة بعينهـــا صورة انسانية جديدة ، حدث عنها انسان آخر لا ذلـــك الانسان .

يقول ابن سينا : « ان الموجود فى هذا الثانى من الأول مادته لا صورته .

ولم يكن هوما هو ، ولا محمودا ولا مذموما ، ولا مستحقا لعقاب أو ثواب بمادته بل بصورته ، وبأنه انسان لا بأنه تراب ، فيتبين أن الانسان المثاب والمعاقب ليس ذلك الانسان المحسن والمسيىء بعينه ، بل انسان آخر مشارك له فى مادته التى كانت له . وهكذا يؤدى هذا النوع من البعث — أى البعث الجسمانى — إلى اثابة غير المحسن وعقاب غير المسىء » (١٧) . .

وهؤلاء الفلاسفة ومنهم ابن سينا يذهبون الى أن الشريعة قد لجأت الى ضرب الأمثلة المحسوسة فى هذا المجال . ومرد ذلك أنها ضرورية بالنسبة للجمهور . يقول ابن سينا « فالشريعة أفضل قصدها الجزء العملى فى جنسه . . فانه اذا لم يمثل لهم — أى الجمهور — الثواب والعقاب الحقيقى البعيد عن الأفهام ، بما يظهر لهم ، لم يرغبوا ولم يرهبوا . وما لم يبعث أبدانهم لم يترشحوا للأمرين . فوجب فى حكم السياسة الشرعية ،تقرير أمر المعاد والحساب والثواب والعقاب على هذه الوجوه . . . فاضطر واضعو الشرائع فى الترغيب فى الثواب والترهيب بالعقاب الى القول بأن السعادة الأخروية باللذة الحسية والشقاوة الأخروية بالألم الحسى » (١٨) . .

بيد أن العقل — فيما يرى ابن سينا — لا يمكنه الوقوف عند حدود المحسوسات ، بل لا بد له من الصعود الى البرهان ، طالما أن هناك من السعادة والشقاء ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى . وهى السعادة والشقاء التى للأنفس . يقول ابن سينا ملخصا وموضحا ذلك كله ومعبرا عن موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العموم : « فالمعاد هو منقول من الشرع ، ولا سبيل إلى اثباته إلا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج الى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا (صلى الله عليه وسلم) حال السعادة والشقاء التى بحسب البدن . ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاء الثابتان بالقياس اللتان للأنفس ، وان كانت الأوهام فينا تقصر عن تصورهما الآن » (١٩) . .

كما يذهب ابن سينا إلى أن الحكماء الالهيين رغبتهم فى إصابة السعادة الروحية أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية . وعلى هذا الأساس فسر الفلاسفة المعاد على أساس أنه سعادة للنفس أو شقاء لها . فالنفس بعد الموت اما شقية واما سعيدة ، وهذا هو المعاد .

(٥) نقد الغزالى للفلاسفة وتكفيره لهم :

لعلنا عرفنا الآن كيف يدور الحوار بين المعترفين بالبعث الجسمانى من جانب والفلاسفة من جانب آخر . أما الغزالى فقد ذهب إلى نقد الفلاسفة فى قولهم بأن النفس الانسانية جوهر روحانى قائم بنفسه لا يتحيز ، وليس بجسم ولا منطبع فى جسم ، ولا هو متصل بالبدن ولا هو منفصل عنه ، وأن النفوس الانسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها ، وأنها سرمدية لا يتصور فناؤها . .

فهو يقول (٢٠) : إن من المسائل التى خالف فيها الفلاسفة كافة المسلمين قولهم : ان الأجساد لا تحشر ، وانما المثاب والمعاقب هى الأرواح المجردة . والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية . وقد صدقوا فى إثبات الروحانية فانها كائنة أيضا . ولكنهم كذبوا فى انكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما

نطقوا به . اذ أن الحشر والنشر ورد بهما الشرع — وهو حق ، والتصديق بهما واجب ، لأنه فى العقل ممكن ، ومعناه الاعادة بعد الافنـــاء ، وذلك مقدور الله تعالى كابتداء الانشاء ، والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول .

هذا ما يقوله الغزالى فى نقد الفلاسفة ذاهبا الى تكفيرهم . ولكن يجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن الغزالى يفرق بين درجات الانكار . أى التفرقة بين انكار المعاد أصلا ، وبين أثبات المعاد على نحو عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية الجسمانية كما رأينا عند الفلاسفة كابن سينا . فالانكار الأول يراه الغزالى زندقة مطلقة ، أما الاثبـــات بالنـــوع الثانى فيراه الغزالى زندقة مفيدة . يقول الغزالى : أما الزندقة المطلقة فهى أن تنكر أصل المعاد عقليا وحسيا وتنكـــــر الصانع للعالم أصلا ورأسا . وأما اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية ، واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم ، فهى زندقة مفيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظنى ..

ومن هنا ذهب الغزالى الى أنه من الضرورى ابطال انكـــار الفلاســـفة لبعث الأجساد ورد الأرواح الى الابدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحـــور العين وسائر ما وعد به الناس ، وقولهم ان ذلك أمثلة ضربت لعـــوام الخلق لتفهيم ثواب وعقـــاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين .

واذا أردنا أن نستوضح رأى الغزالى فى هـــذه النقطـــة الأخيرة ، فلا بد أن نرجع الى كيفية تبرير الفلاسفة لآرائهم . ان الفلاسفة يقولون بأن اللذات العقلية أشرف من اللذات الجسمانية لسببين يعرضهما الغزالى أيضا :

أولهما : أن حال الملائكة أشرف من حال السباع والخنازير والبهائم . وليست لها اللذات الجسمية كالجماع والأكل والشرب ، وانما لها لذة الشعور بكمالها وجمالها الذى خصت به أنفسها فى اطلاعها على حقائق الأشياء وقربها من الله فى الصفـــات .

ثانيهما : أن الانسان قد يؤثـــر اللذات العقلية على الجسمية . وبهـــــذا تكـــون اللذات العقلية الأخروية أفضل من اللذات الجسمية والدنيوية .

ولكن الغزالى ، وان كان لا ينكـــر أن فى الآخرة أنواعا من اللذات أعظم من المحسوسات ولا ينكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ، الا أنه — وهو رجـــل الدين — ينكر ذلك بالشرع ويتساءل عن المانع من تحقق الجمع بين السعادتين ، الروحية والجسمية وكذا الشقاوة . انه يرى أن اللذات المحسوسة الموجودة فى الجنان من أكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها .

واذا اعترض معترض ، وهو يقصد الفلاسفة ، بأن ما ورد فى الشرع إنما هو أمثال ضربت — لتقريب الفكرة الى الخلق وكذلك ما ورد من آيات التشبيه ، وأخباره ، إنما هى أمثال لتفهيم الخلق ، وأن الصفات الالهية مقدسة عما يتخيله عـــوام الناس ، فان الغزالى يرد قائلا : إنهما يفترقان من وجهين :

الأول : الألفاظ الواردة فى التشبيه تحتمل التأويل على عادة العرب فى الاستعارة . أما ما ورد فى وصف الجنة والنار فانه بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل .

الثانى : أدلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة وغير ذلك ، فوجب التأويل بأدلـــة العقول . أما ما وعد الله به من أمـــور الآخـــرة فليس محالا فى قدرة اللـــه ، فيجب اجـــراؤه على ظاهر الكلام ، بل على فحواه الذى هو صريح به ..

ويتابع الغزالى مناقشته للفلاسفة وهو فى معرض الرد عليهم ونقد آرائهم

فى هذا المجـــال ، فيرى أن للفلاسفة مسلكان فيما يختص باستحالـــة بعث الأجسام . وينقسم المسلك الأول وهو تقدير العود إلى البدن إلى ثلاثة أقسام .

فاما أن يقال . إن الانسان عبارة عن البدن ، والحياة التى فيه هى عرض قائم به ، كما ذهب الى ذلك بعض المتكلمين ، وأما النفس الذى هو قائم بنفسه ومدبر للجسم ، فلا وجود لها . ومعنى الموت انقطاع الحيـــاة . ومعنى المعـــاد اعادة الله البدن الـــذى أنعـــدم واعـــادة الحياة التى انعـــدمت .

واما أن يقال : ان النفس موجودة وتبقى بعد الموت ، ولكن يرد البدن الأول بجميع تلـــك الأجـــزاء بعينهـــا . .

واما أن يقال : ترد النفس الى بدن ، سواء كان من تلك الأجزاء بعينها أو من غيرهـــا ويكون العائد ذلك الانسان من حيث أن النفس تلك النفس ، فأما المادة فلا التفات اليها ، اذ الانسان ليس انسانا بها ، أى بالمـــــــادة بل بالنفس . .

وهذه الأقسام الثلاثة كلها باطلـــة فى رأى الفلاسفة . فالأول ظاهـــر البطـــلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن ، فان استئناف خلقهما ايجاد لمثل ما كـــان لا يعنى ما كـــان . .

والقسم الثانى محال ، اذ أن بدن الميت يستحيل ترابا أو تأكله الديـــدان والطيور ويستحيل رمادا وبخـــارا وهواء . .

والقسم الثالث محال عند الفلاسفة من وجهين . محال لأن المـــو'د القابلة للكـــون والفساد محصورة فى مقعر فلك القمر لا يمكن عليها مزيد . وهى متناهية والأنفس المفارقة للابدان غير متناهية فلا تفى بها . ومحال لأن التراب لا يقبل تدبير النفس ما بقى تـــرابا ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجا يضـــاهى امتزاج المنطقة ولا يكون انسانا الا اذا انقسمت أعضاء بدنه الى اللحم والعظام والأخـــلاط . .

هذا هو القسم الثالث الذى يراه الفلاسفة محالا من وجهين . أما الغزالى فيؤيده مخالفا بذلك هؤلاء الفلاسفة فهو يقول ان الآيات القرآنية وما ورد من الأخبار عن عذاب القبر وغير ذلـــك قد دل على البعث والنشور بعده ، وهو بعث البدن . وذلك ممكن بردها — أى النفس — الى أى بدن كان ، سواء كان من مادة البدن الأول أو من غيره أو من مادة استؤنف خلقها . فانه هو بنفسه لا ببدنه اذ تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر الى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء ، وهو ذلك الانسان بعينه فهذا مقدور للـــه . .

وهكذا يرد الغزالى على المسلك الأول من مسالك الفلاسفة بوجوهـــــه الثلاثة . واذا كنا لا نستطيع أن نذكر هنا مختلف وجوه رده على هؤلاء الفلاسفة فاننا نشير على القراء بالرجوع الى أوسع كتبه التى تعرضت لهذه المسألة ، مسألة الرد على الفلاسفة ، ونعنى به كتاب تهافت الفلاسفة . ونكتفى بأن نقول إن بقية ردوده على المسلك الأول لا تخرج كثيرا عما سبق أن ذكرناه . معتمدين على فكرة الامكان من جهة ، وعلى صريح آيات القرآن من جهـــة أخرى .

بقى أمامنا لاتمام موضوع هـــذه المقالة ، نقطة أخيرة هى المسلك الثانى للفلاسفة ورد الغزالى عليه . الفلاسفة — فيما يحكى الغزالى عنهم — يرون أنه ليس فى المقدور أن يقلب الحديد ثوبا منسوجا بحيث تنعم به الأجسام ، الا بأن تتحلل أجزاء الحديد بأســـباب تســـتولى على الحديد فتحلله الى أبســـط العناصر ثم تجتمع العناصر وتـــدار فى أطـــوار الخلقـــــة الى أن تكتســـب

صورة القطن ثم صورة الغزل وهكذا الى آخر المراحل . وعلى هذا القيـاس ينظر الفلاسفة الى الانسان المبعوث المحشور . فلو كان بدن من حجر أو ياقوت أو در أو تراب محض ، لم يكن انسانا . بل لا يتصور أن يكـون انسانا الا ان يكون متشكلا بالشكل المخصوص مركبا من العظام والعروق واللحم والغضاريف. وعلى هذا لا يمكن أن يتجدد بدن انسان لترد النفس اليه إلا بهذه الأمور .

هذا ما يذهب اليه الفلاسفة . ونود أن نشير الى أن مرد ذهابهم الى هذا القول هو ايمانهم بالتلازم الضرورى بين الأسباب ومسبباتها ومحاولتهم رد كل شىء الى أسبابه التى تدرك بالعقل .

بيد أن الغزالى يذهب الى تفنيد رأيهم الذى ذكرناه آنفا وينكره ونستطيع أن نقول ان هذا التفنيد من جانبه يقوم على دحضه للتلازم الضرورى بين الأسباب ومسبباتها . دليل هذا أنه يرى أن الترقى فى هذه الأطوار يحصل بمجرد القدرة من غير واسطة أو بسبب من الأسباب إن هذا كله ممكن عنده ، أى عند الغزالى . ولعل القراء يعرفون موقفه من السببية أى بحثه للعلاقة بين الاسباب ومسبباتها وكيف أنه انتهى الى نقد موقف الفلاسفة الذين يؤمنون بالتلازم والارتباط الضرورى بين الأسباب ومسبباتها . وهو هنا يفعل نفس الشىء . فهو يرى أنه ليس من الضرورى الاعتقاد بتلازم الأسباب . ويقول إن فى خزانة المقدورات عجائب وغرائب لم يطلع عليها ، ينكرها من يظن أن لا وجود إلا لما شاهده كما ينكر السحر والمعجزات والكرامات ، وهى ثابتة بالاتفاق ، بأسباب غريبة لا يطلع عليها .

بل يحاول الغزالى أن يقيم أسبابا جديدة ووجودا آخر غير ما نعهده . فهو يقول :

(فليس يتفكر المنكر للبعث أنه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده ، ولم يبعد أن يكون فى إحياء الأبدان منهاج غير ما شاهده . وقد ورد فى بعض الاخبار أنه يغمر الارض فى وقت البعث مطر قطراته تشبه النطف وتختلط بالتراب . فأى بعد فى أن يكون فى الأسباب الالهية أمر يشبه ذلك ، ونحن لا نطلع عليه ، ويقتضى ذلك انبعاث الاجساد واستعدادهـا لقبول النفوس المحشورة . (تهافت الفلاسفة ص ٢٨٩) ..

ولا جدال فى أن محاولة الغزالى هذه تقوم — كما سبق أن قلنا منذ قليل — على فكرة الجواز والامكان ونفى الضرورة المسببية طالما أنه يتصور قدرة الله مطلقة غير مقيدة بالنظام الضرورى الثابت كما يتصور هذه القدرة الالهية بأنها التى تستطيع فعل أى شىء سواء فى حياتنا الدنيوية أو فى حياتنا فى العالم الأخـروى ..

إنها محاولة عميقة من جانب الغزالى ، ومجهود كبير قام به فى هذا المجال ولسنا هنا — كما قلنا — فى معرض مناقشته فيما انتهى اليه بل بيان الأسس التى تقوم عليها آراؤه وهذا هو ما يهم المشتغلين بالفكر الفلسفى الاسلامى . أما عن تطور محاولته هذه ومصيرها وأثرها وتأثيرهـا فيمن جاء بعد من فلاسفة ومفكرين حتى أيامنا الحاضرة ، فان هذا جانب آخر نرجو أن يكون موضوعـا لمقالـة أخرى ..



للشيخ محمد الصادق عرجون

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى سنة احدى وثلاثين للهجرة ، وهى مبتدأ المرحلة التى انتقل فيها زمام الدولة الاسلامية من عدل الخلافة الراشدة الى جور الملك العضوض ، كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أصحاب السنن من قول النبى صلى الله عليه وسلم « الخلافة بعدى ثلاثون ، ثم تكون ملكا عضوضا » .

وفى هذا الحديث اشارة الى ما وقع من الفتن التى اجتاحت المجتمع الاسلامى ، وفرقت كلمة المسلمين فى ظل هذا الملك العضوض فلم تجتمع بعد ذلك ..

كان يسار أبو الحسن البصرى من سبى نيسان ، ثم صارمولى لزيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه ، وكانت أم الحسن (خيرة) جارية لأم المؤمنين السيدة الجليلة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

ففى بيت النبوة نشأ الحسن مع أمه فى ظل أب عاش فى كنف رجل من أفضل وأعلم الانصار ، وفى هذا الجو الروحانى شب الحسن وترعرع ، حتى كان شابا أريبا ، يسمع ويرى ، فيعلم ويعقل ، وهو لماح الذكاء ، مصقول الفطرة ، مشرق الروح ، نير العقل ، طاهر القلب ، يرى آثار النبوة تتراءى أمام عينيه ، فتنطبع فى نفسه خلقا كريما ، وتتمثل فى حركاته عملا وسلوكا ، ويسمع من الاجلاء ما يروى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف حاله وعيشه ، وسمته ، وأدبه ، وأخلاقه فى بيته ومع سائر أصحابه ، فيحفظ ما يسمع ، ويتأمل فى معانى ما يسمع ، ويتفقه فى حقائقها ، ويحيلها فى نفسه صورا حية ، ويجعل من شرائعها عملا واقعا فى حياته ، فيعمل بما علم ، ويتعمق فيما عقل منها .

فنشأة الحسن منذ مهده نشأة أدب رفيع ، وتهذيب عليم ، ودين محكم ، وهدى مستقيم وخلق عظيم .

استقبل الحسن رحمه الله فى طليعة حياته ألوانا من الفتن القاسية التى ألمت بالعالم الاسلامى ، وفى مقدمتها الفتنة العثمانية ، وهى تشتعل لهبا مدمرا ، أحرق أمن المجتمع وقضى على سلامه ، وأذاب طمأنينته واستقراره ، ودفعه الى الفوضى والاضطراب دفعا أسلمه الى فرقة قصمت ظهره ، فلم تستقم له قناة بعدها ، ولم تجتمع له كلمة ، فرقة تنادى بها الشيطان فخب فيها وأوضع ، وتواثب المنافقون الى أتونها يزكون أواره ، وتسارع الى تنورها أخابث اليهود ، من بقايا الغثاء الانسانى الذين تستروا بالتظاهر بالاسلام ، ليكيدوا للاسلام ، ووثب الى صدرها الطامحون الطامعون من شباب لم تستنر أرواحهم بأنوار النبوة ولم تشرب قلوبهم حب الايمان ، ولم تخالط بشاشته أفئدتهم ، وهم فتية استبعدتهم الدنيا بزخارفها ، فجعلوا سلطانها أكبر همهم ، وأعظم غاياتهم ، وأجل مقاصدهم ، استهدفوا من حياتهم هذا السلطان الدنيوى ، فخاضوا للوصول اليه الدماء ، واقتحموا فى سبيله جماجم الأبرياء ، أولئك الذين أضلهم الله ، وأضل بهم ، فعاثوا فى أرض السلام والاسلام فسادا فكانوا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى حياتهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

رأى أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى كل هذا فأرمض نفسه ، وألبسه ثوبا من الحزن الكظيم لم يخلعه حتى مضى لسبيله الى الله تعالى .

فهو قد شهد الخليفة الراشد ذا النورين عثمان بن عفان فى محنته ، محنة الاسلام كله ، ورأى صبره على جهد البلاء ، ومصابرته لحاملى لواء الفتنة ، وسمع عثمان يخطب الناس ويحدثهم ، فروى عنه ما سمع ، وكان له يوم قتل عثمان رضى الله عنه خمس عشرة سنة ، وهى سن تبدأ فيها فورة الشباب وقوته ، وتطلعه الى آفاق الآمال البعيدة ، وهى سن تبدأ فيها مقومات الشخصية تتمايز عناصرها ، وتأخذ الى الحياة سمتها الذى تعيش به فيها ، وهى سن يبدأ فيها العقل تصحيح موازين الأمور ، وتبدأ فيها القوى الفكرية متحفزة لالتقاط صور الحقائق والمعانى فى هذه الحياة .

فى هذه السن المبكرة روى الحسن عن عديد من الصحابة ، كان من أجلهم عثمان رضى الله عنه ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعمران بن

حصين ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن تغلب ، ورأى الحسن — كما يقول أبو نعيم فى الحلية على لسان الحسن — سبعين بدريا ، صفوة الانسانية ، رآهم فى سمتهم وسلوكهم ، وشاهد عن عيان زهدهم فى الدنيـــا ، وعزوفهم عن زخارفها ، وعرف عن قرب شجاعتهم فى الحق ، وعلمهم وتعبدهم ، وايثارهم لله على من سواه ، فتخلق بأخلاقهم ، والتزم فى حياته سمتهم ، وسلك طريقهم ، حتى بلغ فى التابعين ذروة الفضل ، واقتعد سنام المكارم فى الاسلام ، وكان يدعى (سيد التابعين) ، يعظمه العلماء ، ويجله الأمراء ، ويهابه الولاة ، تخشى كلمته ، ويحترم رأيه ، ويقدر علمه وفضله كبار الصـــحابة الذين أدركهم ، وتلمذ لهم ، فكان أنس بن مالك رضى الله عنه اذا سئل قال لسائله : اســأل مولانا الحسن ، فيقال له : ياأبا حمزة نسألك فتقول : اسألوا مولانا الحسن ، فيقول أنس رضى الله عنه تقديرا لعلم الحسن وفضله ، وثقة فى نقله ورأيه : ان الحسن سمع وسمعنا ، وحفظ ونسينا .

وفى تقدير فضل الحسن يقول على بن زيد : لو أن الحسن أدرك الصحابة وهو رجل لاحتاجوا الى رأيه . وكان عامر الشعبى يظهر اكباره واجلاله للحسن بمظاهر من الاكبار والاجلال لا يصنعها مع أحد غيره ، فقال له ابنه مرة : يا أبت انى أراك تفعل بهذا الشيخ من الاكبار ما لم أرك تفعله مع أحد قط ، فقـال الشعبى : يا بنى أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أر أحدا أشبه بهم من هذا الشيخ .

كان الحسن رحمه الله أفصح أهل عصره وأخطبهم ، اذا تكلم أبان عن مقاصده أبلغ ابانة ، واذا خطب قال من يسمعه : لو وضع له منبر فى عكاظ ما استمع الناس معه لقس بن ساعده ، ولا لأكثم بن صيفى ، واذا وعظ وجفت القلوب ، وذرفت العيون ، لم ينازعه براعة البيان وروعة الفصاحة فى عصره سوى طاغية عصره أخيشف ثقيف الحجاج الثقفى ، قيل لأبى عمرو بن العلاء سيد القراء ، وامام اللغة : من أخطب الناس ؟ فقال : الحجاج بن يوسف ، وصاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، يعنى الحسن ، وكان الحسن يتعمم بعمامة سوداء ، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم — كما جاء فى بعض روايات تعممه ووصف عمامته ، روى مسلم عن عمرو بن حريث قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه ، وفى حديث جابر بن عبد الله عند مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء .

وكان الحسن رحمه الله أحرص الناس على التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأحواله ، يترسم ذلك فيما يراه من حياة أصحابه الذين رأوه وأطالوا عشرته وتخلقو بأخلاقه .

ومن لطائف ما يذكر أن العلماء والرواة الذين ترجموا للحسن قالوا : إن سبب براعته الفائقة في الفصاحة وروعة البيان ، أن أمه (خيرة) كانت — كما ذكرنا — جارية للسيدة أم المؤمنين ، أمسلمة زوج النبى صلى الله عليه وســلم ، فأرسلتها سيدتها أم المؤمنين فى حاجة لها ، وكان الحسن اذ ذاك طفلا رضيعا فى مهده ، فبكى بكاء شديدا ، حرك فى قلب أم المؤمنين رقة ورحمة ، فأخذته ووضعته فى حجرها لتسكته ، وألقمته ثديها ، فدر عليه فشرب منه ، فمن تلك الرضعة التى شرب من أم المؤمنين كانت فصاحته وبراعته البيانية .

ولباب ما يشير اليه الرواة فى هذه القصة أن الحسن رحمه الله أدركته

نفحة من نفحات النبوة التى نهد فى كنفها ، وامتزجت بجسمه قطرة أو قطرات من غيثها فى لبن أم المؤمنين رضى الله عنها .

وقد نشأ الحسن رحمه الله مهذب النفس ، حكيم اللسان ، عليم القلب ، حصيف العقل ، زكى الفؤاد ، مرهف الحس ، تقيا نقيا ، ورعا زاهدا فى الدنيا وزخارفها ، ينأى عنها ، ولا يزاحم أهلها فى تطلبها ، قوالا بالحق فى شجاعة لا تتهور ، عزوفا عن المظاهر ، عيابا للدنيا والمتكالبين عليها ، لا يصفها الا بما يضعها تحت أقدام المتقين ، مشغولا عنها بالآخرة ، يخاف فتنتهـــا ، ويخشى غرورها وسطوتها ، يحذر نفسه من شرورها ، اذا خلى بنفسه وعظها وخوفها بأس الله وبطشه ، واذا كان مع الناس كان فيهم من شدة حزنه وخوفه من عذاب الله ، حتى كأن النار لم تخلق الا له .

روى أن الشعبى قال لحميد ، وهم بمكة : انى أحب أن تخلى لى الحسن ، فنقل حميد رغبة الشعبى الى الحسن ، وكان حميد مع الحسن فى بيت واحد ، فأجاب الحسن رغبة الشعبى ، وقال لحميد : اذا شاء ، فجاء الشـــعبى الى البيت وحميد واقف على الباب ، فقال للشعبى : أدخل عليه ، فانه فى البيت وحده ، قال الشعبى : ان أحب الى أن تدخل معى ، قال حميد : فدخلنا ، فاذا الحسن واقف قبـالة القبلة ، وهو يقول مخاطبا نفسـه : يا ابن آدم لم تكن فكونت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فمنعت ، فبئس ما صـنعت ، ثم يذهب ويجىء وهو يردد هذه الكلمات ، ولم يشعر بوجود الشعبى وحميد ، ولم يلتفت اليهما ، فقال الشعبى لحميد : يا هذا انصرف بنا ، فان هذا الشيخ فى غير ما نحن فيه .

كان الامام أبو جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسين ، اذا ذكر عنده الحسن قال : الذى يشبه كلامه كلام الانبياء .. ؟

ويصف خالد بن صفوان — وكان منطيقا وصافا — الحسن ، وقد سأله عنه مسلمة بن عبد الملك فقال له : يا خالد أخبرنى عن حسن أهل البصرة ؟ قال خالد بن صفوان : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره الى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، وأعلم من قبلى به ، هو أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبههم قولا بفعل ، ان قعد على أمر قام به ، وان قام على أمر قعد عليه ، وان أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وان نهى عن شىء كان أترك الناس له ، رأيته مستغنيا عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين اليه .

قال مسلمة بن عبد الملك : حسبك يا خالد !! كيف يضل قوم هذا فيهم ؟

يقول الرواة والاخباريون من أهل الصدق والثقة : عاش الحسن ما عاش فلم ير ضاحكا ، لا يراه الناس الا حزينا ، وما كان أحد أطول حزنا منه ، وكان يقول : يحق لمن يعلم أن الموت مورده ، وأن الساعة موعده ، وأن القيام بين يدى الله مشهده أن يطول حزنه .

وكان رحمه الله يقول وهو يتمثل أحوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتهم التى عاشها وشهدها : نضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئا ، ويحك يا ابن آدم !! هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ انه من عصى الله فقد حاربه . ولقد أدركت ســبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خيــاركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم وما يجد عنده الا قوتا ، فيقول : لا أجعل هذا كله فى

بطنى ، لأجعلن بعضه لله عز وجل ، فيتصدق ببعضه ، وان كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه .

قيل للحسن رحمه الله مرة : صف لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : ظهرت منهم علامات الخير فى السيماء والسمت ، والهدى والصدق ، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، وممشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى ، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، واعطائهم الحق من أنفسهم ، ظمئت هواجرهم ، ونحلت أجسامهم ، واستخفوا بسخط المخلوقين طلبا لرضا الخالق ، لم يفرطوا فى غضب ، ولم يحيفوا فى جور ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى فى القرآن ، شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا دماءهم لله حين استنصرهم ، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ، حسنت أخلاقهم ، وهانت مؤنتهم ، وكفاهم اليسير من دنياهم لآخرتهم .

كان الحسن رحمه الله لا يدنو من الأمراء والولاة ، ولا يأتى أبوابهم ، وكان هؤلاء الأمراء والولاة يستنصحونه لما يعلمون من تجافيه عن الدنيا واخلاصه دينه لله تعالى .

وقد كانت بينه وبين عمر بن عبد العزيز مودة ومكاتبات ومراسلات ، تفيض نصحا ، واخلاصا وارشادا ، فقد كتب الحسن الى عمر لما استخلف : أما بعد فان الدنيا دار مخيفة ، انما أهبط آدم من الجنة اليها عقوبة ، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة ، من أكرمها يهن ، ولها فى كل حين قتيل ، فكن منها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء . والسلام .

يرسم الحسن صورة حية لاخلاق المؤمن يلتقط معالمها من أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : ان من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وايمانا فى يقين ، وحلما فى علم وعلما فى حلم ، وتحملا فى فاقة ، وقصدا فى غنى ، وانصافا فى استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، لا يهمز ولا يلمز ، ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذى عليه ، ولا يتجاوز فى العذر ، ولا يشمت بفجيعة غيره ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليتعلم ، ان أحسن استبشر ، وان أساء استغفر ، وان عتب استعتب ، وان سفه عليه حلم ، وان ظلم صبر ، وقور فى الملا ، شكور فى الخلا ، قانع برزقه ، حامد فى الرخاء ، صابر على البلاء ، ان جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين .

هكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وانما غير بكم غيرتم « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

كان عزوف الحسن عن الدنيا ، واعراضه عن المظاهر من أقوى أخلاقه التى جعلته لا يبالى بكلمة الحق فى وجه من يدعوه دينه أن يجابهه بها ، مهما كانت مرارتها ، ومهما كانت مكانة من يقولها له ، ومهما كانت النتائج التى تترتب عليها .

أرسل اليه عمر بن هبيرة لما ولى العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، وأرسل الى الشعبى معه ، وأمر لهما ببيت يعد لراحتهما ، فنزلا فيه ، وأقاما شهرا ، ثم جاءهما ابن هبيرة يتوكأ على عصا ، فسلم عليهما معظما لهما ، ثم قال لهما : ان أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ الى كتبا أعرف أن فى إنفاذها الهلكة ، فان أطعته عصيت الله ، وان عصيته أطعت الله عز وجل ، فهل تريا لى فى مبايعته فرجا .. ؟

فقال الحسن للشعبى : يا أبا عمرو أجب الأمير ، فتكلم الشعبى فانحط فى حبل ابن هبيرة ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد .. ؟

فقال الحسن : أيها الامير ، قد قال الشعبى ما سمعت ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال الحسن : أقول : يا عمر بن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى ، فظ غليظ ، لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، يا عمر بن هبيرة ، ان تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل ، يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن من أن ينظر الله اليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ، يا عمر بن هبيرة ، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهى مقبلة أشد ادبارا من اقبالكم عليها وهى مدبرة ، يا عمر بن هبيرة ، انى أخوفك مقاما خوفكه الله « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » يا عمر بن هبيرة ، ان تك مع الله تعالى فى طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك ، وان تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصى الله وكلك الله اليه .

فبكى عمر بن هبيرة ، وقام عنهما بعبرته ، فلما كان الغد أرسل اليهما باذنهما وجوائزهما وكثر منه ما كان للحسن ، وكان فى جائزته للشعبى بعض الاقتار ، فخرج الشعبى الى المسجد فقال : يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ، فوالذى نفسى بيده ما علم الحسن منه شيئا فجهلته ، ولكنى أردت وجه ابن هبيرة فأقصانى الله منه . ثم قال الشعبى : سفسفنا فسفسف لنا .

وكان الحسن من ألزم الناس للمسجد ، يدرس ، ويعلم ، ويعظ ، واذا سئل فى درسه أجاب بما يعلم أنه الحق ، وكان منافقو السياسة يتتبعونه فى دروسه ، ويدفعون اليه بالسائلين ، يسألونه فى الفتنة ، ورأيه فيها ، وللحسن رأى فى ذلك وقف عنده ، فلم يك مع الثائرين بالسلاح فى وجه الولاة الظلمة ، ولم يك مع هؤلاء الولاة يبرر ظلمهم ويدافع عنهم خشية سطوتهم ، ولكنه اعتزل السياسة ، وشغل بالعلم ، فاذا جاءته السياسة تمشى على ألسنة المنافقين جبهها بكلمة الحق ، لا يبالى على من وقعت ، ولا من أصابت .

سأله رجل على مسمع من جماعة أهل الشام ، وهم حضائن الدولة المروانية ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول فى الفتن ، مثل فتنة يزيد بن المهلب ، وابن الاشعث ، وكانا ممن خرج بالسلاح على المروانيين ، فقال الحسن فى صراحة الحق الذى يعتقده : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال الرجل : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد .. ؟

وهذا القائل لعله أراد احراج الحسن ، أو كان مدسوسا عليه ، فغضب الحسن لهذا النفاق السياسى ، ثم حرك يده حركات تعجبية ، تشعر القائل والسامعين أن الحسن أدرك الهدف الخبيث الذى يرمى اليه هذا القائل ، ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ؟ نعم ، ولا مع أمير المؤمنين .

وكان الحسن رحمه الله لا يرى الخروج والثورة على الولاة والامراء الظلمة الذين استقر لهم الحكم فى الدولة ، ويقول : انما هم نقمة ، فلا تقابلوا نقمة الله بالسيف ، وكان يوصى بالصبر حتى تنفرج الغمة .

ولم يكن الحسن بعيدا عن بطش الحجاج ، ولكن الله تعالى حفظه منه ،

فلم تلحقه يده ، يقول الامام أيوب السختياني : ان الحجاج أراد قتل الحسن ، وعزم عليه مرارا ، فعصمه الله منه ، ويقول ميمون بن مهران : بعث الحجاج مرة الى الحسن وقد هم أن يبطش به ، فلما قام الحسن بين يدى الحجاج ، قال له : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا ، ثم نكس الحجاج رأسه ، وخرج الحسن لم يمسسه منه سوء .

وقد تولى الحسن القضاء حسبة ، لم يأخذ عليه أجرا ، ولكنه لم يلبث فيه طويلا ، لأنه رأى أن منصب القضاء يحتاج الى تفرغ يبعده عن جمهور الشعب ؛ وكان المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت أحوج الى سماع صوت الحسن فى دروسه ومواعظه وتوجيهاته منه الى أحكامه القضائية ، لأن مكانه فى القضاء لا يعدم من يقوم فيه مقامه ، ولكن مكانه فى حلقات الدرس والتوجيه والارشاد لا يسد فيه مسده أحد .

ولما اعتزل القضاء ألح على عصريه وقرينه الألمعى ، ذى الفراسة الصادقة اياس بن معاوية أن يتولى القضاء خلفا عنه ، لأنه — فى رأى الحسن — أصلح من يكون له علما وذكاء وفضلا .

وتفرغ الحسن للدراسة ، يدرس الحديث والسنة رواية ودراية ، وكان كثير المراسيل ، يرويها لثقته وثقة الناس به ، فاذا سـئل عمن روى ذلك أجاب .

ذكر ابن سعد فى الطبقات أن الحسن قال فى مجلسه : كان موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل الا مستترا ، فقال له عبد الله بن بريدة : يا أبا سعيد ، ممن سمعت هذا ؟ فقال : سمعته من أبى هريرة .

والمحدثون ونقدة الرجال لم يجعلوا مراسيل الحسن فى ميزان مع مراسيل سعيد بن المسيب ورجحوا عليها مراسيل سعيد .

وكان الحسن قواما بتفسير القرآن الكريم رواية عن الصحابة ، ودراية مستنبطة برأيه وعلمه وفهمه ، يروى عنه أبو جعفر الطبرى وسائر المفسرين القدامى ، ممن اقتصروا على تفسير القرآن بالمنقول .

ومما روى عنه من تفسير الفهم والدراية تفسيره لآيات خواتيم سـورة الفرقان التى تصف عباد الرحمن ، قال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا » والهون فى كلام العرب اللين والسكينة والوقار « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » حلماء لا يجهلون ، وان جهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجدا لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما » .

وكل شىء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام ، انما الغرام اللازم له ما دامت السموات والارض ، صدق القوم والله الذى لا اله الا هو ، فعملوا ، وأنتم تتمنون ، فاياكم وهذه الأمانى رحمكم الله ، فان الله لم يعط عبدا بأمنيته خيرا فى الدنيا والآخرة .

وكان عصر الحسن رحمه الله مستنبتا لبذور الفرق الاسلامية ، التى بدأت جذورها فى أرض الاسـلام تنفلق عن أغصـان التفرق فى بعض نواحى العقيدة ، وفى كثير من مسائل الفروع ، فقد ظهر أوائل الشيعة بعقيدتهم فى الامامة ، وربطوها بالايمان ، وظهرت معهم طلائع الخوارج بمقالاتهم التى كفروا

بها سائر طوائف المسلمين ، وقد أشجوا الدولة بحروبهم ، وكانوا شجا فى حلق الخلافة العلوية ، حتى انتهت بقتلهم أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم تحولوا الى حروب مدمرة مع الأمويين .

وكان الحسن رحمه الله على علم بمقالات هؤلاء وهؤلاء ، ولكنه لم يكن يعرض لها بجدل الا اذا سئل فانه يجيب بحجته وعلمه الذى ينبثق من الكتاب والسنة ..

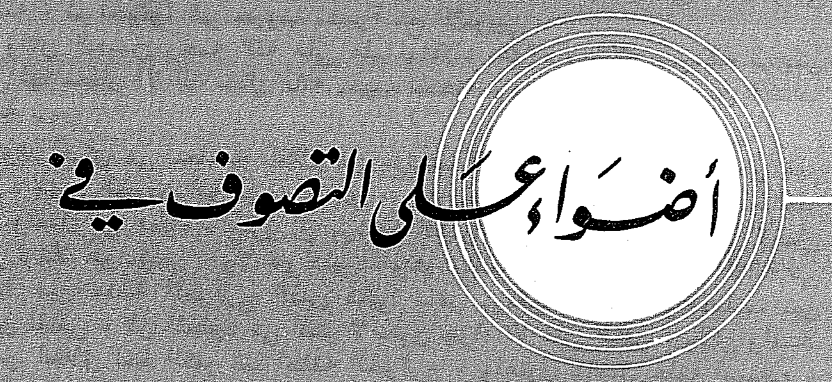
وقد جرى فى مجلسه الكلام عن مرتكب الكبيرة ، هل هو مؤمن أو غير مؤمن ، فقرر الحسن أنه مؤمن فاسق ، غير مخلد فى النار ، وابتدر لمخالفته تلميذه واصل بن عطاء ، وقرر أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الايمان والكفر ، فلا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وهو مخلد فى النار ، وهذه المقالة فى حقيقتها عين مقالة الخوارج الذين قالوا بكفر مرتكب الكبيرة والاختلاف بين المقالتين لفظى ، لأن الخلود فى النار لا يكون جزاء الا على الكفر ، ولكن واصلا جبن عن اطلاق لفظ الكفر كما أطلقه الخوارج ، واعتزل واصل حلقة استاذه ، وعقد لنفسه حلقة ، وتبعه عمرو بن عبيد وآخرون ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، ومن ثم جاء اسم المعتزلة على أصحاب واصل ومن نحا نحوهم .

دخل رجل المسجد على حلقة الحسن ، فقال له : « يا امام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر ، يخرج به من الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا » فتفكر الحسن فى الامر ، وابتدر واصل الجواب قبله فقال : أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، ولا مؤمن ولا كافر .

ويرى بعض الباحثين من القدامى أن مذهب الحسن كان معروفا مشهورا ، وانما أسرع واصل باجابته على سؤال السائل وهو غير موجه اليه ليرد على مذهب الحسن ، ويقرر له مذهبا فى المسألة .

ولقد كان لمكانة الحسن العلمية ومقامه فى الأمة أثر بعيد المدى فى ادعاء الفرق له ، وانتمائهم اليه ، فالشيعة يحسبونه من أئمتهم ، والمعتزلة يعتدون به أشد الاعتداد ، وينظمونه فى سلكهم ، والخوارج لا يتورعون عن ضمه الى صفوفهم ، والصوفية ينتهون بأسانيدهم اليه ، وأهل السنة والحديث يعدونه رأسهم .

واذا كانت هذه صورة موجزة لهذه الشخصية العظيمة فى الاسلام ، فحسبها أنها رسمت خطوطها العريضة فى اطار الحقائق التاريخية التى توضح أن الحسن البصرى كان أكبر شخصية معبرة عن حياة عصره ، وأعظم داعية من دعاة الاسلام بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

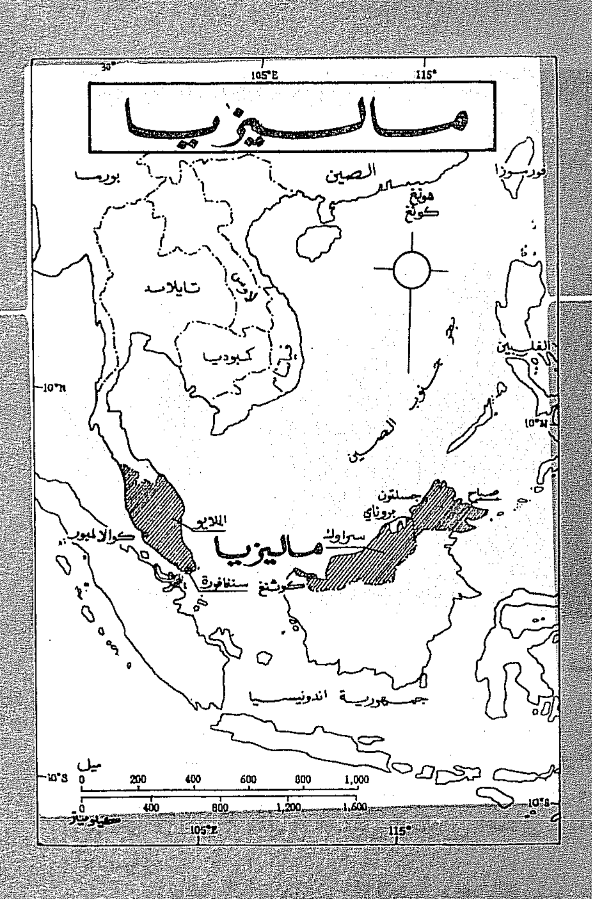


أضواء على التصوف في ماليزيا

- **المتصوفون العرب الحضارمة هم الذين نشروا الاسلام مع غيرهم فى شبه جزيرة الملايو .**
- **كان سلطان « ملقا » الذى اعتنق الاسلام متصوفا زاهدا دعا للاسلام بقوة وشجاعـــة**
- **حمزة فنصورى فى الملايو يشبه « ابن العربى المتصوف »**

من المهم قبل الحديث عن الصوفية فى ماليزيا أن نعطى فكرة للقارىء عن ماليزيا . هذا البلد المجاهد المسلم والذى يلعب دورا فعالا فى الحركة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

الموقع الجغرافى : تقع ماليزيا فى الجنوب الشرقى لآسيا . وهى تتكون من **ماليزيا الغربية** والتى كانت تعرف فيما قبل ((**بشبه جزيرة الملايو**)) بولاياتها الاحدى عشرة وهى **ولايات كلانتان وترانجانو وبرليس وقدح** فى أقصى الشـــمال ثم **بهانج** فى الشرق (الساحل الشرقى لشبه الجزيرة) **وملاكا وسلانجور ونجرى سمبلان وجوهدر فى الساحل الغربى وجزيرة بنانج** والتى أخـــذ اسمها من اسم شجرة الاريقة وهو من الفصيلة النخلية .



للدكتور : جمال حماد

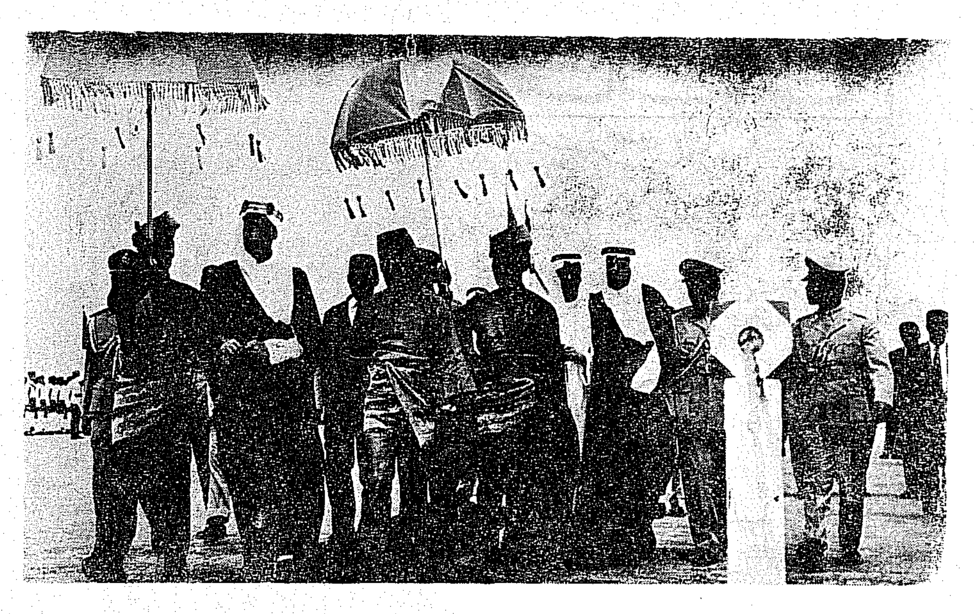
ثم ماليزيا الشرقية وتتكون من ولاية صباح وسراواك فى جزيرة بورنيو اما بقيـــة جزيرة بورنيو فهى تتبع أندونيسيا ما عدا « بروناى » وهى محميـــة بريطانية تقع بين ولاية صباح وسراواك ــ وحاكمها سلطان مسلم ــ وسكانها مسلمون وتدفق أخيرا البترول فى أرضها .

يفصـــل ماليزيا الغربية عن ماليزيا الشرقية بحر الصين الجنوبى ــ وهى تقع قريبا من خط الاستواء ، وتتوسط الموقع بين الهند والصين .

يحدها شمالا بلاد السيام (أو تايلاند) ويحدها جنوبا جمهورية أندونيسيا .

وتشترك مع جزيرة سومطرة (فى مضيق ملقا) والذى ينتوى السيد تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا بالاشتراك مع سوهارتو رئيس جمهـــــورية أندونيسيا فى جعله مضيقا كهيئة قنـــاة السويس بمصر ، وسيحقق ذلك الى جانب المكاسب المادية وهى كبيرة ــ سيحقق وزنا سياسيا جديدا لدولتـــين مسلمتين يضاف الى وزنهما السياسى .

الســكان : يبلغ عدد سكان ماليزيا تقريبا ١٠ مليون نسمة منهم ٥ مليون



« الصورة أثناء زيارة الملك فيصل لماليزيا فى يونيو سنة ١٩٧٠ وفى استقباله اليانج دى براتون أجونج السلطان عبد الحليم معظم شاه ملك ماليزيا .

ملاوى مسلم وهم أصل سكان البلاد (وكلهم مسلمون ويرجع اسلامهم الى القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ميلادى ولو انه يصعب التحديد) . ويوجد كذلك ٣ مليون صينى ومليون هندى وباكستانى — وعدة آلاف من أجناس أخرى .

ويعتقد أن الجنس الملاوى وهم أقدم جنس وطئت قدماه أرض الملايو — يقال انه قدم من منطقة يقال لها اليونان فى الصين

وبعضهم هاجر من أندونيسيا من جزيرة سومطرة وسيليبس والمذهب السائد هنا هو المذهب الشافعى .

نظام الحكم : نظام الحكم هنا ديموقراطى — على القمة ملك دستورى يقال له (اليانج دى برتوان أجونج) أى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وهو يختار من بين السلاطين للولايات المختلفة كل خمس سنوات .

ويصدر الملك قراراته عن طريق توصيات مجلس الوزراء والبرلمان . ورئيس مجلس الوزراء لا بد أن يكون ماليزى الجنسية وعضوا بمجلس الامة .

الاحزاب : هناك أحزاب سياسية كثيرة أهمها :

١ — الحزب الائتلافى Alliance Party وهو حزب الاغلبية الحاكم ويتكون من ثلاثة أحزاب هى الحزب الوطنى الاتحادى الملاوى .U.H.N.O والحزب الصينى الماليزى .M.C.A والحزب الهندى الماليزى .M.I.C ورئيس الحزب هو السيد تون عبد الرزاق رئيس مجلس الوزراء الحالى .

٢ — الحزب الملاوى الاسلامى Pan Malayan Islamic ورئيسه هو السيد داتو محمد عصرى وسكرتير الحزب هو السيد ابو بكر حمزة وهذا الحزب يحكم ولاية كلانتان . وله اعضاء فى المجالس النيابية المختلفة للولايات — وكذلك له اعضاء فى مجلس الامة الفدرالى الذى (يقولون عنه ديوان الرعية Dewan Ra'ayat



صورة لاحتفال المولد النبوى الشريف فى ولاية جوهور بهارو احدى ولايات ماليزيا وهم يستمعون لخطاب ولى العهد تنكو ماخوتا جوهور ــ وفى انتظار الاشتراك فى المظاهرة الاسلامية السنوية والتى تطوف شوارع العاصمة .

---

٣ ــ ثم هناك حزب المثقفين Gerakan Party وهو الحزب الحاكم فى جزيرة بنانج .

٤ ــ حزب التقدم الشعبى Peoples Prosresive Party

٥ ــ حزب العمل Labour Party

٦ ــ الحزب الوطنى Panty Negar

وهناك أحزاب أخرى فى شبه جزيرة الملايو وصباح وسراواك .

الاقتصاد : مع أن المسلمين يكونون ٥١ ٪ من السكان الا ان نسبة الاقتصاد ورأس المال الذى بأيديهم لا يتعدى ٥ ٪ ، ٩٥ ٪ من الاقتصاد بيد الصينيين . .

وكان لا بد من حل لهذه المعادلة الصعبة تركزت فى اتجاهات كثيرة منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

أولا : تكونت مجالس اقتصادية اسلامية تبحث بالتفصيل والاحصائيات كيف يدفعون بالملاويين المسلمين الى ميدان الاقتصاد والتجارة . ومحاولة توضيح النظام الاقتصادى الاسلامى لجمهرة المسلمين . وحل ما يصادفهم من مشاكل فى هذا الشأن . ويشترك فى هذه المجالس أساتذة الجامعة والاقتصاديون المسلمون . مع متابعة تامة ودقيقة لوضع المجتمع وبنيانه الاقتصادى ومكان الملاويين فيه .

ثانيا : عملت الحكومة على تشجيع المعدمين من الملاويين بالسكنى فى مستعمرات هيئة الاصلاح الزراعى ــ التى تعطيهم قطعة أرض وتمدهم بالخبرة الزراعية وتبنى لهم مساكن ومدارس وغيرها .

ثالثا : أنشأت مجلسا يقدم منحا لاصحاب البلد الاصليين وهم الملاويون يقال له مجلس « مارا » (مجلس الثقة الشعبى) Maglis Amara Ra'ayat



فى نهاية الاحتفالات يقفون جميعا ويرفعون أيديهم ضارعين الى الله بالدعاء « الصورة فى سرمبان ويتوسطهم رئيس وزراء سرمبان رائد منصور بن عثمان » .

ومهمته تقديم منح دراسية فى الجامعة والمدارس فى الداخل والخارج للملاويين المسلمين . وغير ذلك كثير لا مجال لتفصيله فى هذا البحث .

ننتقل بعد ذلك الى موضوعنا الرئيسى وهو (التصوف فى ماليزيا)

وليست هناك دراسة عميقة مستفيضة — ولكن بين يدينا كتاب الفه السيد (نجيب العطاس) وأصدره معهد أبحاث الدراسات الملاوية الاجتماعية بسنغافورة . والسيد نجيب العطاس هو أحد الحضارمة العرب الذين وفد أجدادهم هنا فى هذه المنطقة وغيرها ينشرون دين الله الخالد ويدعون الى كلمة التوحيد ويعمل حاليا أستاذا بقسم الدراسات الملاوية بكلية الآداب جامعة الملايو بكوالالمبور واسم الكتاب Some Aspects of Sufism as under stood and Practised among the Malays.

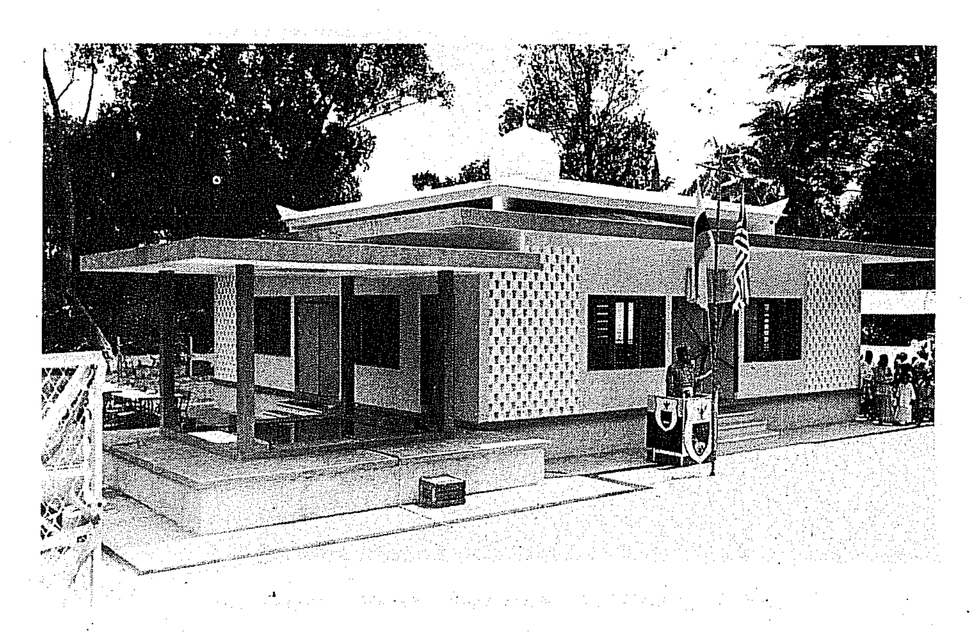
أما كتابه الذى يقع فى ١٠٦ صفحة من القطع المتوسط فقد قسم المؤلف فيه الحديث الى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الاول : مدخل الى الصوفية

القسم الثانى : الصوفية كما يفهمها الملاويون

القسم الثالث : كيف يمارس الملاويون الصوفية

والحقيقة بأن المؤلف قد بذل جهدا فى هذا البحث الشيق — وبدأ الكتاب بالآية الكريمة مترجما معانيها الى اللغة الانجليزية وهى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى .. »



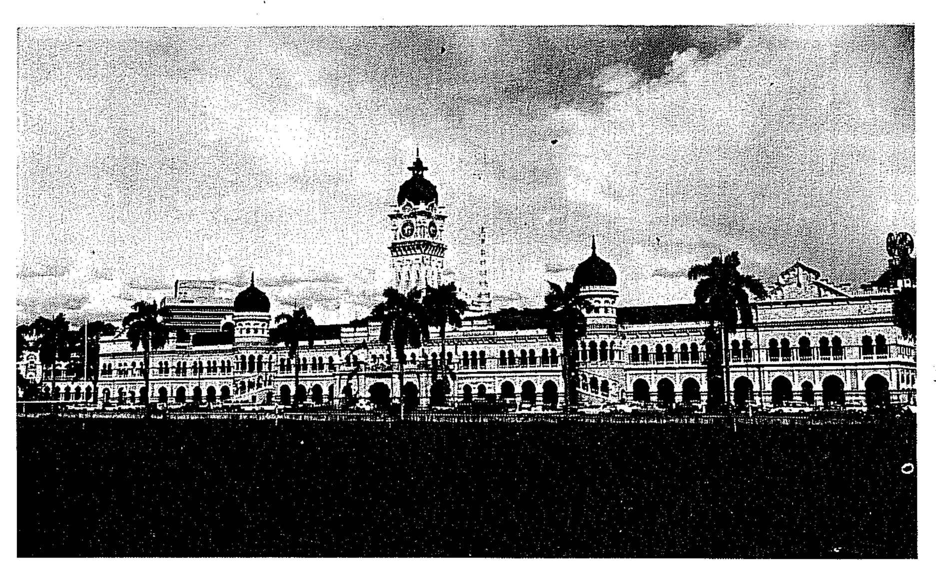
صورة لافتتاح مسجد فى احدى قرى سرمبان احدى ولايات ماليزيا .

ويبدأ السيد نجيب العطاس بتعريف كلمة الصوفى ويقول : ان هناك أقوالا كثيرة عن سبب وأصل التسمية فمنهم من يرجعها الى (الصوف) — وبعضهم يقول ان أصلها من الكلمة اليونانية (صوفيا) بمعنى الحكمة — وغيرهم ينسبها الى الصفاء أى السمو بالروح والنقاء .. ويذكر المؤلف أن التصوف من الناحية التاريخية بدأ (بأهل الصفة) وهم من المسلمين الاوائل الذين كانوا يكثرون من الجلوس والتعبد فى أحد جوانب المسجد النبوى الشريف بصفة مستمرة ومنهم سلمان الفارسى .

ويعرج المؤلف بعد ذلك الى حسن البصرى وابراهيم بن أدهم ثم رابعة العدوية شهيدة العشق الالهى والتى كانت تعلم الناس كيف يحبون الله لا طمعا فى جنته ولا خوفا من عذابه وناره ولكن عشقا وفناء فى ذاته الواحد الأحد الفرد الصمد .

ثم تحدث المؤلف عن نظرية (المعرفة والإلهام) ثم المقامات التى يسلكها المريدون حتى يصلون الى معرفة الله . أو مرحلة الكشف والالهام والانفتاح على عالم الروح الربانى واشراقاته الحلوة — ويقول ان لمعرفة الله لذة لا تدانيها أى لذة مادية على هذه الارض مهما عظمت .. فاللذة الروحية هى قمة اللذات ..

ثم تحدث عن وحدة الوجود التى قال بها (ابن العربى) وغيره من المتصوفين والتى عارض فيها بعد ذلك كثير من الفلاسفة المسلمين فى القديم والحديث .



مبنى سكرتارية الحكومة بماليزيا ويلاحظ الفن المعماري الاسلامي .

« ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الصوفية كما يفهمها الملاويون » :

لم يستطع المؤلف أن يعطى تاريخا ثابتا للتصـــوف ونشأته فى ماليزيا (شبه جزيرة الملايو قديما) ولكنه ذكر أن التصـــوف اقترن بدخول الاسلام الى هـــذه المنطقة ـــ ويجزم بأن الصوفيين العرب وغيرهم هم الذين نشروا الاســـلام فى الملايو ـــ وتحمسوا لجذب كثير من الناس إلى رحـــاب عقيدته . وقد تم انتشـــار الصوفية وتركزت أسسها على أرض صلبة عام ١٤٨٨ م .

مع اعتنـــاق ســـلطان (ملاقا) أو (ملاكا) (١) للاسلام والذى يروى التاريخ عنه أنه كان متصـــوفا زاهـــدا وأن امبراطورية ملاكا ، عاشت فى ظله عصرا ذهبيـــا .

وما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر وجدت (الصوفية) كمنهج طريقها الى الساحل الشرقى من شبه جزيرة الملايو والى سومطرة ، بل لقـــد ظهـــر أقطـــاب متصـــوفون مثـــل **« حمزة فنصورى »** فى القرن السادس عشر فى شمال سومطرة وكان يتبع الطريقة القادرية ـــ وكان له أتبـــاع ومريدون كثـــيرون . .

والمؤلف معجب جـــدا (بحمزة فنصورى) ويعتبره شبيها (بابن العربى) وهو وان لم يكن يرقى الى مستوى ابن العربى فى المنهج والتفكير والكتابة ـــ لكنه بالنسبة لعصره ووسطه والجو الذى عاش فيه واتباعه والطريقة التى كان يدعو بها ـــ يشبه ابن العربى وقد ألف أشعارا صوفية كثيرة .

ونبغ أيضا فى الحقل الصوفى « (١٦٠٧ ـــ ١٦٣٦) فى عهد الســـلطان



مبنى البرلمان فى كوالالبـــور « ديوان الرعية » .

« ماخوتا علم » المتصوف المعروف باسم « شمس الدين السومطرانى » نسبة الى سومطرة وكان الله فى عرفه هو « القدرة المحركة العظمى للكون والحيـــــاة وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ولا تأخذه سنة ولا نوم » .

وفى سنة ٦٣٧ ميلادية ظهر المتصـــوف القطب الكبير الشيخ نور الدين محمد بن على بن حسن بن محمد حامد الرانيرى القرشى الشافعي وقد ألف نور الدين كثيرا من الكتب وفنـــد بعضا من أقوال شمس الدين وحمزة فنصورى وله كتاب باسم « حجة الصديق لدفع الزنديق » وآخر باسم «التبيان فى معرفة الديان»

الطرق الصوفية فى ماليزيا : ما بين القرن الثانى عشر والسادس عشر كان يوجد بالملايو أربع عشرة طريقة أهمها القادرية والشهروردية والشستية والشاذلية والبدوية والدسوقية والصادقية والنقشبندية والخلوتية .

وكان لكل طريقة اتباع كثيرون . يدعون للاسلام ويعرفون المسلمين بأمور دينهم ويوضحون لهم الغامض . ونكتفى بهذا القدر فى هذا العدد .

---

(١) « ملاكا » أو « ملاقا » هى احدى ولايات اتحاد ماليزيا ويرجع تسميتها بذلك الى أنهـــا مكان التقـــاء العـــرب والملاويين لأول مرة — وهى مشتقة من كلمة « ملتقى » العربية .



فن الحرب

يقسم فن الحرب الى أربعة اقسام :

١ ــ **تنظيم الجيوش** . ويراد به تجميع واستغلال جميع الوسائل الضرورية للحرب على أحسن وجه ، ومن ذلك توزيع الرجال على مختلف الوحدات ، ودراسة الامكانيات المادية والاسلحة والذخيرة ووسائل النقل والخدمات الصحية .

٢ ــ **الاستراتيجية** ، وهى اعداد خطة المعركة وقيادة الجيش فى المواقف الحاسمة والتعرف على المواقف التى يجب ان يتركز فيها المجهود الرئيسى خلال المعركة ، والمفاجأة هى اهم عناصر الاستراتيجية .

٣ ــ **التكتيك** وهو فن القتال واستخدام عناصر الجيش فى الاراضى والمواقع الملائمة وتنفيذ التحركات التى تمليها (الاستراتيجية) .

٤ ــ **الامدادات والتموين** ، وهى فن تقدير كل ما يمكن ان يحتاج اليه الجيش لتسهيل عملية القتال مثل المواصلات والاسكان والغذاء والملابس والمهمات والتموين بالمواد والذخيرة .

استمرار اليقظة

كثير من الناس يقومون بأعمال تحول بينهم وبين الذهاب الى فراشهم كل ليلة مثل الطيارين وسائقى القطارات والاطباء ورجال الاطفاء والشرطة ، وليظلوا يقظين يتناولون كميات من الشاى والقهوة ، وتحتوى هذه المشروبات على كميات من (الكافايين) وهذا الدواء يبطل مفعوله فى الوقت الذى يصبح فيه النوم ضرورة لا غنى عنه .

الظلم العظيم

عن ابن المسيب ــ أن عمر ابن الخطاب قرأ (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) فلما قرأها فزع فأتى أبى بن كعب فقال ــ يا ابا المنذر آية من كتاب الله . من يسلم ؟ فقال ــ ما هى فقرأها عليه ..فاينا لا يظلم نفسه ؟

فقال ــ غفر الله لك ، اما سمعت الله تعالى ذكره يقول ــ ((ان الشرك لظلم عظيم)) انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك .

جـــزر الكـــويت

حول الكويت عدة جزر ، أكبرها جزيرة (بوبيان) لا يسكنها أحـ وتقع في الشمال الشرقي من الخليج العربي ، وشمال بوبيان جـــزيره صغيرة اسمها (وربه) وفي مدخل جون الكويت جزيرة (فيلكا) وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وبجوارها جزيرة (مسكان) وجزيرة (عوهـــه) وتقابل الساحل الجنوبي نفسه جزر صغيرة غير مأهولة وهي (كبر) و (قارورة) وأم (المرادم) وفي داخل الجون نفسه أكثر من جـــزيرة فبقرب ساحل الشويخ (الجزيرة الصغيرة) وقرب رأس عشيرج جزيرة (أم النمل) .

مـــن الاعـــلام

على بن محمد بن حبيب . ابو الحسن الماوردى ، أقضى قضاة عصره ، من العلمـــاء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . جعل (أقضى القضاة) في أيام القائم بأمـــر الله العباسي ، وكان له المكانة الرفيعة عند الخلفاء . مـــات ببغداد سنة ٤٥٠هـ ونسبته الى بيع ماء الورد . ومن كتبـــه (أعلام النبوة) و (الاحكام السلطانية) و (أدب الدنيـــا والدين) .

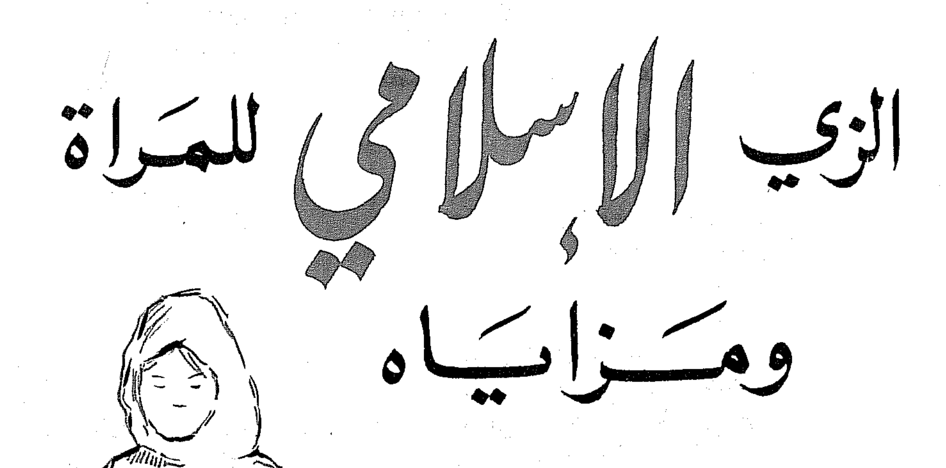
فـــراغ عقلي

حكى أقضى القضاة الماوردى قال ــ كنت جالسا في مجلس مقبلا على تدريس اصـــحابي فدخل علينا شيخ قد ناهـــز الثمانين فقال لي ــ قدقصدتك في مسألة اخترتك لها ، فقلت ــ وما هي ؟ قال ــ اخبرني عن نجم آدم ونجم ابليس ما هما ؟ فبدر جماعة من الحاضرين بالانكار عليه والاستخفاف به ، فكففتهم عنه ، وقلت ــ هـــذا لا يقنع مما ظهر من حاله الا بجواب مثله ، وقلت لـــه ــ يا هذا ان نجوم الناس لاتعرف الا بمعرفة موالدهم ، فان ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فقال ــ جزاك الله خيرا ، وانصرف مسرورا .

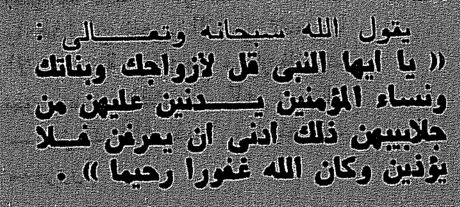
الجهـــاد

قال محمد بن ابراهيم : أملى على عبد الله بن المبارك حين ودعته للجهاد هذه الابيات وارسلها معى الى الفضيل بن عياض :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنـــا لعلمت انك في العبادة تلعـــب
من كان يخضب خده بدموعـــه فنحورنا بدمائنا تتخضـــب
او كان يتعب خيله في باطـــل فخيولنا يوم الصبيحـــة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنـــا وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبيـــا قول صحيح صـــادق لا يكـــذب
لا يستوي غبـــار اهل الله في انف امرىء ودخان نار لا يكذب
هذا كتاب الله ينطق بيننـــا ليس الشـــهيد بميت لا يكـــذب



الزي الإسلامي للمرأة ومزاياه



يقول الله سبحانه وتعالى :
« يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

يامر الله نبيه الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ان يامر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين اجسامهن ورءوسهن وجيوبهن ــ وهى فتحة الصدر من الثوب ــ بجلباب كاس فيميزهن هذا الزى ويجعلهن فى مامن من معابثة الفساق او ممن فى قلوبهم مرض فلا يتعرضون لهن باذى او ريبة .

ارتداء الملابس القصيرة وأخطاره

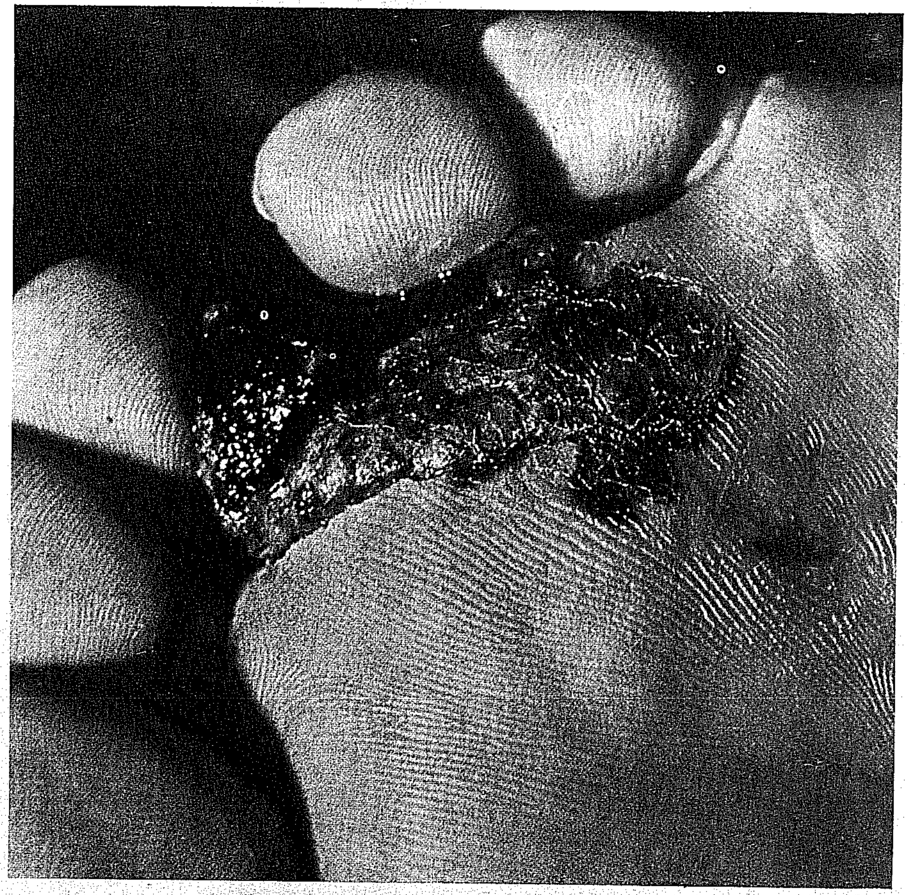
الدكتور فاروق محمود ساهل

والزى الإسلامى للمرأة هو أن تلبس ما يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة حتى لا تظهر ثنيات الجسم وتفاصيله مع السماح لها بكشف الوجه واليدين حتى الرسغين ..

ولا يخفى ما يبلغه مجتمع من العفة والطهارة إذا خرجت فيه النساء لقضاء حاجتهن حيث سمح لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لعائشة رضى الله عنها « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن ». على أن يكن محتشمات الملبس .

ولقد عزى كثير من المصلحين والباحثين فساد كثير من شباب العصر إلى تعمد المرأة الخروج كاشفة أجزاء من عورتها ظلت تزيد وتزيد فلم يبق إلا القليل المستور من جسدها. وانبرى هدامون عديدون يفسرون ظاهرة كشف المرأة لعورتها وربطوها بنفسية المرأة وحبها للظهور والتبرج وعرض أجزاء من جسدها ثم استمتاعها بما يقع على سمعها من كلمات الغزل والاطراء من العابثين والفاسقين .. ووجدت المرأة من يقوم على تشجيعها بعدم ستر عورتها بجهاز ضخم منظم يشتمل على مصممين للأزياء الحديثة ودور للملبوسات الخليعة ومجلات ومسابقات وعروض وأفانين ، وكلها تخضع لتمويل واشراف اليهود طبقا لما ورد فى بروتوكولاتهم من افساد العباد وملء أوقاتهم بالفارغ من القول وجذب انتباههم بالتافه من العمل باسم التطور والرقى والمدنية و « آخر خطوط الموضة » ليظلوا بعيدين عن أمورهم الهامة ومشاكلهم الملحة ، فضلا عن امتصاص الاموال الطائلة .

والغريب أن تكاليف الثياب القصيرة أغلى بكثير من تكاليف الثياب المحتشمة البسيطة .. ولكن **« إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها،**



١ ــ سرطان الميلانوما الخبيث فى القدم (عن سيبا CIBA بسويسرا)

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبــون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

وصدق الله العظيم .. ثم تكون عليهم حسرة ..

فبالإضافة الى مجتمع يسيطر عليه الفساد والانحلال حين تتخلى المرأة عن ثياب العفة والنظافة ، ومايخسره هذا المجتمع نتيجة سلوك نســـائه ثم شبابه ، بالاضافــة إلى ذلك فان الاحصائيات الحالية تشير إلى انتشار مرض السرطان الخبيث فى الاجزاء العارية من أجساد الفتيات اللائى يلبسن الملابس القصيرة ..

وقبل ان اذكر تفاصيل ذلك أود ان اقدم له بأن الله جلت قـــدرته خلقنا وهو أعلم بخلقه وأمرنا باتباع امور تجلب لنا النفع ونهـــانا عـــن اشياء تجر علينا الخراب والعذاب ، وفوق نفعها أو ضررها لنا فهى اختبار لمدى طاعتنا لله سبحانه وتعالى .. قد لا يبدو لنا من الوهلة الاولى مدى النفع أو الضرر من أمر إلهى ولـــكن المؤمن الحق يؤمن به ويتبعـــه دون جدل أو نقاش ، وبمرور السنين أو

الدهور تتجلى الحكمة الإلهية فيما أمرنا باتباعه أو اجتنابه ، ذلك هو الايمان بالغيب **« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »** . **« ليعلم الله من يخافه بالغيب »** فالمعروف أن العقل يعتمد على الحواس التى هى محدودة مقيدة ومالا تدركه الحواس لايدركه العقل . وليس معنى ذلك أن نلغى نعمة العقل والتفكير فلم نؤمر بذلك بل على النقيض أمرنا بالتدبر والتفكر واستعمال عقلنا فى غير ما شطط أو ضلال، ونلزم العقل الأصول والقواعد خشية التردى فى الهاوية (كما يحدث الآن للحضارات الاجنبية فى أوربا وأمريكا وآسيا) .

« ومع ذلك كله تجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين، وهم يلحدون فى آيات الله فيميلون بها عن وجهها حينا ، ويجادلون فيها أشد الجدال حينا آخر . ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراء . هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن، ولكنها تقوم بهذه الظنون والاوهام فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى — وهم يزعمون أنهم مسلمون — لووا رءوسهم وقالوا : نحدثك فى العلم فتحدثنا فى الدين ؟ كأن هذه الاوهام اثبت عندهم من القرآن » وعلى كل فسنحدثهم بالعلم لعل فيه عبرة لهم وهداية ، فلقد نشر فى المجلة الطبية البريطانية(١) أن السرطان الخبيث (الميلانوما الخبيثة . (Malignant Melanoma) والذى كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن فى تزايد وأن عدد الاصابات فى الفتيات فى مقتبل العمر يتضاعف حاليا حيث يصبن به فى أرجلهن وأن السبب الرئيسى لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التى تعرض جسد النساء لاشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة ، ولا تفيد الجوارب الشفافة أو « النايلون » فى الوقاية منه ، وناشدت المجلة اطباء الاوبئة أن يشاركوا فى جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباء . .

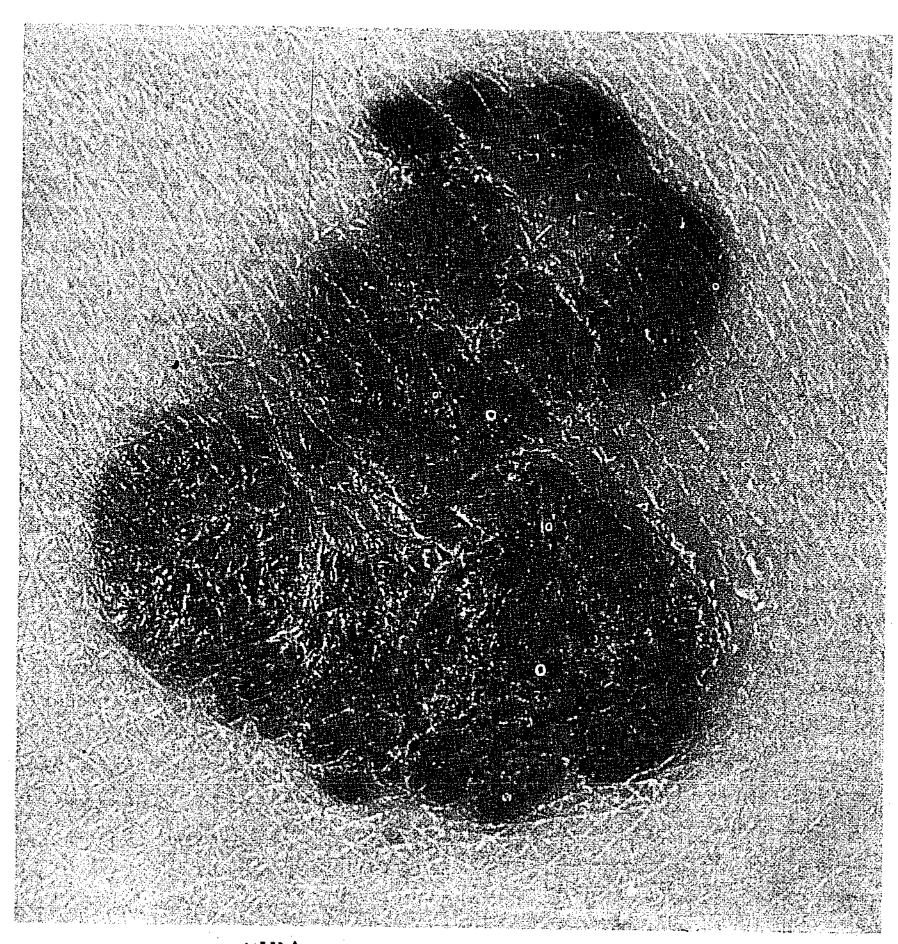
« وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم » .

ولقد حل العذاب الأليم — أو جزء منه — فى صورة السرطان الخبيث بل أخبث أنواع السرطان . وهذا المرض ينتج من تعرض الجسم لاشعة الشمس واشعة فوق البنفسجية فترات طويلة وهو ماتوفره الملابس القصيرة فى الحياة العادية أو أزياء البحر على الشواطىء ويصيب كافة الاجناس بنسب متفاوتة ويظهر اولا كبقعة صغيرة سوداء وقد تكون متناهية الصغر غالبا فى القدم او الساق (واحيانا بالعين) ثم يبدأ بالانتشار فى كل مكان واتجاه بينما هو يزيد وينمو فى مكان ظهوره الاول ، فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ويغزو الدم ويستقر فى الكبد ويدمرها وقد يستقر فى كافة الاعضاء ومنها العظام والاحشاء بما فيها الكليتان ولربما يعقب غزو الكليتين البول الاسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازى . . وقد ينتقل للجنين فى بطن امه . .

ولنا أن نتصور حالة إنسان مصاب بكل هذا يتمنى الموت فيه خلاصا من الآلام والدمار . .

ولا يمهل هذا المرض صاحبه طويلا ولا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقى أنواع السرطان الخبيث . .

علما بأن هذا السرطان الخبيث لا يستجيب إطلاقا للعلاج بجلسات الاشعة . .



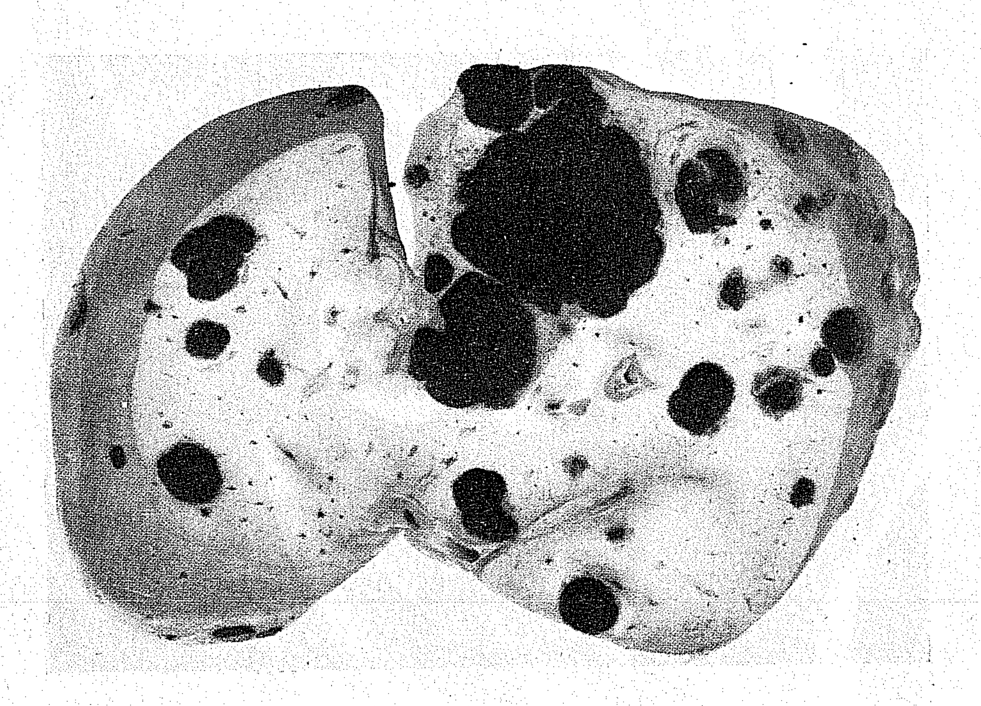
٢ — السرطان الخبيث فى ساق مريض (عن سيبا CIBA بسويسرا)

وبعد ، فعلى الرغم من ان التدخين يسبب سرطان الرئة وسرطان المثانة وأمراض القلب والتهاب الشعيبات الهوائية المزمن (٢) إلا أن نسبة المدخنين ثابتة بل لربما فى تزايد واقصى ما فعلته الجهات الصحية فى أوربا ان اجبرت شركات الدخان أن تكتب عبارة « التدخين قد يضر بالصحة ! » وذلك على كل علبة من الدخان ..

وعلى الرغم من أن أمراض الخمر كثيرة جدا وقاتلة فأقصى ما فعلته الجهات الصحية المسئولة فى بعض البلدان أن حذرت الناشئة من تعاطيها ..

وعلى الرغم من أن أمراض الزنا (الامراض السرية) أبادت ملايين الناس رجالا ونساء عبر السنين إلا ان الزنا منتشر ..

وعليه فلا نتوقع أن يبدأ المسئولون فى نصح الفتيات بعدم ارتداء الملابس القصيرة إلا بعد أن تسقط الضحايا منهن بالآلاف .. ضحايا للاستغلال والمصالح الخاصة والكسب الحرام على حساب أرواح



٢ ــ قطاع بالكبد وقد غزاها السرطان الخبيث(الاسود)(من كلية الجراحين الملكية بلندن)

البشر . .

فإلى فتياتنا ولمن يشجعهن على التخلى عن زيهن الاسلامى محاكاة وتقليدا ها قد تبين لنا أن التقليد ضار بل يؤدى للهلاك فى الدنيا وفى الآخرة .. فسواء من الناحية المادية فالأثمان باهظة ومرتفعة .. أم من الناحية الاجتماعية تفكك وميوعة وضلال ..

أم من الناحية الصحية فالعذاب البدنى والموت المحقق .. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ..

« تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

وعلى فتياتنا المسلمات أن يفوتن الفرصة على دعاة الفساد وأن يتمسكن بتعاليم دينهن الحنيف يكسبن رضاء الله ويسلمن دنيا وينجين آخرة .

---

(١) المجلة الطبية البريطانية B.M.J. ١٩٧٢/١/١٥ م ص ١٣٠

(٢) المجلة الطبية البريطانية B.M.J. ١٩٧٢/٣/٢٥ ص ٧٦٣


حوار مع
ابليس
د . . .

للاستاذ محمد لبيب البوهي

عدت الى دارى حزين النفس كئيب الفؤاد .. لقد كنت فى جولة حدث خلالها ما أشاع فى نهار النفس السواد .. لاشيء قد عاد يدخل السرور الى القلب .. فما السرور الحق غير أفراح الروح .. ولن تسعد الروح الا بما هو من طبيعتها .. ولكن كل شيء فى تلك الجولة كان يثير الاشمئزاز .. شباب على جنبات الطرق أكثر ما يشغلهم إرسال البصر فى محاسن الغاديات .. وسباب بين متعاركين لغير ما سبب جاد .. وجلوس على المقاهى بلا هدف .. وتفاهات تبدو فى أشياء كثيرة .

عدت الى دارى وصدفت عن طعام العشاء .. حتى الصلاة تراخيت عنها وقلت فى نفسى : سأنهض قبيل الفجر وأصليها .. وآويت الى فراشى ورحت أتقلب ذات اليمين وذات الشمال .. واذا بى أجده بعد هنيهة قائما أمامى .. ولقد كنت من قبل أظنه يأتى وله قرون سوداء ملتوية كقرون الكباش .. وفى وجه أسود كالفحم .. ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. لقد جاء على صورة أحد هؤلاء الذين لقيتهم فى الجولة المحزنة .. لقد كان يبدو وسيما .. أو بمعنى أكثر دقة يضع على وجهه هذا القناع .. كما يكون الغطاء المعطر الانيق على شيء عفن كريه ، ولكن أمره لم يخف على نفسى .. لقد عرفته على الفور .. وهممت من فراشى لأنهره مشيرا الى الباب ليذهب .. والى النافذة ليخرج منها ، والى الجدار لينفذ من مسامه الصماء .. فانه يستطيع ذلك فى سهولة ويسر .. ولكنه ظل ثابتا .. وأشعل سيجارة .. وراح يدخن ثم قال : أنت الذى دعوتنى بصورة ما .. ذلك أنه يبدو أنك تريد أن تدخل معى فى حوار .

قلت فى غيظ : إن القحة تبلغ بك دائما حدا لا يطاق .. والا فبأى حق تفرض نفسك هكذا أيها الرجيم على النائمين ..!؟

جـ : قال فى هدوء وهو ينفث دخان سيجارته ، فيتلوى الدخان فى أفق الحجرة كأنه الأفاعى : إننى لا أفرض نفسى على أحد .. إننى فقط عندما أدعى ألبى النداء .. إنهم دائما يلقون اللوم على .. وينسون أنفسهم ، إننى لست أكثر من تاجر أعرض بضاعة .

س : ولكنك خبيث غاش تخفى بضاعتك العفنة المسممة فى أغلفة مزينة .. وليس ذلك بمستغرب منك فانك أنت الذى ابتدعت الخداع .

جـ : يا عزيزى .. إننى لا أعرض بضاعة واحدة .. وليست هذه البضائع جاهزة عندى .. إننى أهيئها لساعتها وأقدمها وفق مواصفاتهم .. إننى لست أكثر من مساعد لهم .. إنك تظن أننى أغشهم فأقدم البضاعة فى لفائف تخفى حقيقتها .. إنهم يتفاخرون بما قد يحاول آخرون أن يخفوه .. إنها درجات يا سيدى كما ترى .. عندى بضاعة للريفى الساذج .. وأخرى لسادات المدن .. حتى العلماء .. إن منهم كثيرين من زبائنى .

س : .. العلماء ..!! أى صنف من العلماء ؟

جـ : جميع أصنافهم حتى الـذين يتصدون للـوعظ .. اننى أسـجد لهم وأسميهم بكبار العباقرة .. وأنهم قد أوتوا ما لم يؤت غيرهم من البلاغة ، فمنهم من يشمخ حينئذ بأنفه تيها وعجبا .. وبذلك تذهب تركات عملهم في غياهب تيه الاعجاب ، وتتحول كلمات الوعظ على السنة هذا الصنف الى كلمات جوفاء لها رنين الصلصال ، إنه يحلو لى أن أتعامل مع هذا الصنف .. ان إثارة روح الاعجاب بالنفس هى بعض بضاعتى .. وإننى كما أغرى الاغنياء بطلب المزيد من الغنى حتى يشغلوا بالزائل .. فانه يطيب لى أيضا أن أغرى الزهـاد بطلب المزيد من الفقر .

س : يبدو انك تهذى فيما أرى .. وإلا فما معنى أن تغرى الاغنياء بالمزيد من الغنى ، وتغرى الزهاد بالمزيد من الفقر ..!؟

جـ : قال ضاحكا : إنك تريد أن تنفذ الى أعماق بعض أسرار مهنتى .. لا بأس سوف أكشف لك الغطاء عن بعضهـا ، لاننى أريد أن أنفـذ الى قلبك بطريقتى الخاصة .. إننى اغرى الاغنياء بطلب المزيد من الغنى حتى يصبح طلب المال فى حد ذاته هدفا لهم ، واغريهم بالحرص عليه وحراسته .. فتضيع أيام الحياة فى هذا العبث ، ولن يجدوا بعد ذلك فى الطرف الآخر غير الهباء .. إنهم لن يقدموا بين ايديهم شيئا يجدونه هناك .. اما الزهاد فاننى أحاول أن أغريهم بالمزيد من الفقـر .. حتى ينصرفوا عن الدنيا انصرافا تاما .. فينالها منهم أعداؤهم الذين يسعون ويعملون .. إن من بضاعتى دعوة الناس الى التطرف .. أعنى بعض الناس .. إننى أدعو كثيرا من الشباب ليتشبهوا بالنساء .. وانحنى أمـام الكثيرات من النساء فى تواضع ومودة مشيرا عليهن أن يتشبهن بالرجال .. إن الامـور حينئذ تختلط .. وتفقد القيم موازينها .. إنهم سوف يجدون فى هذا الانحراف لذائذ شتى .. إننى كما ترى خبير فى تلوين الحياة التى يشتهونها .. كى ادخل السرور الى قلوبهم .. تستطيع أن تسمينى فنانا من نوع خاص .. ولا بأس أن تدعونى كما تريد بصانع اللـذات .

س : قلت غاضبا : يمكنك أن تخدع غيرى .. ذلك لاننى قد خبرت بضاعتك .. إنك تذهب باللذة العظمى فى سبيل نشوة حسية عابرة .. الا ترى أنك حين تدعو شابا للنظر الى محاسن امرأة تصرفه عما وعد به من لذة الروح ؟ أعنى أن اللذة العابرة للبصر تمحق اللـذة الكامنة فى أعماق البصيرة .. وأن الذى يطلق لسانه فى الغير ، ويجد نشوة ما فى لهو الحديث سرعان ما يزحف الران على قلبه ..!؟

جـ : قال الخبيث فى هدوء وقد نهض وراح يذرع حجرتى طولا وعرضا بغير إذن منى : اعلم ذلك .. إنهم يدفعون الثمن راضين .. أرجو الا تنسى اننى تاجر أعرض الوانا شتى ، وانهم يتزاحمون على أبواب متجرى .. إن متاجرى تحسن عرض ما لديها وأنا واسع الثراء .. لقد جنيت منهم — أعنى من عملائى — أرباحا طائلة ، لقد تعاملت على مدار أجيال العصور مع اكثر عظماء التاريخ .. إن لى ذكريات كثيرة مع قابيل .. وقوم نـوح .. وعاد وثمود .. وإخـوة يوسف .. و .. و ..

س : قلت فى مزيد من الغيظ وكأننى أبغى أن أصده عن هذا الاسترسال فى التفاخر : نعم .. نعم .. نعم اعلم ذلك عنك ، وأعلم انك صديق وزميل لتيمورلنك .. وهولاكو .. ونابليون .. وكثير من أمثال هؤلاء .. وكثير من القياصرة ..

ويبدو انني ادخلت السرور الى قلبه بهذا الاطراء ، ولكنه ما لبث بعد هنيهة ان عبث وتجهم وجهه حتى ازداد تفحما وقال : ولكن هناك أمر قد يخفى عليك وعلى الآخرين .. إن هؤلاء العظماء الذين تدعوهم أصدقاء لى وزمــلاء هم بعض أسباب تعاستى .. إن أعمالهم أعنى جرائمهم تنسب الى .. وبذلك يزيدون من حجم مسئوليتى .. ويثقل بهم ميزان حسابى .

فأظهرت الشماتة به ، وقد رأيته حزينا على خلاف ما كنت أتوقع فقلت : إن كل واحد من هؤلاء كان يضع فى كل ساعة واحدة من ســاعات حياته فى ميزانك من اثقال الجرائم ما قد لا يستطيع ان يفعل مليون من عامة الناس .. إننى اعلم ذلك عن يقين .. وإننى لسعيد لانه لم يعد لك كما ترى عملاء من هذا الصــــنف .

ج : فانفجر الرجيم ضاحكا واشار الى الجدار ، فبرزت شاشة بيضــاء كأنها شاشة (السينما) ، واندفع صوت نفاثات تنطلق فى الجو .. وصــياح صبية تحصدهم المناجل .. وامهات يولولن .. ثم رجل فى اقصى الغرب سعيد بهذه المناظر ويصدر الاوامر بالمزيد منها ، ثم قال إبليس : لا يخلو عصر من كبار عملائى .. هذا احدهم كما ترى ، إنه يريد أن ينجح فى انتخابات بلاده فى أقصى الغرب .. على حساب ملايين من البشر الذين يسفك دماءهم فى اقصى الشرق .. إنه يريد ان يصبح رئيسا فحسب على جثث كل اهل الارض .. وعلى كل حال فإننى انا وحدى الذى اجنى الثمار فى النهاية .. لان هؤلاء يعبرون أيامهم مجرد عبـــور .

س : قلت : وما نوع علاقتك بهم ــ هل تظهر لهم المودة والوفاء ؟ ..

ج : فعاد يقول : لقد رأيتنى منذ لحظات حزينا كاسف البال .. ذلك ان كل جريمة من جرائم هؤلاء تبعدنى عن طريق الرحمة خطوات .. إن الواحد من هؤلاء ما ان يتم ما آمره به حتى يصيبنى منه ما يشبه الإعصار الذى يهــوى بى بعيدا بعيدا عن منبع النور .

س : قلت وانا امسك براسى من الدوار : إننى لا افهمك أيهــــا الرجيم اللئيم .. كيف تحزن حين تجد نفسك بين اعوانك هؤلاء سيدا مطاعا !؟
ج : قال وقد بدت بعض الدموع تترقرق فى مآقيه : الا ترى أن الاجــرب قــد يلتذ حين يحك جلده حتى يدميه !؟ الا ترى انه لو امتنع هؤلاء عن طاعتى لخفت جرائمى .. ولأمكن أن أتصور بزوغ بعض الأمل فى أفق حياتى .. إننى اوسوس لهم ولغيرهم ، وبودى لو عصونى ، كالسكير الذى يكره الخمر ، ولكنه قد اصبح مدمنا لا يستطيع من اسرها فكاكا .. ومن أجل ذلك فإنه يطيب لى دائمــا أن ارى عملائى وهم يتجرعون هول ما قدمت أيديهم .

س : قلت : تعنى انك تفرح بما يصيبهم يوم يقدمون حسابهم للسماء .. !؟

ج : قال : لا .. إننى اترك للسماء حسابها الذى تراه يــوم الدينونة .. اما انا .. هنا على الارض .. فإنه ما من آثم اتبغى إلا حرصت على الانتقام منه قبل أن يموت .. إننى قد ارفعه وهو ســاه غافل حتى القى به من حالق الى المهاوى السحيقة .. ويطيب لى ان ارسل ضحكات الشماتة امام ابصارهم. فى لحظاتهم الاخيرة .. استحضر فى ذهنك من تعرف من العصاة ابتداء من

شارب الخمر .. إلى مدمن الأفيون .. الى عباد الغوانى .. الى كبار عباقرة الإجــرام التاريخى .. إننى انا وحدى الذى آخذ بأيديهم فى أول الامر الى حيث يشتهون .. ولكن لا أحد ينتهى بنهاية طيبة على الإطلاق ــ إما الفضيحة .. وإما العــار .. أو السجن .. أو المرض ، أو عذاب النفس ، أو الانتقام من أعراض ذويهم ــ إنهم كما يضعون أحجار أوزارهم فى ميزانى أنتقم منهم قبـل أن يموتوا ــ وهذا بخلاف ما ينتظرهم هناك .

وعــلا صــوت إبليس مجلجلا قويا ، غاضبا ثائرا هادرا كالموج ، وهــو يصيح : ولكنهم لا يرجعون .. إن الملايين منهم يحثون عنى ويسيرون خلفى عن طواعية .. إنك لن تستطيع أن تنبئنى بإنسان وقع بين يدى ثم نجـــا من مخالبى .. تذكر ما أصاب فرعون .. وهامان .. وقارون .. وقتلة الانبياء .. وعظماء التتــار .. إن نفس المصير ينتظر عما قريب مشعلى النار فى فيتنــام وأرض النبوات ..

س : قلت : يبدو أنك تريد فى بعض الاحيان أن تكون واعظا .. !؟

جـ : فقال وقد استرد من جديد تمام هيئته الشيطانية وتفحم وجهه وصاح : إننى لا أعظ أحدا .. إنما أذكر لك فحسب سنة من سنن الحياة .. انه قــدر مكتوب يجب أن ألقاه وأن يلقاه معى كل من تبعنى .

س : علمت ما تنزله بأولئك الذين يضاعفون من حجم آثامك .. إنك بعد أن تمد لهم فى خيط اللذات تعود فتنتقم منهم بصور شتى .. حتى إن التاريخ ليعى بحق المصائر الكئيبة التى انتهى اليها كل ظالم أو جبار ، ولكن ما شــأنك مع مئات الملايين من أولئك الذين يرتكبون كل يوم الآثام العادية ، أعنى تلــك الرذائل التى قد لا تتعدى محيط أصحابها ؟

جـ : قال فى هدوء خبيث : إننى لست ظالما بالقــدر الذى تتصور .. إن السهم ترتد بقدر قوة شدك لها .. هؤلاء يصيبهم جزاء من جنس ما عملوا .. ان السكير يفسح الطريق لولده ليقتدى به .. وكذلك الكذوب .. وتارك الصلاة .. هناك أسر بأسرها قد تعيش فى مثل هذا التيه باسم تقليد ولى أمرها .. أو باسم العادة التى فرضت سلطانها على هذه الأسرة .. الا النــــادر ، أو ما تتغلب فيه إرادة قوية لحكمة من عند الله .. إن العربيد الذى يطيب له أن ينتهك الاعراض .. ترتد قوسه فتمزق عرضه فى أحد أفراد أسرته من قــريب أو من بعيد .. إن الآثام كالامراض لها ميكروبات تنقل نفس العدوى .. أعنى نفس جرثومة المرض .. إن العربيد قد لا يشاهد بنفسه صورة أعماله وهى تتكرر فى إحدى زوايا الاسرة .. ذلك انه كما قد يبالغ فى إخفاء أمره .. فإن ما يقع قد يظل أيضا فى طور الخفــاء .. هذا بالطبع ما لم تحــدث تــوبة صـــادقة .

س : قلت : وبمناسبة التوبة .. لعلك تبدو شديد الاسف حين تجـــد آثما يتــوب .. ويرجع عن طريقك .. فيتناقص بذلك عدد عملائك .. ؟ إننى أتصورك حينئذ وأنت تعض أناملك من الغيظ .

جـ : قال الرجيم : قد لا تستطيع أن تصدقنى اذا أجبتك بأننى شـــديد التقدير والاحترام لأولئك الذين أعجز عن الوصول اليهم ــ هنـــاك على سبيل المثال فتى حاولت معه .. وأخذ يصدنى وحاولت .. وحاولت .. وبذلت له كل

صنوف الإغـــراء .. ولكنه كان دائما يكتشف مكانى .. ويرى صورتى البشعة خلف كل عمل مزين .. لقد استطاعت إرادته أن تصرع إرادتى .. وفى النهاية قررت الابتعاد عنه .. وأصبحت بعد ذلك كلما قابلته فى طريق أنحنى له تحية وإعـــزازا .. وأشعر أننى إزاء رجل بحق ، والآخرون أطفال مهما تقـــدمت بهم السن .

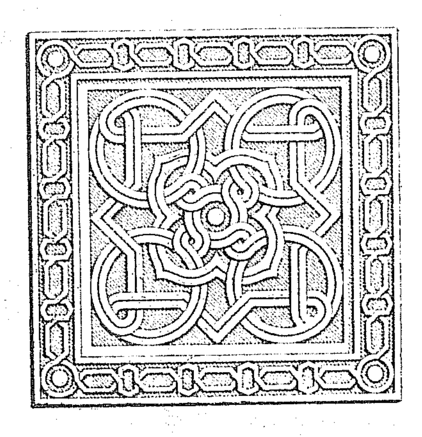
.. .. ..

أخذت أتعجب مما أسمع من حديث هذا اللعين .. وأنا فى حـــيرة بين تصديق كلامه وتكذيبه .. إنه يستطيع أن يضع على وجهه من الأقنعـــــــة ما يشاء .. حتى يبدو وكأنه الواعظ الصادق .. لقد كان يتحدث أحيانا بصوت خافت هادىء مرتب .. واذا أمعنت النظر والفكر وجدت هذا الحديث ينقلب رويدا رويدا الى ما يشبه فحيح الأفاعى ثم يعود صوته مرة أخرى فيجلجل كالعاصفة الهـــوجاء .. فأهز رأسى وأعود الى الشك فى كل ما يقول .. أو على الاقل فى الاهداف التى يرمى اليها .

وقـــد كنت أود أن يمتـــد بيننا الحوار لأعرف طرائقه فى أسلوب معاملاته . وأكشف عن كثير من طرائق حياته .. غير أن الجدار الذى خلفى قد انشق .. وبدا من جوفه صوت كالرعد يدعوه .. وكأنه قرأ ما يجول فى ذهنى فقـــال : ســـــوف تسعد الآن بمفارقتى اياك .. إننى مدعو لانتخابات الرئاسة عند أولئك الذين يظنون أن أقدار الشعوب قد صارت فى قبضة أيديهم .. سوف أعشش فى رأس كبيرهم .. لأحشـــو هذا الرأس بخفافيش الأفكار السوداء التى حشوت بها رؤوس أمثاله من قبل .

وبسط الرجيم عباءته فبدا كخفاش أسود كبير يملأ بجناحيه الفضـــاء ثم انطلق .. وما زلت أتابعه حتى بدا فى الأفق وكأنه قد أصبح نقطة صـــغيرة ســـــوداء .

ونفضت رأسى كأننى أصحو من نعاس .. راغبا فى استكمال الحـــوار بصورة أخرى فى وقت قريب .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار فيض

سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية
بين شيخ وقسيس

كتاب يقع فى (٤٠٠) صفحة .. وضعه الأستاذ عبد الله العلمى .. إظهارا لحقائق خفيت على النصارى وتقريبا بين الأديان السماوية .. ودفاعا عن العقيدة التى تقر بها جميع الأديان .. وهى وحدانية الله وتنزيها للسيد المسيح عما ينسب إليه .

وقد جعل المؤلف كتابه هذا على شكل مناظرات وحوار بين شيخ وقسيس ... وقد قام باعداد الكتاب وتنقيحه وتحضيره للطباعة نجل المؤلف الدكتور عبد الحليم العلمى .

والكتاب مقسم الى احدى عشرة سلسلة .. متضمنة جميعها الأبحاث التى دار الحوار فيها بين الشيخ والقسيس ...

مؤتمر
تفسير سورة يوسف عليه السلام

كتاب يقع فى جزءين كبيرين ... من تأليف الأستاذ عبد الله العلمى ... والكتاب يوضح طبائع اليهود والنصرانية الموروثة من آبائهم ... ويرد على مفتريات دعاة التبشير على الدين الاسلامى الحنيف .. ويدعو الى البحث الحر .. ونبذ التقليد الأعمى ... وقد تضمن الكتاب بحثا مستفيضا عن عقيدة التوحيد فى التوراة والانجيل .. كل ذلك فى ظلال تفسير سورة يوسف ..

والكتاب يعتبر مرجعا هاما للعلماء والخطباء والوعاظ والمرشدين .... ولا يستغنى عنه طالب علم .

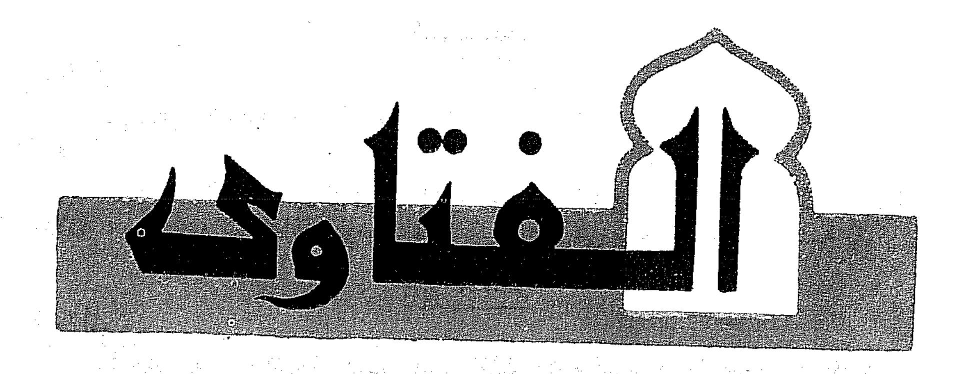
وقد قدم الكتاب واشرف على إعداده وتبويبه نجل المؤلف الدكتور عبد الحليم العلمى .

والجزء الأول ينتهى بصفحة (٦٧٢) .. والثانى ينتهى فى صفحة (١٤٨٠) وهو من مطبوعات دار الفكر ببيروت .

سألونى

الجزء الأول من كتاب يحمل بين صفحاته أجوبة لأسئلة كثيرة متنوعة اجاب عنها مؤلفه فضيلة الشيخ عبد الله النورى مستمدا إجاباته من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتدور هذه الأسئلة حول العديد من المواضيع منها ما يتعلق بكتاب الله وتاريخ الرسل والرسالة ومنها ما يتعلق بالروح والمغيبات والمعتقدات كما يحتوى الكتاب أيضا أجوبة على استفسارات عن العادات والبدع والخرافات ومشكلات المجتمع وشئون المرأة وغير ذلك .

والكتاب يقع فى (٤٢٨) صفحة ومن طبع دار الهنا للطباعة بالقاهرة .



اموال الدولة

السؤال :

ما حكم المتستر على من يسرق من اموال الدولة .. ؟

الاجابة :

لا تجوز السرقة من اموال الدولة ، والسارق ان كان من الموظفين المكلفين برعاية هذه الاموال كان ذنبه أكبر لأنه من الخائنين ، والخيانة لا تحل مطلقا ، وعلى من علم به أن يرفع أمره للمسئولين كى يصون أموال الدولة وينال السارق جزاء الخائنين ..

والتستر عليه يعتبر فى الاسلام مشاركة فى المعصية يستحق به الساتر العقاب كما يستحقه السارق،روى أبو داود عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يكتم غالا فانه مثله » والغلول هو السرقة من المغنم قبل قسمته ومثله تماما الاموال العامة .

التمريض

السؤال :

قرأت فى بعض كتب الفقه انه يجوز للمرأة الاجنبية خدمة الرجل ومشاهدة عورته حال المرض ، فما مدى هذا القول من الصحة .. ؟

الاجابة :

يقول المحقق الشيخ محمد الحامد الحموى إن هذا النقل ان صح بتجويز تمريض المراة الرجل الاجنبى منها ورؤيتها عورته حال المرض فهو محمول على حال الضرورة القصوى حيث لا يوجد رجل له معرفة بالطب والدواء ، ومعلوم أن الضرورات تبيح المحظورات ، وانها تقدر بقدرها ، فلا يجوز للمراة المرضة حيث تعينت للمداواة اطلاق البصر فيما وراء موضع العلة ، بل يجب أن يكون نظرها بتحفظ دقيق وبقصد المعالجة ..

وهذا الذى نقل ان صح ـــ مقيد بهذا القيد الدينى ـــ وقد ذكر الفقهاء أن الطبيب الرجل له مداواة المرأة المريضة حيث لا توجد امراة تقوم على علاجها ، قالوا : وينظر الى موضع العلة فقط ، ويغض بصره ما أمكنه الغض وبذا يلتقى نظر فقهائنا مع ما نقله السائل .

المصحف

السؤال :

هل يجوز شرعا بيع المصحف وشراؤه .. ؟

الاجابة :

اتفق الفقهاء على جواز شراء المصحف ، واختلفوا فى بيعه ، فأباحه الأئمة الثلاثة ، وحرمته الحنابلة ، وقال احمد : لا أعلم فى بيع المصحف رخصة .

بيع المضطر

السؤال :

لنا جار مدين واضطر لبيع بعض أثاث داره لتسديد ما عليه من الدين ، ولما عرضت الأشياء المطلوب بيعها قدر ثمنها باقل من الواقع ، فهل يجوز لى شرعا شراء بعض هذا الاثاث بالثمن المقدر مع علمى بانه اقل من قيمته الحقيقية ؟

الاجابة :

المطلوب فى هذه الحالة شرعا أن يعان المضطر أو يقرض حتى يفرج كربته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

واذا لم تجد النفس بالعون أو القرض فالأفضل والأورع أن تشتريه بقيمته الحقيقية ، وليس هناك ما يمنعك وفى هذا أيضا عون لأخيك وتيسير عليه ، فاذا اشتريته بالقيمة المقدرة مع انها أقل من القيمة الحقيقية صح البيع مع الكراهة لما فيه من شائبة الاستغلال .

العربون

السؤال :

اشتريت سيارة من صديق لى ودفعت له جزءا من الثمن او ما يسمى بالعربون ثم عدلت عن شراء السيارة ، وطالبت صديقى برد المقدم الذى دفعته له ، فهل يحل له شرعا اخذ هذا المبلغ .. ؟

الاجابة :

أجاز الامام أحمد بيع العربون لما رواه نافع بن عبد الحارث انه اشترى لعمر دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، فان رضى عمر كان البيع نافذا وان لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم .

شبكة الصياد

السؤال :

يحدث ان يشترى احد الناس من صياد السمك قبل ان يلقى بشباكه ما يقع فى هذه الشباك من السمك بمبلغ من المال ، وقد تخرج الشبكة وليس فيها شىء وقد تخرج وفيها قليل من السمك وقد تخرج وفيها الكثير ، فهل هذا البيع حرام ام حلال .. ؟

الاجابة :

هذا البيع يسمى بيع الغرر ، وهو بيع المجهول وهو قريب من القمار ، وقد نهى الشارع عنه ، ومنع منه .

الجهر بالبسملة

السؤال :

ما حكم الجهر بالبسملة فى الصلاة عند قراءة الفاتحة ، وغيرها من السور .. ؟

الاجابة :

اختلف العلماء فى ذلك ، فبعضهم استحب الجهر بها ، وبعضهم كره ذلك واحب الاسرار بها وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت فى الحديث الصحيح عن انس ــ رضى الله عنه ــ قال :

كان النبى صلى الله عليه وسلم ، وابو بكر ، وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجاء فى معناه عدة احاديث وورد فى بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها ولكنها احاديث ضعيفة ، ولا نعلم فى الجهر بالبسملة حديثا صحيحا صريحا يدل على ذلك ، ولكن الأمر فى ذلك واسع وسهل ولا ينبغى فيه النزاع ، واذا جهر الامام فى بعض الاحيان بالبسملة ليعلم المأمومون انه يقرؤها فلا بأس ، ولكن الأفضل أن يكون الغالب الاسرار بها عملا بالأحاديث الصحيحة .

ميراث المفقود

السؤال :

توفيت امراة عن زوج واختين شقيقتين واخ شقيق مفقود ، وتركت (١١٢٠) دينارا فكيف تقسم هذه التركة .. ؟

الاجابة :

تقسم هذه التركة على تقديرين :

١ ــ الورثة على فرض حياة المفقود زوج واختان شقيقتان وأخ شقيق .

الزوج يستحق ٥٦٠ دينارا ، وكل أخت تستحق ١٤٠ دينارا ، والأخ المفقود لو كان حيا يستحق ٢٨٠ دينارا .

٢ ــ الورثة على فرض وفاة المفقود زوج واختان شقيقتان .

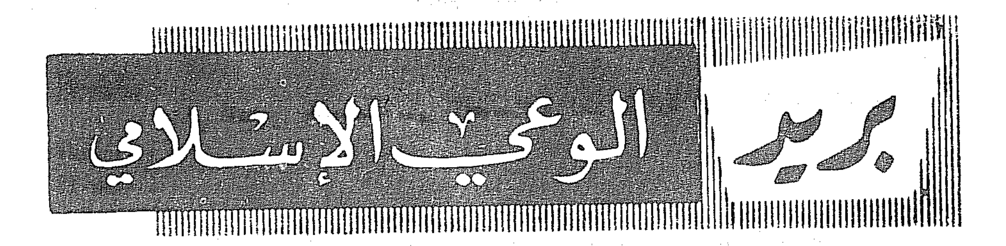
الزوج يستحق ٤٨٠ دينارا ، وكل أخت تستحق ٣٢٠ دينارا ، فى حالة وفاة المفقود .

وبالمقارنة بين أنصباء الورثة نجد أن نصيب الزوج ٥٦٠ دينارا فى حال حياة المفقود ، و ٤٨٠ دينارا فى حال وفاته ، فيأخذ أقلهما وهو ٤٨٠ دينارا ، وأن نصيب كل أخت ٣٢٠ دينارا حال وفاة المفقود ، بينما نصيب كل منهما ١٤٠ دينارا حال حياته ، فتأخذ كل منهما النصيب الأقل وهو ١٤٠ دينارا .

ونحجز للمفقود نصيبه على فرض حياته وهو ٢٨٠ دينارا مضافا اليه الفرق بين نصيب الزوج حال حياة المفقود ونصيبه حال وفاته ، ومقداره ٨٠ دينارا ، فيكون مقدار المحجوز ٣٦٠ دينارا .

فاذا ظهر المفقود حيا أخذ نصيبه وأخذ الزوج فرق نصيبه ، أما الأختان فلا شىء لهما ، لأنهما قد أخذا ميراثهما على فرض حياته .

واذا ظهر المفقود ميتا رد المحجوز كله الى الأختين ، ليكمل لكل منهما نصيبها حال وفاة المفقود ، فتأخذ كل منهما ١٨٠ دينارا ، وقد أخذت قبل ذلك ١٤٠ دينارا ، فيكون مجموع ما أخذت كل اخت ٣٢٠ دينارا .



اعداد : عبد الحميد رياض

حضارات الكويت القديمة

هل ظهرت فى الكويت حضارات قديمة .. ؟

محمد على ـ البصرة

تدلنا الآثار التى كشفت عنها البعثة الأثرية الدانمركية فى جزيرة فيلكا على أن منطقة الكويت وما حولها كانت عامرة فى الأزمنة القديمة باسكان ، وأن طرق التجارة البحرية كانت تمر بسواحلها وخاصة بجزيرة فيلكا التى اتخذها سكانها الأقدمون مركزا لتزويد المراكب المارة بها بالماء والطعام منذ اكثر من خمسة آلاف سنة ..

وهذا واضح من الأختام المستديرة التى عثر عليها فى تل سعد .. ويرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠٠ (ق٠ م) ، وهى تختلف عن أختام العراق الاسطوانية ، وأختام الهند المربعة ، وتدلنا على أن حضارة هذه المنطقة ذات طابع خاص بالرغم من تأثرها بحضارة بابل وآشور وبلاد اليونان .

ويظهر اثر بابل فى بعض الآثار كالأختام والكتابة المسمارية ، كما أن البعثة الدانمركية وجدت آثارا يونانية فى موقعين يرجع تاريخهما الى القرن الرابع قبل الميلاد ، ووجدت فى احداهما قوالب لتماثيل صغيرة منها رأس الاسكندر وآلهة الجمال (افروديت) وآلهة النصر وغيرهما ، ووجدت فى الموقع الآخر النقوش والأعمدة المختلفة من الطراز اليونانى ، وفى موقع ثالث وجدت فى عام ١٩٣٧ قطعة من الحجر نقشت فيها كتابة يونانية واضحة .

فهذه الآثار تؤيد الروايات التاريخية المدونة فى كتب المؤرخين القديمة التى تصف لنا عودة أسطول الاسكندر من الهند الى العراق سنة ٣٢٥ (ق٠ م) عن طريق الخليج العربى وعزم الاسكندر على فتح بلدانه للسيطرة على سواحله ، وتشييد الموانىء والمدن فيه . **(عن الكتاب السنوى لوزارة الاعلام)**

تحـويل القبلة

لماذا تحول المسلمون الى الكعبة بعد صلاتهم الى بيت المقدس ، وما هو دور اليهود فى هذه الفترة .. ؟ **سيف الدين عمر ـ الأردن**

... ...

يروى السدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه الى السماء ينظر ما يؤمر به وكان يحب أن يصلى الى

قبل الكعبة فأنزل الله سبحانه : ((**قد نرى تقلب وجهك فى السماء**)) ..

وفى رواية أبى اسحاق عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه نحو الكعبة ، فنزلت الآية آمرة بالتوجه للكعبة ..

وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون الكعبة هى القبلة للمسلمين هو سرور اليهود لاستقبال المسلمين بيت المقدس ، وإشاعتهم بين الناس فضل دينهم على كل دين ..

ثم كشف الله عن المسلمين ما هم من ضيق وجاء أمره لرسوله أن يحول وجهه شطر المسجد الحرام وكان الأمر فى المدينة — والمعروف أن أغلب سكانها فى هذه الفترة من اليهود — ونزل قول الله واضحا جليا يعلن بقوة فى صورة تكشف عن مدى الجهد الذى كان يعانيه الرسول لوقاية أمته من الفتنة ، مبعدا عنها القلق ومعيدا اليها الرضى والثقة ((**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتو الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)) .

وصلى الناس الى البيت الحرام الذى هو أول بيت وضع للناس للعبادة منذ أن رفع ابراهيم واسماعيل قواعده على تقوى من الله ورضوان .

ولقد ظهر حرص اليهود — فى وقت مبكر من بزوغ فجر الدعوة المحمدية — على أن يخلقوا جوا من البلبلة فى نفوس المسلمين والمحيطين بمكان الدعوة ، حتى يصرفوهم عن هديها الواضح ، كى لا يقتنع الناس بما للاسلام من ميزات وبما له من سلطان على النفوس ، فيحولون دون دخول من فتح الله قلوبهم له ، وكان هذا الحرص عن سبق اصرار وعداء كامن فى نفوسهم الحاقدة على الاسلام ونبيه وأتباعه ، لذلك اتخذوا توجه المسلمين فى صلاتهم لبيت المقدس ورقة رابحة — فى زعمهم — يحركونها حسب أهوائهم ووفق رغباتهم الحانقة على الاسلام والمسلمين ، فعندما أمر الله رسوله أن يصلى الى الكعبة ثارت نفوسهم الخبيثة ، اذ كيف يرضون أن يكون للمسلمين قبلة يجتمعون عليها ، قبلة تربطهم برباط الايمان الذى به تتوحد مشاعرهم مع الاختلاف فى الجنس واللسان واللون .

لا يرغبون أن تكون لهم قبلة واحدة يتجه اليها المسلمون لتحقيق منهج واحد ينبثق منه هدف واحد هو عبادة اله واحد تحت راية واحدة هى راية خاتم الرسل النبى العربى ، ما كان حرصهم هذا عن جهل أو عن عفوية وانما كان عن عناد وتماد فى التضليل والله سبحانه يقول : ((**وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)) .

هذا هو المنطلق الذى منه ينطلقون وعلى أساسه يخططون ، ويقيمون الامور وفقه ، لا يقتنعون بدليل مع علمهم بصدقه ، وصدق من أتى به ولا يذعنون للحق الذى جاء به الرسول مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكنه الكفر والعناد والجحود : ((**ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك**)) كيد لا يفتر فى المواجهة وفى الخفاء ، وقد كان ذلك مسلكهم قبل أن تحول القبلة ، ولازمهم فى كل فترات حياتهم ، حتى كان ما كان من أمرهم اليوم ، قتل وتشريد للأبرياء ، تحت ستار الدين ، لا يردهم منطق ولا أخلاق ، ولكن الذى يردهم ويجعل كيدهم فى نحرهم هو الاعتصام بديننا ومنهج نبينا ففيه قوتنا وعزتنا .



رسالة من كندا

للاستاذ احمد صبرى برغش :

تعودنا أن نشاهد الكثير من البرامج التى تسخر من العرب وتهزأ بهم على شاشة التلفزيون فى كل أنحاء القارة الامريكية – خاصة بعد حرب الأيام الستة ..

واذا كان العرب قد تخاذلوا وتقاعدوا سياسيا وعسكريا واصبحوا مثالا للتندر والتفكه بين أمم العالم .. فمن العار أيضا أن يتركوا دينهم وعقيدتهم تعرض على غير المسلمين مشوهة ومحرفة .. كما حدث منذ بضعة اشهر أن عرض على شاشة التلفزيون فيلم من انتاج محطة الCBC

وهى أكبر محطة صهيونية فى القارة كلها والفيلم اسمه : مكة المدينة المحرمة – وتم تصويره فى الأراضى المقدسة – والفيلم فى ظاهره يعرض مراسم الحج – ولكنه يخفى بين طياته سموما أراد بها المصور أن يظهر المسلمين على انهم شعوب بدائية همجية ، وخرج المشاهد غير المسلم بذلك الانطباع وأن الكعبة الشريفة هى رب المسلمين وإليها يتوجهون بصلاتهم وعبادتهم – ومنذ أسبوعين دأبت نفس الشركة على الاعلان عن سلسلة بعنوان الاسلام ستعرض قريبا – ويتكرر الاعلان بحيث جعل المشاهد يترقب ويترقب .

حتى بدأ عرض الحلقة الأولى .. فيلم ملون أنيق التصوير بدأ برجل بدوى حافى القدمين يجمع قطع حجارة فى الصحراء ويرصها الى جوار بعضها حتى جعل منها مربعا كبيرا . ثم وقف بين الحجارة وبدأ يصلى . وبالطبع فهم المشاهدون أن الرجل يصلى لتلك الأحجار . ولم يعلق المصور على ذلك المشهد أو يوضح لماذا وضع تلك الأحجار أمامه قبل أن يتوجه للصلاة – وبعدها انتقل المصور الى اماكن العبادة للمسلمين فمر بكل ما يشرف سريعا ، وركز تركيزا على كل عورة ، كيف يرقص الشيعة فى ايران والعراق ومر بالكويت والسعودية والقاهرة ولكن لم يظهر من تلك البلاد إلا ما يجب أن يستر ..

لم يظهر من العراق الا مكان صغير أجتمع فيه رجال يرتدون السواد ويبكون ويندبون ولم يقل شيئا ليوضح ذلك ، ومن كل القاهرة لم نر سوى سطح مسجد يسير عليه المصور وترافقه فتاة مصرية تدرس فى الجامعة . هكذا قيل ، وتشرح كيف بنى المسجد ومن بناه ولا شىء آخر . وفجأة تقفز المصور الى بلد آخر من بلاد المسلمين وهو باكستان، ولم يجد المصور هناك سوى جماعة تجلس فى حلقة كبيرة يتوسطهم رجل أشعث أغبر شعره يتدلى على كتفيه

وبين أصابعه قطع نحاسية يدقها ببعضها والآخرون يطبلون له ويزمرون وهو يتلوى ذات اليمين واليسار فى حركات مضحكة مخبولة وقيل إن هذا بعض من طقوس المسلمين فى باكستان . ثم قفز الى تونس ومنها خرج عدة رجال فى يدهم دفوف يدقون عليها ورؤوسهم تعلو وتهبط وكأن بهم مس من الجنون وهذه أيضا طقوس إسلامية .

بقيت كلمة أخيرة ، أنا وأسرتى المسلمون العرب الوحيدون فى هذه المدينة فى الغرب الكندى ، لنا أسرة صديقة غير مسلمة ، منذ تعرفنا عليهم وهم يدرسون ديانتنا لما لفت أنظارهم من تقاليدنا ، الصوم والصلاة وعدم التعرى والابتذال ويشهد الله أنى شعرت أنهم كانوا فى طريقهم الى الاسلام ، حتى كانت تلك الحلقات الراقصة المبتذلة فصدمتهم ومن يومها وكل مناقشاتنا تدور حول الرقص فى الديانة الاسلامية ، والاسلام من كل ذلك برىء — ولقد بلغت والله يشهد .

وقفة مع العلم والإيمان

من كلمة الأستاذ محمد سيد أحمد المسير نقتطف ما يلى :

الحق الذى لا مرية فيه هو أن النهوض بالانسان ومجتمعه يجب أن يتسم بالواقعية والمثالية ، بحيث تكون هناك موازنة دقيقة بين رغبات العقل ونزعات النفس ومقومات الجسد ، أو بمعنى آخر الموازنة بين المادة والروح .. فتلك طبيعة الانسان فهو مادة وروح ، وغذاء المادة فيما قدر الله فى الأرض من أقوات وما سخر من كائنات ، وغذاء الروح فيما أنزل من وحى وما شرع من هدى .. ومتى اجتمع الغذاء المادى والروحى استقامت الحياة على عودها ... فيعرف الانسان منهج عبادته ربه ، وسبيل تهذيبه نفسه ، وطريق معاملته الناس حوله ، ويداب فى امتلاك ناصية الكون وكشف أسراره ونواميسه تحقيقا لحسن الخلافة فى الأرض ..

غير أن هناك شبه أسطورة تقول ان الدين والعلم نقيضان .

فالايمان ليس عقيدة وكفى به هو منطق لأنه نهاية شوط العقل ، والمحدود لا يحيط بغير المحدود ، والكون بأجزائه وجزئياته ينطق بالحقيقة الكبرى .

وحيث كانت رسالة الاسلام خاتمة لمطاف الرسالات الإلهية ، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة فهى قد ارتكزت على العقل والتفكير العلمى إذ هو خصيصة النوع البشرى وهو الذى يصحبه دائما أيا كان موقعه .

ولهذا أرسى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير كما يلى :

حرر العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة .

ونعى على اتباع الظن والهوى .

وأرشد الى العناية بحواس الانسان استخداما لها فيما خلقت له .

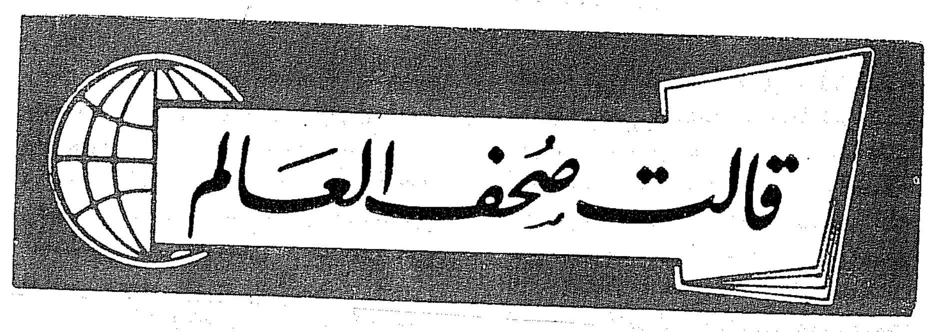
وأمر بالبحث فى ملكوت السموات والأرض .

لفت النظر الى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما سلف من الأمم وأكد استمرارها ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وحرصا على هذه الأصول قرر القرآن عقائد الإيمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة حتى فى باب الأدب الخلقى فقال : « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

وكان الشعار الذى رفعه القرآن فى جداله دائما هو :

(قل هاتوا برهانكم) .



الدعـــوة الى الاسلام

نشرت مجلة دعوة الحق المغربية كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :

إن الدعوة وحدها لا تكفى ، ما دام المسلمون بواقــع حالهم ضــدا على الاسلام ، فإنهم اذا ادعوا انه دين التوحيد ، كذبهم ما يتعلقون بــه مــن احجار واشجار ورسم ، ناقضين بذلك عقد التوحيد ، مشركين مع الله غيره ، غيــر مخالفين لعباد الأصنام إلا بالادعاء ، واذا قالوا بأن عباداته تهذب النفــوس ، وتزكى الأرواح ، وتنعكس آثارها على السلوك والأخلاق ، لم يصدق قولهم مع تفشى الرذائل فى المجتمعات الاسلامية على ما هو مشاهــد ، واذا وصفــوا شريعته بأنها أسمى الشرائع ، وأنها تحقق العدالة الاجتماعية على اكمل وجه ، وتصون حقوق الأفراد والجماعات بقوانين لا تطال فى العدل والإنصاف ، لــم يطابق الوصف ما يتخبط فيه المسلمون من فقرومرض وجهل وظلم ، واذا تحدثوا بأنه دين العزة والكرامة والوحدة والقوة والمنعة ، كان حاضر المسلمين وما هــم عليه من ذلة وهوان وفرقة واختلاف وخضوع للحكم الأجنبى ، لا يتوافق ومــا يتحدثون بــه .

والخلاصة ان المسلمين بتنكرهم لدينهم ، وعدم تمسكهم بتعاليمه ، يحولون بينه وبين الناس ، ويقفون فى وجه الدعوة اليه فلا تؤتى إلا قليلا من النتيجة ، ولذلك قال الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه ــ إن الاسلام محجوب بالمسلمين . ولعلهم بحالهم هذه قد صاروا ممن تشملهم الآية الكريمة التى تقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) فأنى توجهت بنظرك تجد حجابــا كثيفا مسدولا على محاسن الاسلام من انحراف المسلمين .

والمسلمون بذلك يعرقلون الدعوة ، ويتحملون إثما كبيرا فى الصد عــن سبيل الله .. فلقد جاء فى حديث المعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم اتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شىء إلا خرقته ــ وذلك فيما راى من آيات الله ليلة المعراج ــ فقال ــ ما هذا يا جبريل ؟ قــال هذا مثل اقــوام يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا ((**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله**)) وبالعكس لو كان المسلمون على هدى من ربهم واقامة لما جاء به نبيهم ، وتمثل لقيم الاسلام العليا ، وعمل برسالته الخالدة لكان كل واحد منهم داعيا الى الله ومبشرا بكلمته الحق ومستحقا للثواب الجزيل الذى جعله اللــه للدعاة الهداة ، على ما جاء فى الحديث الصحيح (**لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس**) .

ولسنا نقلل من فائدة الدعوة أو نصرف الداعين عن مهمتهم المقدسة ، وإنما نريد أن يكون للدعوة مفعولها وتاثيرها العظيم فى الدلالة على الله والتبشــير بدينه ، وذلك باستقامة المسلمين على الطريقة وإعطاء المثل الصالح من أنفسهم

على هداية الاسلام ، وبالأحرى نريد أن ندعو المسلمين أولا الى الاسلام والتمسك بعروته الوثقى ، ثم نتوجه بعد ذلك الى دعوة غير المسلمين . فإن النتيجة حينئذ ستكون أعظم من كل تقدير ، وكما كانت فى البدء عند ظهور الإسلام .

البهائيـــة

نشرت مجلة جوهر الاسلام التونسية كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلى : —

عقيدتهـــم

١ — إن للوحى تأويلات سامية ، ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها (الباب) أو البهاء . . وما يعلم تأويله إلا الله . . أى الباب أو البهاء .

٢ — ادعى البهاء المهدوية ، ثم الرسالة ، وأنه نزل عليه كاتب الأقدس الذى نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية ، ثم ادعى الألوهية وأمر بقيادة البشر .

٣ — القول بموت عيسى صلبا ، وعدم عودته بنفسه ، وانما تحل روحه فى غيره ، والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .

٤ — إنكار معجزات الأنبياء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنة والنار ، ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .

٥ — نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحدود الواردة فيها لعدم صلاحيتها للعالم فى عصر التقدم ، ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود وقد ورد فى أحكامه :

أن الصلاة تسع ركعات فى البكور والزوال والآصال ، وقد بطلت صلاة الجماعة ، والقبلة عكا والحج اليها للرجال دون النساء ، وتحريم الحجاب وإباحة السفور والاختلاط ، وجعل الحدود عقوبات مادية ، وغير ذلك من مفترياتهم وكذبهم .

٦ — الصلاة تسع ركعات تؤدى على ثلاث مرات يوميا كل صلاة ثلاث ركعات ، حين الزوال ، فى البكور ، فى الآصال .

٧ — قبلتهم (عكا) حيث قبر بهاء الله .

٨ — الصوم من الشروق الى الغروب ، ولا قضاء على من لم يؤد الصوم .

٩— الحج الى أحد المزارات الثلاثة :

١ — الدار التى ولد بها البهاء بشيراز .

٢ — الدار التى أقام بها البهاء بالعراق .

٣ — عكا حيث يرقد بها البهاء .

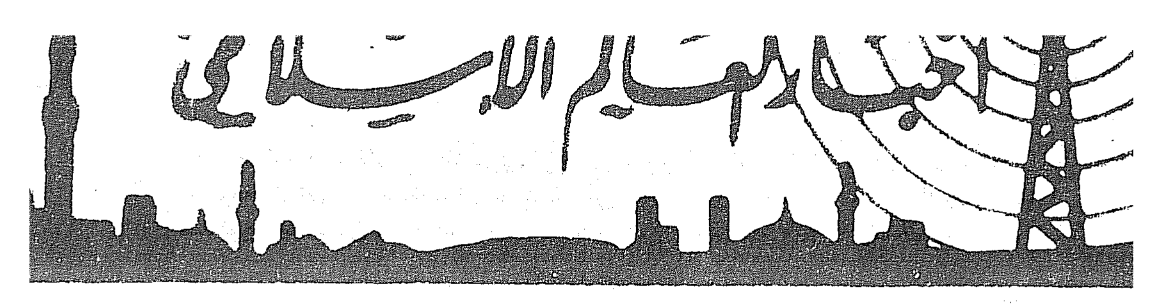
١٠ — يتزوج البهائى من غير البهائية ، وتتزوج البهائية غير البهائى .

١١ — سن الرشد ١٥ عاما للذكر والأنثى .

١٢ — تتساوى الأنثى مع الذكر فى الميراث .

قال تعالى :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .



اعــداد : فهمى الامام

الــــكويت : تم توزيع جوائز سمو نائب الأمير وولى العهد المعظم على المتوفقين فى حفظ القرآن الكريم من الطلاب فى الأندية الصيفية .

● قال الشيخ صباح الاحمد وزيــر الخارجية فى خطابــه أمام مؤتمــر وزراء خارجية دول عدم الانحياز والذى عقد فى مدينة (جورج تاون) ـ قال : إن منطقتنا تتعرض لأبشع أنواع الظلم منذ أنشئت إسرائيل وفــق المخطط الصهيونى ، وعلى حساب شعب فلسطين الذى طرد من وطنه .

● صرح سعادة الاســتاذ راشد عبد الله الفرحــان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية عقب عودته من زيارته الرسمية لســورية بأنه بحث مع المسئولين هناك موضوع عقد مؤتمر لوزراء الاوقاف العرب ، وأنه سيستكمل هذا البحث اثناء حضوره مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى ســيعقد فى القاهرة خلال هذا الشهر . .

● تم توزيع جوائز سمو نائب الأمين وولى العهد المعظم على المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم من الطلاب فى الأندية الصيفية .

● اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها السنوى المعتــاد بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بمسجد السوق الكبير .

● صادف يوم ٢١ اغسطس الذكرى الرابعة للجريمة النكراء ـ إحراق المسجد الأقصى المبارك ـ وقد قدمت برامج خاصة من الإذاعة والتلفزيون بهذه الذكرى الأليمة .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بعشرة آلاف دينار مساهمة فى نشــاط اتحــاد الطلبة المسلمين فى كندا والولايات المتحدة .

● كما قرر مجلس الوزراء إعفــاء المواطنين الليبيين من الإجــراءات اللازمة لدخولهم الكويت .

● طلب مجلس الوزراء من بلدية الكويت تخصيص موقع لإنشاء مسجد فى ميناء سعود واعتماد المبلغ اللازم لإنشائه .

● اشتركت الوزارة بمجموعة من كتب التراث الاسلامى التى أصدرتها بجانب مجموعة من الكتب الاسلامية بلغات مختلفة فى معرض الكتاب الاسلامى الذى تقيمه دار الفتوى فى لبنان .

القاهــــرة : اتخذت خطوات ايجابية على طريق الوحدة الشاملة بين جمهورية مصـــر العربية والجمهورية العربية الليبية . . وستعلن الوحدة رسميا بين البلدين فى سبتمبر من العــام القادم ان شاء الله .

● أجرى وزير الشئون الدينية الأندونيسى مباحثات مفيدة مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر تناولت وضع الطلبة الأندونيسيين الذين يدرسون بمصر ، ومساهمة وزارة الأوقاف فى إمداد المركز الإسلامى الذى سينشأ فى (جــاكرتا) بالكتب الدينية .

● اقترح الأمين العام لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر عربي فى وقت قريب لإقرار خطة عمل عربى مشترك لتحرير الأراضى العربية .

السعودية : تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ (١١٥) الف جنيه استرلينى لبناء مركز إسلامى فى كمبالا بأوغندا .

● تبرعت المملكة العربية السعودية بخمسة آلاف جنيه استرلينى مساهمة منها فى بناء جامع الازهر بمدينة (سوث سيلدز) البريطانية .

● قررت وزارة المعارف إنشاء مركز ثقافى فى صنعاء تدعيما للروابط بين المملكة والجمهورية العربية اليمنية .

● صادقت خمس دول إسلامية حتى الآن على ميثاق المؤتمر الإسلامى . صرحت بذلك مصادر الأمانة العامة الإسلامية لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

المغرب : شرح الجنرال (سالييادا بانداتون) — العضو البرلمانى الفلبينى ورئيس الجمعية الاسلامية الفلبينية — حقيقة وضع المسلمين فى الفلبين لكبار المسئولين فى المغرب ..

ليبيا : وقعت أوغندا مع ليبيا اتفاقات للمعونة والتجارة تبلغ قيمتها (١٥) مليون جنيه استرلينى .

السودان : أعلن الرئيس السودانى انه على استعداد لاعادة الاسلحة التى زودت (بعض الدول) بها السودان بنصف ثمنها ، لأن هذه الاسلحة رديئة ..

البحرين : تم توقيع اتفاق بين البحرين والصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية يقضى بإقراض البحرين مبلغ (٧٫٣٠٠٫٠٠٠) دينار كويتى .

دمشق : أقام سفير دولة الكويت فى دمشق حفل عشاء تكريما لوزير الأوقاف الكويتى وقد حضر الحفل عدد من الوزراء ومفتى الجمهورية ومحافظ دمشق .

لبنان : افتتح سماحة مفتى الجمهورية اللبنانية جامع حمانا .. حيث أدى فيه خطبة الجمعة وأم الناس فى الصلاة .. وقد أقيم احتفال برعايته لإنشاء جامع ومدرسة بساقية الجنزير فى جامع بعلشمية .

اخبار متفرقة

● **ماليزيا** : تعقد فى ماليزيا فى الشهر القادم (اكتوبر) المنافسة الدولية لحفظ القرآن الكريم وقد اشترك فيها متنافسون من ٢٦ دولة .

● افتتح تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا مؤتمر وكالة الانباء الإسلامية العالمية بكلمة تحدث فيها عن أهداف الوكالة وغاياتها وتنظيماتها .. وكان مما قال : إن مهمتها لن تقتصر على تعبئة الرأى العام فى البلاد الإسلامية بل إنها ستقيم جسرا بين هذه البلاد ، وتنشىء جوا افضل من التفاهم بين الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ، والمساعدة على دفع عجلة التطور فى مجتمعاتها .

● **باكستان** : تقرر أن تكون اللغة العربية مادة اجبارية فى مدارس المقاطعة الشمالية الغربية — بباكستان . صرح بذلك الوزير المركزى للحكومة الباكستانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	سبتمبر	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٩	٣ ٥٩	٥ ٢٩	١١ ٤٦	٣ ١٨	٦ ٢	٧ ٢١	٩ ٥٧	١١ ٢٧	٥ ٤٤	٩ ١٦	١ ١٩
الاحد	٢	١٠	٤ ٠٠	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الاثنين	٣	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الثلاثاء	٤	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الاربعاء	٥	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الخميس	٦	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٨	١٩	١٨
الجمعة	٧	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
السبت	٨	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨
الاحد	٩	١٧	٥	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠	١٣	٤١	٥١	٢١	١٨
الاثنين	١٠	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الثلاثاء	١١	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الاربعاء	١٢	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الخميس	١٣	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
الجمعة	١٤	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
السبت	١٥	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الاحد	١٦	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الاثنين	١٧	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الثلاثاء	١٨	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٩	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨
الاربعاء	١٩	٢٧	١١	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٨	٣١	٥٩	٦ ٠٠	٢٦	١٨
الخميس	٢٠	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١٢ ١	١	٢٦	١٨
الجمعة	٢١	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
السبت	٢٢	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الاحد	٢٣	اكتوبر	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الاثنين	٢٤	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الثلاثاء	٢٥	٣	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣٣	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الاربعاء	٢٦	٤	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
الخميس	٢٧	٥	١٥	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
الجمعة	٢٨	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
السبت	٢٩	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الجديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد